تاريخ المصريين

١٣٦

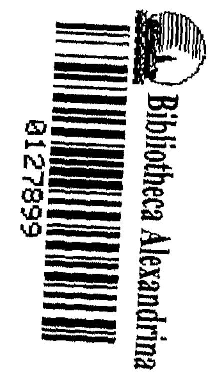
أوراق يوسف صدّيق

تقديم

ا. د. عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية
العامة للكتاب



• تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة :

د. سمير سرحان

رئيس التحرير :

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير :

محمود الجزار

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



أوراق يوسف صدّيق

تقـديم

ا . د . عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

الاشراف الفنى

محمـــود الجـــزار

تقـــــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب المهم عن بطل مصرى حر هو القائمقام يوسف صديق ، الذى كان له الدور الأول فى نجاح ثورة ٢٣ يوليو ، اذ كان هو أول من أطلق شرارتها ، وأكثر من حافظوا على مبادئها التى قامت عليها عندما تنكر الآخرون لهذه المبادىء ، ولم يتحمل ضميره البقاء فى صفوفها عندما انحرفت عن طريق الدستور والديمقراطية واتجهت اتجاهها الدكتاتورى المعروف ٠ ودفع ثمن مواقفه الشريفة غاليا ٠

كنت أول من ألقى الضوء على دور القائمقام يوسف صديق عندما كنت أنشر دراستى عن أزمـة مارس ١٩٥٤ ، ولذلك عندما عرض على المناضل الكبير الأستاذ محمود توفيق ، وهو زوج ابنـة يوسف صديق ، نشر أوراقه فى سلسـلة تاريخ المصريين رحبت تماما ، فقد سبق لى أن رحبت بنشر كتاب « ثورة يوليو والحقيقة الغائبة » لكل من اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير ، واللواء / عبد المجيد كفافى ، واللواء سعد عبد الحفيظ ، والسفير كمال منصور ، الذى يصحح الكثير من المعلومات عن ثورة يوليو ٠ وقد صدر هذا الكتاب فى هذه السلسلة ونشر تحت رقم ١٢٢ ، ومن الطبيعى أن أرحب بنشر أوراق الرجل الذى كان باعتراف الجميع السبب الرئيسى فى نجاح ثورة يوليو ٠

وقد كان الكتاب الذى قدمه لى الأسـتاذ محمود توفيق فى البداية عبارة عن حقيبة كبيرة من الأوراق دون أى ترتيب ، وقد

اخترت منها ما يصلح للكتاب ، وقمت بتبويبه ، ودفعت به للمطبعة ، وطبعت البرفة الأولى منه ، ولكن الأستاذ محمود توفيق وابنة البطل يوسف صديق أدخلا تعديلات كثيرة على البروفة الأولى ، وقد قبلتها على الفور ، وهى التى انتهى اليها الكتاب بصورته الحالية وتلقيت موافق الأستاذ محمود توفيق عليه ·

وينقسم الكتاب الى ثمانية فصول ، الفصل الأول ويتضمن أوراقا تمهيدية ، أما الفصل الثانى فيتضمن مذكرات يوسف صديق · ويتناول الفصل الثالث التساؤلات التى أثيرت عن ليلة الثورة ، أما الفصل الرابع فيتحدث عن مواقف يوسف صديق فى مجلس الثورة · ويتناول الفصل الخامس دور يوسف صديق فى أزمة مارس ١٩٥٤ ووقوفه الى جانب عودة الجيش الى ثكناته وعودة الديمقراطى للبلاد · أما الفصل السادس ، فيتناول الكتابات التى نشرت عن يوسف صديق ، ويتناول الفصل السابع الدعوى القضائية التى رفعها أولاد يوسف صديق ضد وزارة الدفاع بسبب غياب تمثالة فى المتحف الحربى ، على الرغم من أن دوره فى نجاح الثورة هو الدور الرئيسى ! ولما كان يوسف صديق شاعرا ومحاربا ، فقد تناول و الفصل الثامن مختارات نادرة من شعره السياسى ·

وأملى أن أكون قد أضفت بهذا الكتاب وثيقة مهمة من وثائق ثورة يوليو كانت المكتبة العربية فى حاجة اليها ·

والله الموفق ·

رئيس التحرير

د· عبد العظيم رمضان

أوراق تمهيــــدية

(أ) يوسف صديق ـ بقلم ابنته السيدة / سهير يوسف صديق ـ

١ ـ نبــذة عنــه

٢ ـ ذكريات عن دوره ومواقفه ٠

(ب) رسالة الى الدكتور عبد العظيم رمضان من الأستاذ محمود توفيق

(جـ) يوسف صديق فى مواجهة الاضطهاد فى العهد الملكى ٠

١ ـ يوسف صديق

ـ بقلم ابنته : سهير يوسف صديق

(أ) نبذة عنه

●●● ولد فى ٣ يناير ١٩١٠ بقرية زاوية المصلوب مركز الواسطى ـ مديرية بنى سويف ـ وهى موطن والديه .

●●● كان والده اليوزباشى منصور يوسف صديق ضابطاً بالجيش المصرى ، واشترك فى حرب استرداد السودان ، وامضى مدة خدمته العسكرية كلها فى السودان ، وتوفى فى ريعان شبابه سنة ١٩١١ ، وكان يوسف مازال رضيعا .

●●● وجده هو المرحوم يوسف صديق الأزهرى وكان بدوره ضابطا بالجيش المصرى بالسودان ، وكان حاكما لاقليم كردفان عند قيام الثورة المهدية ، وقتل على يد الثوار هو

وسائر أفراد أسرته ولم ينج منهم غير ولده منصور وأخ أصغر له هو أحمد اللذين تمكنا من الهرب الى مصر وهما فى سن الصبا .

●●● وكان خاله هو الضابط الشاعر الوطنى محمد توفيق على الذى كان ضابطا بالجيش المصرى بالسودان وشارك فى حرب استرداده وأمضى مدة خدمته كلها بالسودان الى أن استقال من الجيش سنة ١٩١٢ بسبب كثرة مصادماته مع رؤسائه الانجليز فى الجيش ، وقد لعب دروا مهمسا فى حياة يوسف صديق وفى توجهاته الوطنية والأدبية . كما كان هو الذى ساعده فى الالتحاق بالكلية الحربية .

●●● نال يوسف شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) من مدرسة بنى سويف الثانوية والتحق بالكلية الحربية سنة ١٩٣٠ وتخرج سنة ١٩٣٣ ملازماً ثانيا بالجيش المصرى بالسلوم ثم بمرسى مطروح الى أن عين مدرساً بالكلية الحربية حيث تخصص فى مادة التاريخ العسكرى .

●●● التحق بكلية أركان حرب وتخرج منها سنة ١٩٤٦ حيث عمل فى ادارة الجيش قسم السجلات العسكرية .

●●● كان فى طليعة القوات التى دخلت الى فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وشارك بدور بارز فى حرب فلسطين حيث كانت كتيبته هى أكثر الوحدات المصرية توغلا فى الأرض الفلسطينية ، وتمكنت من الوصول الى بلدة (أسدود) على مقربة من (تل أبيب) واستطاعت الاحتفاظ بهذا الموقع حتى نهاية الحرب . وانسحاب الجيش المصرى الى (غزة) .

● ● ● عرف فى وسط الضباط بمواقفه الوطنية وشجـاعته ، وكانت له مواقف معروفة فى هذا الشأن — وكثيراً ما عبر عنها فى أشعاره التى كان يلقيها على زملائه الضباط فى المناسبات المختلفـة — مما جر عليه سخـط السلطات الحاكمة ، بقدر ما أكسبه حب وثقة العناصر الوطنية من ضباط الجيش . وتمثل ذلك فى تعمد قيادة الجيش تخطيه فى الترقيات لسنوات متعاقبة رغم اعترافها بدوره البطولى فى حرب فلسطين . كما تمثل فى ملاحقته بالتنقلات المتتالية والعمل على تشتيته بصفة مستمرة ، بل ثبت بعد ذلـك من اعترافات أفراد الحرس الحديدى التابع للملك فاروق أنه كان مستهدفاً للاغتيال فى الأيام السابقة على قيـام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

● ● ● كانت له علاقات مع بعض القوى والأحزاب والتنظيمات السياسية قبل الثورة بحثاً عن مجـال للعمـل الوطنى والثورى ، كان أهمها فى النهاية علاقته مع تنظيم الجيش فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) . وذلك على النحو الذى أوضحه فى مذكراته .

● ● ● انضم بعد ذلك الى تنظيم الضباط الأحرار حيث رشحه للعضوية الضابط وحيد جوده رمضان الذى كان يعمل معه فى منطقة العريش ، وتم انضمامه على أثر لقاء بينه وبين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامـر جـرى بواسطة الضابط وحيد رمضان وذلك فى أكتوبر سنة ١٩٥١ . كمـا تكرر لقاؤه بعبد الناصر وعبد الحكيم عامر أكثر من مـرة بعد هذا التاريخ ولحين قيام الثورة على النحو الذى أشار اليه فى مذكراته .

● ● ● كانت وحدته العسكرية وهى الكتيبة الأولى مدافع ماكينة، تعسكر فى منطقة العريش ، ثم صدرت له الأوامر بالانتقال الى القاهرة ، استعدادا لترحيلها الى السودان ، وصدر الأمر ليوسف صديق بأن ينتقل بمقدمة تلك الكتيبة الى القاهرة كقوة عسكرية ادارية واستلام وتجهيز المكان المخصص للكتيبة تمهيداً لانتقالها اليه بعد ذلك . وكان وصول يوسف بمقدمة الكتيبة الى القاهرة فى ١٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

ولدى وصوله الى القاهرة ، اتصل به جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأخطراه بأنه قد تقرر يوم ٢٦ يوليو موعدا لقيام الثورة ، ثم عادا وابلغاه بتقديم الموعد الى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وابلغاه بأن دوره فى الخطة هو أن يكون قوة احتياطية (صغيرة) الى رئاسة الجيش بعد احتلالها لتأمينها .

● ● ● جرت وقائع اشتراكه فى أعمال الثورة ليلة ٢٣ يوليو على النحو المفصل فى مذكراته .

● ● ● بعد قيام الثورة تقرر ضمه الى مجلس قيادة الثورة الذى تشكل بعد نجاحها تقديرا لدوره الأساسى فى نجاح الثورة ، ولم يكن قبل ذلك عضواً فى اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار ، كما لم يكن يعرف تشكيل هذه اللجنة ولم يعرف من أعضائها غير جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وحسين الشافعى ، ولم يكن يعنيه معرفة أسماء هؤلاء الأعضاء .

● ● ● بدأت خلافاته مع مجلس قيادة الثورة مبكرا بعد نجاحها وكانت نقطة الخلاف الجوهرية هى الموقف من قضية

الديمقراطية ودفاعه الحازم عن ضرورة انتهاج الطريق الديمقراطى أسلوباً للحكم ، ومعارضته الحازمة للاتجاه السائد فى المجلس للانفراد بالسلطة وفرض حكم عسكرى دكتاتورى على البلاد ، كما تعددت أسباب الخلاف فى الموقف من اعدام العاملين (خميس والبقرى) واعتقال الخصوم السياسيين واعتقال ومحاكمة ضباط الجيش المعارضين .

● ● ● تطور الخلاف بينه وبين مجلس الثورة على نحو لم يجد منه بداً من التقدم باستقالته من المجلس على اثر صدور القرارات بحل الدستور وحل الأحزاب واعلان فترة الانتقال فى منتصف يناير سنة ١٩٥٣ اعتراضاً على هذه القرارات وعلى مجمل السياسة التى اتجه اليها مجلس الثورة . وقد أصر على هذه الاستقالة رغم المحاولات التى بذلت لاثنائه عنها .

● ● ● تم ابعاده الى أسوان فى يناير سنة ١٩٥٣ بعد استقالته ، ثم الى سويسرا فى مارس ١٩٥٣ بحجة العلاج ثم الى لبنان فى يونية سنة ١٩٥٣ ، وعندما طلب العودة الى الوطن ورفض المجلس عودته ، عاد سرا ومعه زوجته وأولاده الى مصر وتوجه من المطار الى قريته (زاوية المصلوب) فى أغسطس سنة ١٩٥٣ ، وأرسل برقية من هناك الى اللواء محمد نجيب يخطره فيها بعودته ويجدد استقالته من مجلس قيادة الثورة ومن الجيش . وقد تقرر عند ذلك تحديد اقامته فى قريته حيث ضرب حولها نطاق من قوات البوليس الحربى لعدة شهور . ثم سمح له بعد ذلك بالانتقال الى منزله بحلمية الزيتون فى أوائل العام الدراسى . حيث استمر تحديد اقامته تحت حراسة البوليس الحربى فى ذلك المنزل .

●●● رغم تحديد اقامته شارك فى أحداث مارس سنة ١٩٥٤ ، معبراً عن تأييده للمطالب الشعبية للعودة الى طريق الديمقراطية وانهاء الحكم العسكرى . وعلى اثر هزيمة هبة مارس تم اعتقاله بسجن الأجانب أولا ثم نقل الى السجن الحربى ، كما اعتقلت زوجته وعدد من أقاربه . وقد ظل فى السجن الحربى حتى مايو سنة ١٩٥٥ ، ثم أفرج عنه مع استمرار تحديد اقامته بمنزله حتى سنة ١٩٥٦ .

●●● رغم كل ذلك فقد تقدم للمشاركة فى حركة المقاومة الشعبية المسلحة ضد العدوان الثلاثي الى أن انتهى العدوان .

●●● استمر بعد ذلك على مواقفه المبدئية الوطنية والديمقراطية والتقدمية ، وظل يعبر عن هذه المواقف بالوسائل المتاحة رغم بعده عن اى موقع او منصب رسمى فقد كان يؤمن دائما بأن هناك تلازماً حتمياً بين الأهداف الوطنية والديمقراطية وبين التقدم على مختلف الجبهات الوطنية والقومية ، وانه لا يوجد تعارض بين تلك الأهداف بل انها أهداف متكاملة ومتشابكة .

●●● توفى الى رحمة الله فى ٣١ مارس سنة ١٩٧٥ على أثر نضال طويل مع المرض الذى لازمه لمدة ثلاث سنوات .

●●● المذكرات المقدمة حالياً للنشر هي المحررة بخط يده والموقعة منه وذلك فى أثناء مرضه الأخير وقبيل وفاته بقليل ؟

★ ★ ★

(ب) ذكريات عن دوره فى الثورة ·

تعرض عدد كبير من الكتاب والمؤرخين على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والسياسية منذ فترة كبيرة للدور التاريخى الذى قام به والدى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، حتى أصبح هذا اليوم من كل عام مهرجانا كبيرا يكتب فيه عن البطل « يوسف صديق » ، كما كتب عن دوره بعد انضمامه الى مجلس قيادة الثورة من أجل قضية الديمقراطية وهى أحد مبادىء الضباط الأحرار الستة التى قامت الثورة من أجل تحقيقها · وعن أنه الوحيد الذى استقال من مجلس قيادة الثورة فى وقت مبكر عندما رأى انحراف هذا المجلس وبعده عن الخطة التى كان الثوار قد رسموها فى منشوراتهم قبل الثورة — حيث كانت صدمته الأولى اعدام العاملين « خميس والبقرى » رغم عدم الموافقة الجماعية للمجلس فقد عارض والدى ذلك مع خالد محى الدين وجمال عبد الناصر ، وعندما كان يذكرهم بما كان يكتب فى منشورات الضباط الأحرار قال بعضهم (انسى المنشورات ·· الظروف تغيرت ·· » وبدأت تتنافر وجهات النظر مع أعضاء القيادة حول أسلوب الحكم وصدور قوانين تنظيم الأحزاب ثم حلها والغاء الدستور واعادة الرقابة على الصحف واعتقال ضباط المدفعية ودخولهم السجن بملابسهم العسكرية · مما أدى الى تقديم استقالته مضحيا بوضعه فى مجلس قيادة الثورة وبوظيفته فى الجيش ، وحتى بحريته الشخصية ، وقبل راضيا أن يوضع فى السجن الحربى وأن يوضع معه أبناؤه وأقربائه وزوجته مفضلا ذلك على الاشتراك فى الحكم على حساب حرية وكرامة الشعب المصرى · وقد عبر عن ذلك فى قصيدته

(استقبال الصديق) التى كتبهـا فى السجن الحربى بتـاريخ ١٩٥٥/١/١٥ عندما أتى الى الحياة حفيده (يوسف صديق) ابن كاتبة هذه السطور فى ٤ يناير سنة ١٩٥٥ (تاريخ ميلاد والدى ٣ يناير سنة ١٩١٠) تعبر بعض أبيات هذه القصـيدة عن هذا المعنى :

ان الرسـالة فى أسمائنـا لمعت
فحملتنـا ثواب الهـدى بالنـور

ونحن نعـلم ان السـجن منزلنـا
حتى تدك حصـون الافـك والزور

ونحن نعـلم ان المـوت موردنـا
نلقـاه فى الله فى بشر وتكـبير

هذه المقدمة كان لابد منها لكى أدخل الى موضوع الحديث الذى أردت أن أتكلم فيه ـ وهو الثمن الذى دفعـه والدى فى سبيل هذا الموقف من قضية الديمقراطية ، وقد دفع فى سبيله أغلى ثمن ، وليس وحده الذى دفع هذا الثمن ، فقـد دفعـه جميع المنـاضلين والوطنيين فى هذا الوقت الذى مرت به مصر بأحداث جسيمة ، والتى كانت مفترق طرق فى حياة الشعب ، والتى حددت مصير الثورة ومصير مصر كلها لسنوات طويلة بعد ذلك بما جرى فى تلك الأحداث وسأحاول أن أتذكر تفـاصيل المواقف التى حـدثت لوالدى ، وكنت شاهدة عليها ومصاحبة له فيها وهى كلها مواقف عصيبة لم يكتب عنها من قبل ، فقد تعرض والدى لكثير من المحن والاضطهاد والظلم لسنين طويلة

مدينة العريش واجتماعات الضباط الأحرار ..

فى صيف عام سنة ١٩٥٢ وقبل قيام الثورة بشهر أخذنى والدى مع اخوتى الى العريش لنقضى العطلة المدرسية ، وكان يعيش فى منزل صغير بجوار محطة السكة الحديد وقريب من الشاطىء ، وكنا فى اواخر شهر رمضان وجاء عيد الفطر ونحن فى العريش وكان والدى حريصا أن يأخذنا لزيارة « غزة » و « رفح » وأن نستمتع بشاطىء العريش الجميل بنخيله ورماله الصفراء النظيفة .

وفى أثناء هذه العطلة كان يتردد على منزلنا عدد كبير من صغار الضباط منهم عبد المجيد شديد ومحمد السقا ووحيد رمضان وعبد الخالق صبحى ومدبولى عبد العزيز (عرفت فيما بعد أنهم كانوا من الضباط الأحرار) فكانوا احيانا يفطرون معنا أو يتسحرون وكان هذا شىء طبيعى بالنسبة لوالدى ، فهو كان محبوبا جدا من ضباطه وجنوده أينما ذهب أو عمل ، فلم أشك فى أن هناك شىء غير عادى يحدث بينهم ، فقد كان والدى يقوم بعملية تمويه بأن ينظم كل ليلة مجموعة (فريق) يقوم بمباراة فى لعب (الكانستا) وهى لعبة كوتشينة تستغرق وقتا طويلا ويتكون كل فريق منها من ٤ أفراد وتحت ستار هذه المباريات كان يتم اجتماع الضباط الأحرار بوالدى .

وفى يوم ١٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تحرك أبى الى القاهرة بمقدمة الكتيبة وركبت أسرته معه فى القطار المتجه من العريش الى القاهرة وأذكر ونحن فى القطار عندما مر ليعبر كوبرى الفردان الذى كان يربط شرق القنطرة بغربها كنت واخواتى محمد ومحمود وحسين ونعمت ننظر من الشبابيك ونرى الجنود الانجليز بوجوههم الحمراء وشورتاتهم وصدورهم العارية يجلسون على حافة قناة السويس ويستحمون فيها فكان اخوتى — وهم صغار — يهتفون بالانجليزية : « يو آر درج » .

وقبل مغادرة العريش بأيام ذات صباح كنت أتجول بالحوش الأمامى للمنزل فوجدت ورقة على الأرض يبدو أنها سقطت من أحدهم ولم يلحظها فأخذت الورقة • وقرأتها فاذا بها أحد (منشورات الضباط الأحرار) بها كلام خطير عن الملك وعن الجيش وعن ضرورة الاصلاح والتغيير من أجل الشعب • فأخذت المنشور وجريت الى والدى وأخبرته بما حدث فانزعج جدا وأخذه منى وطلب بحزم أن أنساه ولا أذكره لأى انسان ، فعرفت أن هنالك شىء خطير يقوم به هؤلاء الضباط مع والدى •

وبعد عودتنا الى القاهرة من العريش بعدة أيام « كان والدى متعودا أن ينام بعد الغذاء وكانت تعليماته مشددة ألا يزعجه أحد أثنــاء النوم ، وكان لا يجرؤ أى فرد من الأسرة أن يقترب من غرفته » فى هذا اليوم دق جرس باب منزلنــا بحلميــة الزيتون ، وفتحت لأجــد رجلا فــارع القــامة أســمر اللون يرتدى بنطلونا رماديا وقميصا أبيض ويقف على سلم الفيلا ويسأل عن والدى (وكان هذا الرجل هو جمــال عبد النــاصر) فترددت أن أذهب لأوقظ والدى لأننى أعرف رد فعله العنيف ولكننى تسللت فى حذر وهدوء شديد ودخلت الغرفة وكان يبدو أن والدى يشعر بى وقلت وأنا واقفة على باب الغرفة ، بعيدا عن سريره (واحد اسمه جمال عاوزك فى الخارج) وبدل أن ينهرنى والدى وجدته يقفز من السرير بسرعة وارتدى ملابسه وخرج مهرولا ، حتى اننى عجبت كيف أنه لم يعاقبنى على ايقاظه • وفى يوم ٢٠ يوليو زاره فى منزلنا بحلمية الزيتون جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر حيث وجدوه غارقا فى النزيف ـ حيث أخذ يرجع من فمه دماء كثيرة وكنا نضع له الأوعية لكى يرجع فيها الدماء • ـ حيث أبلغوه أنه تقرر القيام بالعمل فى ليلة ٢٣/٢٢ يوليو بصفة نهائية ، وعلمت بعد ذلك من والدى أن الصديقان عندما وجداه على هذا الحــال ،،

رأيا الغاء دوره كلية واعفائه من العمل فى هذه الليلة التى أنتظرها طويلا · ولكنه أقنعهما بأنه يمكنه القيام بالدور المرسوم له بدون أى تعرض للخطر ، حيث أن هذا الدور المرسوم كان عبارة عن أنه يحضر بقوته الصغيرة المكونة من ٦٠ جنديا ولا يزيد تسليحها عن البندقية وأن يصحب معه ٤٠ لورى ويحضر هذه القوة الصغيرة الى رئاسة الجيش (بعد احتلالها) واذا استدعت الحالة فان المستشفى العسكرى العام بكوبرى القبة سيكون على بعد خطوات من القيادة العامة ·

وفى ليلة ٢٣ يوليو حضر أبى الى منزلنا فى حلمية الزيتون وعلمت منه أنه فى طريقه الينا كان معه الأستاذ محمود توفيق ابن خاله (الذى تزوجنى بعد ذلك) وأخذه الى الدكتور عبد العزيز الشال بشبرا حيث أعطاه حقنة لوقف النزيف الذى كان يخشى أن يعاوده ليلا لأنه سيقضى الليل فى المعسكر وأنه جاء ليسلم علينا ويعطى والدتى بعض النقود ويسألها ان كانت تحتاج لشىء وكان والدى دائما يتفاءل بها قبل قيامه بأى شىء ، ولاحظت والدتى أنه كان فى حالة انفعال شديد وفى عينيه بريق غريب وشعره مهوش والبوشيرت الرسمى مفتوح الصدر فقالت له « مالك يا يوسف عامل كده ، ما تكونش رايح تفتح (عكا) وكان قد نزل من سلم التراس فاستدار راجعا اليها وسألها باستغراب (لأنها لا تعرف شيئا عن موضوع الانقلاب) ماذا قلت ؟ فأعادت ما قالته فرد عليها قائلا نعم سأفتحها وانصرف · وفى صباح اليوم التالى أرسلت حرم محمد نجيب تطلب والدتى للزيارة وكانت صديقتها وجارتها · فلما ذهبت والدتى اليها سألتها عن والدى فقالت لها أنه فى المعسكر · فأخبرتها بأمر الانقلاب العسكرى والبيان الذى أذيع فى الراديو ولم تكن والدتى تعرف عنه شىء فعادت مسرعة الى المنزل وأخذنا فى الاستماع الى البيان والى أخبار الانقلاب ·

الابعاد الى أسوان :

فى أوائل سنة ١٩٥٣ كنت متزوجة حديثا من الأستاذ محمود توفيق ابن خال والدى ، وكنا نعيش فى بداية حياتنا فى منزل والده بقريتنا (زاوية المصلوب) بالواسطى ـ حيث كان يعمل زوجى محاميا ، وكنت فى شهور حملى الأولى ـ جاء أبى لزيارتنا وقضاء عدة أيام معنا بعد خلافه مع زملائه بمجلس قيادة الثورة ٠ وبعد أيام جاء الى منزلنا بعض ضباط الصف الثانى لمقابلة والدى أذكر منهم عبد المجيد شديد والسقا ووحيد رمضان وآخرين ٠ جاءوا لمقابلة والدى والاجتماع به لمحاولة تخفيف حدة الخلاف بينه وبين زملائه وتم الاتفاق على أن يسافر أبى الى أسوان لفترة قصيرة فى محاولة لتهدئة النفوس ، وكان زوجى طوال اليوم يقوم على ضيافتهم واستقبالهم واكرام وفادتهم وحسن وداعهم عند الانصراف ٠

وسافر والدى الى أسوان ، وفى فجر اليوم التالى حضر رجال البوليس الى منزلنا حيث تم القبض على زوجى وارساله الى معتقل جبل الطور وعرفت فى نفس اليوم أنه قد تم القبض على عدد من شباب العائلة ٠

سافرت الى أسوان لأكون مع والدى الى أن يتم البت فى أمر زوجى ٠ فوجدته يعيش فى أحد الاستراحات الحكومية ويرافقه ضابطين هما محمد السقا ووحيد رمضان وكنت أعرفهما جيدا حيث كانا يأتيان كثيرا لزيارة والدى بمنزلنا بالعريش قبل قيام الثورة بشهر ٠ وبالطبع علم والدى بقصة القبض على زوجى وعلى أقربائه ٠ وفهم أن هذا الاجراء يمثل نوعا من الضغط عليه لكى يتراجع عن موقفه ٠

وفى هذه الفترة التى قضيتها مع والدى فى أسوان ـ صدر عدد من مجلة المصور فى فبراير سنة ١٩٥٣ وبه هدية عبارة عن صورة أعضاء مجلس قيادة الثورة هم : الرئيس اللواء / محمد نجيب ـ بكباشى جمال عبد الناصر ـ بكباشى أنور السادات ـ بكباشى حسين الشافعى ـ بكباشى يوسف صديق ـ بكباشى عبد المنعم أمين ـ بكباشى زكريا محيى الدين ـ صاغ صلاح سالم ـ صاغ عبد الحكيم عامر ـ صاغ خالد محيى الدين ـ صاغ كمال الدين حسين ـ قائد جناع عبد اللطيف البغدادى ـ قائد جناح جمال سالم ـ قائد أسراب حسن ابراهيم . ولكن الهدية الموجودة داخل العدد أمر جمال عبد الناصر بمصادرتها وفعلا تم جمعها من داخل العدد ، ولكنى حصلت عليها وهى تحت يدى للآن . حيث علمت بعد ذلك بسنوات فى حديث للكاتب « حلمى سلام » فى مجلة صباح الخير العدد ١٤٩٢ يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٨٤ قال فيه « أذكر أننى بعد فترة قصيرة من قيام الثورة ، أقنعت جمال عبد الناصر أن يقوم مصور دار الهلال بالتقاط صورة جماعية لأعضاء مجلس قيادة الثورة ونقوم بتوزيعها بمثابة هدية مع مجلة المصور ووافق جمال عبد الناصر على الاقتراح ورحب به أصحاب دار الهلال . وتم تصوير أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وأعدت الصورة الهدية . وذات مساء ـ قبل نزول المصور الى الشارع بيوم واحد ، اتصل بى جمال قائلا : يا حلمى الغى فكرة الصورة الهدية ، فقلت بدهشة : لكن احنا طبعناها فعلا وجاهزة للتوزيع مع المصور غدا . فرد بحدة : لا الغى الهدية وتعال حالا عندى هنا . وذهبت فى الحال الى جمال عبد الناصر وشرح لى الأسباب التى دفعته الى الغاء الصورة الجماعيـة قائلا : ماتتضايقش يا حلمى لأن فيه اثنين من الذين يظهرون فى هذه الصورة وسيراهم الناس غدا سوف يختفون بعد فترة وأنا لا أريد الناس أن ترانا اليوم وبعد فترة يجدونا وقد نقصنا اثنين : وسألته عن الاسمين فقال : يوسف صديق وعبد المنعم أمين .

ومن هنا نرى النية كانت مبيتة للتخلص من والدى رغم أن الاتصال به كان مستمرا فى أســوان فى محاولة أو للتظاهر بأن هناك جهودا تبذل لتقارب وجهات النظر ٠

بعد عودتنا من أسوان والافراج عن زوجى كان رفاق والدى من مجلس قيادة الثورة يحضرون الى منزل والدتى بحلمية الزيتون لمقابلته ومواصلة المناقشات حول الموقف السـياسى وكان صلاح سالم يتناقش بعصبية قائلا (ايه يعنى لما نعـدم مليون شخص فى سبيل نجاح المسيرة وحتى لا تنتكس ثورتنا كما انتكست ثورة ١٩١٩) ٠

فقال له أبى اننا لم نقم بالثورة من أجل اعدام المصريين والتنكيل بهم وليست هذه مبادئى التى قمت من أجلها ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠ وعلى العموم شد حيلك يا صلاح المهم أن أبى وجد المناقشات تدخل فى طريق مسدود ٠ ثم تم الاتفاق على سفره الى سويسرا للعلاج ولم يعلم انما هو ابعاد عن وطنه ٠ وجاء جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ومعهم وحيد رمضان ومحمد السقا ومحمود الجيار لوداعه قبل سفره فكانت الصورة (على سلم الفيلا بحلمية الزيتون) وكانوا جميعا بالملابس العسـكرية وهو بينهم بالملابس المدنية (مارس سنة ١٩٥٣) ٠

بعد قبول استقالته من مجلس قيادة الثورة سافر والدى الى سويسرا فى مارس سنة ١٩٥٣ وبعد ٣ شهور طلب العودة الى وطنه ولكنهم رفضوا فسافر الى لبنــان فى شهر يونيه سنة ١٩٥٣ وقد وصف فى قصيدتــه (من الجنــة) احســاسه المرير بالمنفى والابعــاد والغربة خارج البلاد بعد قيامه بالعمل البطولى فى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠ حتى وصف نفســه بالشــهيد الذى دخل

الجنة • وطلب العودة مرة أخرى من لبنـان فرفضوا وأرسلوا له زوجته السيدة / علية توفيق وطفليها حسين ونعمت • ولكنـه عاد سرا وفجأة فى أغسطس سنة ١٩٥٣ حيث جاء الى بلده (زاوية المصلوب) وأرسل برقية الى الرئيس محمد نجيب قال له فيها (أنا وصلت مصر) حيث قرر المجلس تحديد اقامته فى بلدته حيث حوصر المنزل بعـدد كبير من الجنود والمخبرين • ثم سـافر الى القاهرة فى أوائل العام الدراسى مع استمرار تحديد اقامته بالمنزل •

أزمة مارس سنة ١٩٥٤ •

رغم تحديد اقامة والدى الا أنه فى خلال أزمة مارس سنة ١٩٥٤ قام بكتابة خطاب سلمه بنفسه للرئيس اللواء محمد نجيب ونشرت جريدة « المصرى » نصه اقترح فيه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيون والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت ، تحدث فيها صراحة عن ضرورة تخلى الجيش عن السلطة ونقلها الى الشعب من خلال اجراءات ديمقراطية ، فقد تمسك منذ البداية بالديمقراطية نظاما لحكم البلاد فى هذه الفترة أخبرنى أبى أنه يريد مقابلة الصحفى « أمين عبد المؤمن » ليعمل معه حديثا فى جريدة المصرى ـ وكنت أعرف هذا الصحفى حيث كان يتردد على منزل والدى بثكنات العباسية فى بداية الثورة ـ والمشكلة أن والدى لا يستطيع الخروج من المنزل لأن اقامته محددة بالمنزل الذى يوضع عليه حراسة ٢ مخبرين فرسم لى أبى الخطة للقيام بهذا العمل وقد نفذت هذه الخطة بنجاح • ذهبت فى الموعد المحدد لمقابلة الصحفى « أمين عبد المؤمن » الذى كان منتظر ظهرا أمام « حلمية بالاس » وهو الملهى الذى كان يسهر فيه الملك فاروق قبل الثورة وكان مكانه المفضل للسكر والعربدة وكان هذا الملهى قريبا من منزلنا فى حلمية الزيتون قابلت الصحفى وطلبت منه

أن يتبعنى لأننى سأدخله الفيلا بطريقة سرية حتى لا يراه الحرس الواقف أمام الفيلا ، وكان بحديقة الفيلا الخلفية مكان مفتوح بين الأشجار يسمح بمرور فرد واحد بشرط أن يكون مثنى القامة - تطل هذه الفتحة على ممر بين فيلتين خلفيتين ويقود الى الشارع الرئيسى - دخلت من الفتحة التى بين الأشجار بسهولة لأننى صغيرة وجسمى رفيع وتبعنى الصحفى بصعوبة حيث أنه كان بدين الجسم ولكنه استطاع الدخول الى داخل الحديقة الخلفية ثم الى داخل المنزل من الخلف ، وكان لقاءه بالوالد والحديث الذى نشر بعد ذلك فى جريدة « المصرى » .

البوليس الحربى يحاصر الفيلا :

بعد نشر مقالات الوالد وأحاديثه فى جريدة « المصرى » وبعد أن عبر عن أرائه الشجاعة وتمسكه الشديد بقضية الديمقراطية حدث الآتى :

حضرت مع زوجى وابنتى الرضيعة ليلى الى القاهرة لزيارة أسرتى حيث تركنا الطفلة معهم وذهبت مع زوجى الى سينما مترو لمشاهدة فيلم ذهب مع الريح ، وعند عودتنا رأينا مشهداً مفزعا ، حيث وجدنا الفيلا التى تملكها والدتى السيدة / توحيدة صبرى بحلمية الزيتون محاصرة من الخارج بعدد كبير جدا من جنود البوليس الحربى المسلحين ببنادق (برته) سريعة الطلقات وداخل الحديقة عدد كبير منهم وأمام الفيلا كانت توجد قطعة أرض فضاء شيد فيها الجنود خيمة كبيرة بها عدد كبير آخر من نفس الجنود وتحولت الفيلا الى ثكنة عسكرية مسلحة وكأن الحرب قد قامت ، وحاول رئيسهم منعى من الدخول فأخبرته أننى ابنة يوسف صديق فأخبرنا أنه قد تم تحديد اقامته بالمنزل وأنه ممنوع الدخول أو الخروج منه فطلب منى زوجى الدخول ومضى هو راجعا حتى لا تحدد اقامته بالتالى :

وجدت والدى فى حالة عصبية شديدة من هذا الاجراء الفاشستى العنيف الذى ان دل على شيء انما يدل على ترسيخ الحكم الفردى الدكتاتورى الذى ستراه البلاد قريبا على يد هؤلاء الأحرار الذين عزلوا الملك الفاسد وجاءوا ليخلصوا مصر وشعبها من الطغاة والظالمين ، خاصة وأننا علمنا أن الفيلا التى كان يسكنها الرئيس محمد نجيب والتى كان شارع طومنباى يفصلها عن فيلتنا ، قد تم تغيير الحراسة حولها بحراسة اخرى تنتمى الى التيار المعادى للرئيس محمد نجيب مما جعل والدى يوصف رسالته اليه بأنها رسالة من « الحر المعتقل الى المعتقل الحر » .
وفى هذه الفترة حدث أن مرضت ابنتى الرضيعة فخرجت لأشترى لها دواء من الصيدلية المجاورة وتسللت خارجة حتى لا يشعر ابى بأى احتكاك محتمل من الحرس ، فتصدى لى رئيس الحرس قائلا ممنوع يافندم الخروج فأخبرته بهدوء ان ابنتى الرضيعة مريضة وانى ذاهبة لاحضر لها الدواء فقال اذ خرجت لن أسمح لك بالدخول هذه هى الأوامر فقلت بانفعال « سأرجع بالدواء وسأرى كيف ستمنعنى من الدخول » . وفعلا أحضرت الدواء ولم يحتك بى .

وفى هذه الفترة أيضا فى مساء أحد الأيام جاءتنا مكالمة تليفونية من مجهول يخبرنا أن هناك مؤامرة ستتم لاغتيال كل من محمد نجيب ويوسف صديق . فما كان من والدى الا أن يقوم ويرتدى ملابسه الكاملة ويجلس فى التراس . ينتظر تنفيذ الاغتيال وشبيه ذلك برجال الملك من الحرس الحديدى الذين كانوا يغتالون الوطنيين مثل « عبد القادر طه » قبل الثورة ، وكانت ليلة من أسود أيام حياتنا ، جلسنا كلنا حوله فى التراس ، تتوقف قلوبنا عند سماع صوت سيارة يقترب من الفيلا الى أن طلع النهار ونحن فى أسوأ حال ، وفى أثناء الليل حاولت والدتى الاتصال بزوجة الرئيس محمد نجيب وكانت صديقتها محاولة أن تلقى الضوء على

هذا الحدث ولكنها أخبرتها أن الرئيس ذهب الى مطار القاهرة لتوديع الملك سعود الذى كان فى زيارة لمصر ·

القبض على والدى :

وفى ابريل سنة ١٩٥٤ قام الرفاق باصدار الأوامر للقبض على والدى ، وأرسلوا له احد تلاميذه ظنا منهم بأن هذا يحط من قدره ، ليقوم بعملية القبض عليه فما كان من هذا الضابط الا أن يقوم بالتحية العسكرية وأن يحمل لوالدى الحقيبة التى بها ملابسه ويوصله الى سجن الأجانب ، حيث قمت بزيارته فى اليوم التالى مع شقيقى محمد واخبرنا ان بالسجن عدد كبير جدا من رجال السياسة والفكر والصحافة ـ ثم نقل بعد ذلك الى السجن الحربى حيث وجد الأميرالاى احمد شوقى وعدد من ضباط الاخوان المسلمين مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ومعروف الحضرى وأبو المكارم عبد الحى وحسين حموده وكانت الفوضى متمثلة فى اعتقال الاخوان الى الحد الذى كانت ادارة السجن توزع على المعتقلين أوراقا لتسجيل اسمائهم وتاريخ حضورهم ، وقد أمضى والدى سنة وشهر فى السجن الحربى ، وفى هذه الفترة عاصر التعذيب الشديد الذى وقع على قيادات الاخوان المسلمين وأعضاء جماعتهم ، وكنت أزوره كل أسبوع فكان يقص علينا ما يحدث من أبشع أنواع التنكيل ما فاق كل تصور وما لا يتصوره عقل · وفى احدى هذه الزيارات لوالدى بالسجن الحربى بعد أن اعترف أعضاء الجهاز السرى بأسماء زملائهم وبالتنظيم كاملا وتم القبض على جميع الأعضاء وكان الناس يلومون القيادة لهذا الاعتراف ، ، قال أبى أنه رأى بنفسه العذاب الشديد الذى وقع على هؤلاء القادة من الجلد الذى كان يتطاير فيه لحمهم الى اطلاق الكلاب التى تنهشهم الى سحلهم بالخيل ، ولم ينطقوا بحرف واحد ولم يعترفوا الى أن جاءوا

بزوجة (هنداوى دوير) وكان شابا صغيرا وكانت زوجته ببلدتها لتضع مولودها فأتوا بها الى السجن الحربى وخلعوا ملابسها أمامه ووضعوها على العروسة وقالوا له أنهم سيفعلوا معها ما فعلوه به ، فطلب منهم أن يرجعوها الى بلدتها وقام بالاعتراف الكامل على النحو المعروف بعد ذلك · وفى آخر كل زيارة لأبى فى السجن الحربى كان يعطينا كيسا كبيرا به عدد كبير من الخطابات التى كتبها المعتقلون الى ذويهم لكى أرسلها عن طريق البريد حتى يعرفوا مكان الاعتقال · وطبعا هذا يوضح الناحية الانسانية التى يقوم بها والدى من خدمة هؤلاء المعتقلين رغم اختلاف رأيه ومبادئه مع هذه الجماعة ، ولأنه الوحيد الذى كان معه جهاز (راديو) فى السجن ، فقد كان يسمع الأخبار ويقوم بتحرير جريدة من صفحة واحدة وينسخ منها ٤ نسخ على يده ويوزعها على العنابر الأربعة الموجودة بالسجن وبهذه الجريدة موجز لأهم الأنباء وكان أهمها فى ذلك الوقت الأحكام التى كانت تصدر من المحاكم العسكرية باعدام عدد كبير من الاخوان والتى كانت تخفف الى الأشغال الشاقة المؤبدة · وكان يسمع تهليلهم فرحين صارخين عندما تصلهم الجريدة بأخبار الأشغال الشاقة المؤبدة ـ ويعلق ضاحكا « ولاد الكلب فرحانين بالتأبيدة » ·

وقد عبر والدى عن هذه المرحلة الرهيبة بالسجن الحربى بثلاث قصائد الأولى « فرعون » هاجم فيها عبد الناصر ووصفه بفرعون وبأنه دعى لبس المسوح وضلل الشعب وقتل الشباب وخان العهود هذه القصيدة هى أعنف ما كتبه فى السجن وفيها أعلن غضبه على الدكتاتورية · والقصيدة الثانية (المجد الزائل) يسخر فيها من عبد الناصر لاعتقاله النساء ويتوقع له زوال المجد الذى بناه على أشلاء المظلومين · والقصيدة الثالثة (استقبال الصديق) حيث أنجبت ولدى يوم ٤ يناير سنة ١٩٥٥ ، وكان والدى معتقل

بالسجن الحربى وكان زوجى فى سجن القناطر ينتظر محاكمته عسكريا لدى محكمة « الدجوى الشهيرة » فرأيت أن أسمى ابنى « يوسف صديق » حيث أن تاريخ ميلاد والدى ٣ يناير سنة ١٩١٠ ، وأخذت وليدى الى سجن القناطر ليراه والده ثم أخذته الى السجن الحربى ليراه جده ، فكانت هذه القصيدة التى تصور الى أى مدى كانت حالته النفسية فيقول :

أقبلت تسـعى من الظلمـاء للنـور

فأسلمتـك دياجـير لديجـور

أشرق بنـورك فالأيـام حالـكة

من هـول ما اقتـرفت فينـاق من الجور

القبض على والدتى : ـ السيدة / توحيدة صبرى .

بعد القبض على والدى وايداعه سجن الأجانب فوجئنا فى فجر أحد الأيام بحضـور عدد كبير من رجال الداخلية (وكان زكريا محيى الدين وزيرا للداخلية فى هذا الوقت) حضروا الى منزلنا وانتشروا فى جميع غرف المنزل وفى الحديقة التى تحيط الفيلا من كل جانب للتفتيش ، واذا بأحدهم يخـرج من غرفـة كانت مخصصة للخادمة ومعه عدد كبير من منشورات الحزب الشيوعى (الراية) وقال للرئيس « وجدت هذه المنشورات يا فندم فى شنطة حديد بالغرفة . وأذكر أننى أخذتها منه لأعرف ما هى وكانت ساخنة (طازه) بتاريخ نفس اليوم فقلت للخادمة أمامهم « من امتى انتى زعيمة كبيرة واحنا مش مقدرينك » طبعا الخادمة صغيرة وأمية لا تعرف القراءة والكتابة . عند هذا طلب رئيسهم من والدتى أن

فتوجه معهم الى وزارة الداخلية للتحقيق معها فى امر المنشورات ، ولما كانت والدتى من أسرة محافظة وليس لها أى علاقة بالسياسة وتعيش فى حزن على زوجها المعتقل بالسجن الحربى وزوج ابنتها (زوجى) المحبوس فى سجن القناطر وأن المنزل الذى غزاه رجال الداخلية فجرا ليس به سواها وأبنائها (سهير كاتبة هذه السطور وعمرها ١٧ سنة وطفلتها الرضيعة ليلى ومحمد ١٦ سنة ومحمود سنه ١٤ سنه وأحمد سنه ١٢ سنة والخادمة صاحبة المنشورات وسنها ١٨ سنة ٠ فما كان من والدتى أن طلبت أن تتصل بالرئيس محمد نجيب أو بوزير الداخلية زكريا محيى الدين لتسأله ان كان من اللائق أن تخرج من منزلها فى هذا الوقت الغريب مع هذا العدد الكبير من رجال الداخلية أو أن تأخذ معها ابنها محمد ليعرف ماذا سيحدث لها ولكن الرجال القادمين لتنفيذ المهمة المحددة وهى تلفيق تهمة خطيرة لزوجة الرجل السـجين والذى كان له الفضـل فى جلوسهم على كرسى الحكم ، رفضوا أى مطلب لهـا واقتـادوها الى وزارة الداخلية وهناك اكتشفت أن المقصود بتلفيق هذه التهمة لها هى زوجته الثانية / علية توفيق ٠ فقـد أعاد والدتى الضابط محمد السقا الى المنزل وبنفس المنشورات التى خرجت من شنطة الخادمة ذهبوا الى منزل الزوجة الثانية حيث تم القبض عليها وعلى خدم المنزل وتركوا ابنيها حسين ونعمت وهم أطفال صغار بمفردهم بالمنزل الى أن أتت خالتهم واخذتهم الى منزلها ٠

وفى نفس الوقت قمت بزيارة والدى بسجن الأجانب وحكيت له ما حدث بالتفصيل حتى يكون فى الصورة ٠ ٠

المقاومة الشعبية سنة ١٩٥٦

فى مايو سنة ١٩٥٥ أفرج عن والدى من السجن الحربى حيث تقرر تحديد اقامته فى منزلنا بحلمية الزيتون الى أن أفرج

عن زوجته السيدة / علية توفيق فانتقل ليعيش معها ومع أولادها حسين ونعمت فى عزبة النخل مع استمرار تجديد اقامته الى أن وقع العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ فقاد والدى المقاومة الشعبية بمنطقة عزبة النخل . وبعدها رفعت الحراسة عنه ، ورغم تأييد والدى لقرارات جمال عبد الناصر الوطنية بارسال برقيات تأييد أو حتى كتابة قصائد شعر تنشر فى الصحف والمجلات ، الا أنه لم يسمح له أن يعمل فى أى مجال من المجالات حتى الأدبية أو المدنية فقد كان يرغب فى العمل كمدير لدار الكتب المصرية أو يرشح نفسه فى مجلس الأمة عن محافظة بنى سويف الا أن جميع طلباته قوبلت بالرفض . وكان من المؤلم له نفسيا أن يرى احتفالات عيد ثورة يوليو تمر كل عام ويحضرها جميع الناس من عسكريين ومدنيين ، وللأسف لم يدع ولا مرة واحدة للاحتفال بهذا العيد الذى يعيد الى أذهانه تفاصيل الدور العنيف الذى قام به فى هذا اليوم التاريخى والاقتحام الشجاع الذى قضى على الملكية الفاسدة فى البلاد والذى غير مسار التاريخ الملكى لتصبح أول جمهورية مصرية ..

المرض والوفاة فى ٣١ مارس سنة ١٩٧٥ .
مصر تشيع جنازة يوسف صديق

فى صيف عام ١٩٧٠ أمر الرئيس جمال عبد الناصر بسفر والدى الى الاتحاد السوفيتى للعلاج وكان يعانى من مرض السكر وارتفاع الضغط ولغط فى القلب .

وفى أثناء فترة العلاج وفى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ توفى الرئيس جمال عبد الناصر وتولى الرئيس أنور السادات الحكم فى البلاد ، فأرسل والدى من موسكو برقية عزاء للرئيس السادات وفى نفس الوقت تأييد له فى الرئاسة كما كتب قصيدة رثاء فى

جمال عبد الناصر بعنوان « دمعة على البطل » نشرت فى ذكرى الأربعين للرئيس جمال عبد الناصر .

وابتداء من هذا الوقت أخذ المرض الذى عانى منه طيلة حياته يعاوده وظل يقاوم المرض والألم خمس سنوات ، وأجريت له عملية استئصال للرئة اليسرى فى لندن لاصابته بسرطان الرئة ، حتى سقط يوم ٣١ مارس سنة ١٩٧٥ بعد نقله من منزلة بالمهندسين الى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى حيث رافقناه أنا وشقيقى حسين ومحمد وزوجته السيدة / دولت الشافعى وطفلتيها ليلى وسحر وكان والدى فى حالة غيبوبة .

وفى فترة مرضه الأخيرة زاره بمنزله عدد من رفاقه منهم السيد / حسين الشافعى وكان نائبا لرئيس الجمهورية ومن الضباط الأحرار السادة / عبد المجيد شديد ووحيد رمضان وأحمد حمروش .

فى هذه الأثناء قمت بزيارة الأستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى فى مكتبه « بروز اليوسف » . وشرحت له ظروف مرض والدى والتى شعرت أنها النهاية وطلبت منه أن يقوم عدد من الكتاب بالتمهيد لهذه النهاية بالصورة التى يستحقها هذا البطل الذى لا يعرفه الكثيرون وحتى يعاد للأذهان سيرة هذا الرجل والتذكير بدوره البطولى فى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ونضاله قبل الثورة وبعدها .

وقد قوبل طلبى بالترحاب من كل المخلصين وعلى رأسهم الأستاذ / أحمد حمروش الذى زار والدى بمنزله وكان على فراش المرض ، ولما دخل عليه غرفة نومه « أدى له التحية العسكرية » قائلا ومبتسما : « لسه فاكرين العسكرية » .

وقد كتب مقاله فى مجلة روز اليوسف العـــدد ٢٤٣٦ بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٩٧٥ بعنــوان « صفحـــة من يوليو على فراش المرض » واستعرض فيها قصة هذا الرجل ويدأها بالتعريف :

الاسم : يوسف صديق

المهنة : بطل

واستعرض فى هذا الموضوع لمحـــات من حيـــاته ونضـــاله وأشعاره ومواقفه الشجاعة وجسارته على طول مراحل حياته ، وفى عدد « روز اليوسف » ٣٤٤٠ بتاريخ ٢٤ مارس سنة ١٩٧٥ كتب الأستاذ / أحمد حمروش مقالة أخرى بعنوان « يوسف المفترى عليه » كما قدمت المجلة نداء باسم « يوسف البطل » تدعو فيـــه محبيه بالدعاء للبطل الذى يرقد على فراش المرض وأن يرد عليـــه صحته : كتبت :

« ان هذا الرجل الذى وضع رأسه على كفه ليلة ٢٣ يوليو ، ثم لم يطلب ثمنا ، ولا منصبا ، ولا ثروة ، ولم يسمح لمطمع شخصى بأن يجرفه عن طريق الثورة ، هذا الرجل جدير بأن تحيط به ـ فى محنة مرضه ـ عواطف كل الذين أحيتهم ثورة يوليو من عدم ، وحولتهم من عبيد الى أحرار ، ومن رعايا الى مواطنين ، وأى الرجال أجدر بالحب والدعوات والأمنيات الطيبة من رجل كل ثروته فى الحياة أنه أدى واجبه ؟

اتصل بى السيد / عبد المجيد شديد معلنا أن الدولة تعتبر الوالد رجلها وأنها ستقوم بكل الاجراءات اللازمة فى موضوع الوفاة ، وطلب منى أن أرسل له صورة للوالد والنعى الذى سيكتب فى الجرنال فشكرته وفعلت ما طلبه منى ـ وعنه اعلان المستشفى

بوفاة الوالد ، ذهبت انا وشقيقى المحاسب محمد والنقيب شرطة حسين الى مكتب السيد / عبد المجيد شديد باللجنة التنفيذية على كورنيش النيل ، وهناك وجدت ضباطه فى حالة بكاء شديد (محمد السقا ، وحيد رمضان – عبد المجيد شديد) وقابلت السيد / خالد محيى الدين الذى أخبرنى أن السيد حسين الشافعى بمكتبه وتحت الخدمة – فشكرتهم جميعا أنا واخوتى على شعورهم وسألنا السيد / عبد المجيد شديد الذى كان يضع صورة والدى أمامه ومعها النعى الذى كتبه زوجى فى سجن أبو زعبل ، فسألناه عن الاجراءات التى ستتخذ ، فلما أخبرنا أنه قد تم الاتفاق على أن ينشر النعى مع الصورة فى جريدة الأهرام ، وسيقام سرادق أمام مسجد عمر مكرم وستقام ثلاثة أيام للعزاء بمنزل الأسرة ، فقلت له أن هذه الاجراءات عادية وتحدث لأى شخص وان العائلة تستطيع أن تقوم بهـا كاملة دون أى عنـاء ، وحـددت له مطالبى على النحو التالى :

١ – يشيع جثمان والدى فى جنازة عسكرية ٠

٢ – ينشر فى جميع الجرائد نبذة عن حياة والدى ليتذكر النـاس من هو (يوسف صديق) ٠

٣ – ينشر النعى فى جميع الجرائد ٠

٤ – يصور التليفزيون الجنازة وتذاع فى نشرة الأخبار ٠

٥ – يحضر زوجى تشييع الجنازة ويتلقى العزاء مع أفراد الأسرة (كان زوجى فى سجن أبو زعبل تحت التحقيق فى احدى القضايا الشيوعية)

هذه كانت مطالبى التى عرضتها على السـيد / عبد المجيد شديد فقال لى أنه لا يستطيع أن يلبى هـذه الطلبـات ألا بعـد

الاستئذان من الرئيس أنور السادات فسألته أين هو قال فى القناطر فطلبت منه أن يبلغه بهذه الطلبات وفعلا قام واتصل أمامى بمكتب الرئيس وبعد فترة عاد قائلا بالنص « أمر الرئيس بأن تجاب كل طلبات أبناء يوسف صديق فورا » وكان هذا موقفا كريما من الرئيس السادات · وفعلا فى صباح ١٩٧٥/٤/١ شيعت جنازة الوالد عسكريا وقد حمل الجثمان على عربة مدفع تجرها الخيول ولف النعش بعلم الثورة ، حيث سارت الجنازة من مسجد عمر مكرم بميدان التحرير الى جامع شركس ، واشتركت فى تشييع الجنازة وحدات رمزية من طلبة الكليات والمعاهد العسكرية وموسيقى القوات المسلحة وحاملوا أكاليل الزهور من جنود القوات المسلحة ، كما اشترك فى تشييع الجنازة نائبا عن الرئيس أنور السادات الفريق محمد سعيد الماحى ، والسيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ، والرئيس محمد نجيب ومن أعضاء مجلس الثورة · كمال الدين حسين وحسن ابراهيم وعبد المنعم أمين وعبد اللطيف البغدادى وخالد محيى الدين والسادة رؤساء مجلسى الشعب والوزراء وعدد من الوزراء والضباط الأحرار ، كما حضر الجنازة « زوجى الأستاذ محمود توفيق » من محبسه برفقة رجال الشرطة حيث تلقى العزاء مع أفراد الأسرة · حضر تشييع الجنازة الآلاف من أبناء الشعب الذين اصطفوا على جانبى طريق الجنازة وفى ميدان التحرير وميدان طلعت حرب وحتى جامع شركس حيث تم نقل الجثمان الى مدافن الأسرة بالبساتين حيث أطلقت المدفعية ٢١ طلقة تحية للبطل وعزف البروجى « نوبة رجوع » وهو لحن جنائزى ·

— وكان للكلمات والمقالات التى كتبت بعد وفاة والدى والسيل المتدفق من كلمات الرثاء من الرفاق والمخلصين والتى نشرت فى الصحف والمجلات — العزاء لأسرتنا مما ألهمنا بعض

الصبر والسلوان فى مصابنا الأليم وأن الفارس المقدام والثائر الحر لم يمت وأنه لم يزل وسيظل حيا فى قلوب الناس ٠

ومن المقالات الرائعة الكثيرة التى كتبت بعد وفاة والدى :

- من ليلة الثورة الى ليلة الرحيل ٠ بقلم خالد محيى الدين « روزا اليوسف » ٠
- حب المقاتل لوطنه بقلم فتحى خليل ٠ « روزا اليوسف » ٠
- رحلة يوسف صديق ٠ « روز اليوسف » ٠
- أخيرا هدأ السائر « يوسف صديق » ٠ جريدة الجمهورية عبد المنعم الصاوى ٠
- مصر تحتضن أولادها ٠ بقلم أحمد زكى عبد الحليم ، « حواء »
- شخصية هذا الرجل بقلم أحمد حمروش ، « الجمهورية » ٠
- عبد الناصر وخالد ويوسف صديق يروون أحداث ليلة ٢٣ يوليو بقلم : ابراهيم طلعت الوفدى ٠ « روز اليوسف » ٠
- عبد الناصر وأزمة مارس – بقلم د٠ عبد العظيم رمضان ، « صباح الخير » ٠
- يا من تحبون الثورة – اذكروا يوسف صديق ، بقلم غالى شكرى ٠
- مذكرات لم تنشر ليوسف صديق بقلم يوسف صبرى ، « روز اليوسف » ٠
- هذا الرجل من مصر ، بقلم لمعى المطيعى ٠
- فكرة مصطفى أمين ، « الأخبار » ٠

— يوسف صديق بطلا ديمقراطيا ـ سعد كامل ، « الأخبار » ·

— موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، الدكتور أحمد شلبى ·

— « آخر كلمات محمد نجيب » ·

— وداعا أيها الرفيق ، بقلم ابراهيم عبد الحليم « دراسات اشتراكية » ·

— يوسف صديق فارسا مصريا أصيلا ، « الطليعة » ·

والأبيات التالية فى رثاء والدى كتبها الشاعر كمال عبد الحليم وقد قمت أنا وشقيقتى نعمت بكتابتها على رخامة فى مدفن الوالد ·

ها هنــــا يرقــــد من أيقظنــــــا
وافتـــــدى مصر بصـــــدر ينـــزف

ها هنـــــا فارســــنا شـــــاعرنا
رافع الرايات حمــــــرا يوســـف

فالى يوم حســــــاب صـــــادق
ســيظل الشـــعب عينــــا تذرف

٢ ـ يوسف صديق

رسالة الى الدكتور عبد العظيم رمضان

من الأستاذ : محمود توفيق (*)

تحمل اليك كتابى هذا السيدتان سهير (زوجتى) ، وليلى ، كريمتا المرحوم البطل يوسف صديق ، ويؤسفنى أننى لم أستطع الحضور بنفسى بسبب المرض ، كما أننى آسف أيضاً لعدم حضور شقيقهما اللواء حسين ، بسبب ظروف طارئة حالت دون امكان حضوره . وهما تنوبان عن باقى الأسرة ، وفيهما الكفاية .

وهما تحملان أيضاً نسخة من مذكرات والدهما ، وهى المذكرات التى قام باعادة كتابتها قبل وفاته بمدة وجيزة ، وتحت يدهما أصلها المحرر بخطه والممهور بتوقيعه ، وهو مطابق لما بين يديك ، فيما عدا شىء من التعديل فى الصياغة بالتقديم والتأخير واعادة الترتيب ، وقليل جداً من الحذف ، تم اجراؤه بناء على موافقته السابقة قبل وفاته ، طبقا لما هو ثابت على النسخة المحررة بخطه وامضائه .

(★) الأستاذ محمود توفيق ، هو الشاعر والمحامى والمناضل اليسارى المعروف ، وكانت تربطه بالمرحوم يوسف صديق ـ الى جانب القرابة والمصاهرة ـ صداقة حميمة ، وروابط فكرية ونضالية وثيقة .

وهما تحملان اليك أيضا العديد من المواد المهمة التى تلقى الكثير من الضوء على قصة المرحوم يوسف صديق مع الثورة ، وقصة الثورة مع يوسف صديق ، سواء عند قيامها ، أو بعد قيامها ، والتى تعتبر مرجعاً غزيراً للكتابة عنه ، سواء كمقدمة للمذكرات ، أو لاصدار بحث تاريخى موسع فى هذا الشأن .

ولا يفوتنى فى هذا المجال أن أشير الى أن هدف الأسرة أساسا هو احياء ذكرى المرحوم يوسف صديق ، وتسجيل دوره التاريخى فى ثورة يوليو ، ليكون تحت نظر الجيل الحالى ، والأجيال القادمة . أما عن المقابل المادى المستحق للورثة عن نشر المذكرات ، فالأمر متروك لك وللهيئة فى تحديده على النحو الذى ترونه مناسبا .

هذا ويهمنى أن أبدى لكم بعض الملاحظات الموضوعية فى أمر المرحوم يوسف صديق وقصته مع الثورة ، بحكم معاصرتى لتلك الأحداث من موقع المشاركة السياسية ، ثم بحكم علاقتى الوثيقة جداً بيوسف ، اذ تعلمون أنه لم يكن قريباً أو صهراً لى فحسب ، بل كان فوق ذلك صديقاً حميماً ، ورفيق موقف ورأى ونضال ، من خلال روابط فكرية ونضالية وثيقة ، وعلى ضوء ذلك كله يمكننى أن أقول ، لوجه الله ، ولوجه الحق والحقيقة ، فى شأنه ما يلى :

١ ـ أن يوسف وان كان شديد التعاطف مع الحركة الشيوعية ، الا أنه ظل دائماً متحفظاً على موقف الشيوعية من الدين ، ومتمسكاً بايمانه الدينى ، ومؤمناً بأن الدين الاسلامى بالذات ، له مضمون ثورى وتقدمى وديموقراطى أكيد ، وما ذكره فى مذكراته فى هذا الشأن هو تقرير صادق لحقيقة موقفه السياسى والفكرى .

وما جذبه للتعاطف مع الحركة الشيوعية انما كان قناعته بدورها فى النضال الوطنى ، والديموقراطى ، ومن أجل التقدم والعدالة الاجتماعية ، وان كان يأخذ على الشيوعيين المصريين

أمرين : الأول : تفشي الانقسامية بينهم ، والثانى : اعتمادهم الزائد على الوسائل الدعائية ، وافتقارهم الى الوسائل العملية فى العمل السياسى والتنظيمي ، وهو ما حدا به للانضمام الى تنظيم الضباط الأحرار فور علمه بوجوده ، لكونه يقدم طريقاً عملياً لتغيير الأوضاع عن طريق الثورة المسلحة .

٢ — أن يوسف كان شديد الايمان بضرورة الثورة على النظام الملكى ، والعمل على قلبه بالقوة المسلحة . وكان هذا الايمان العميق هو سر شجاعته وبطولته الأسطورية ليلة ٢٣ يوليو ، اذ كان يرى أن الأمر هو أمر حياة أو موت ، سواء بالنسبة له شخصيا ، أو بالنسبة لسائر القوى الوطنية فى البلاد ، سواء داخل الجيش أو خارجه .

٣ — أنه كان شديد الايمان بالأهداف المعلنة للثورة ، وهى الأهداف الستة المعروفة ، والتى على أساسها قبل الانضمام لتنظيم الضباط الأحرار ، والعمل فى صفوفه . وكان يرى أن هذه الأهداف الستة هى كل لا يتجزأ . ومن هنا كان رفضه القاطع لأى محاولة للخروج عنها ، أو لتجزئتها ، كما كان حزنه وغضبه ازاء ما أبداه معظم أعضاء مجلس الثورة من مواقف تنطوى على تراجع عن تلك المبادىء ، ولا سيما مبدأ الديمقراطية ، أو محاولة للتملص من الالتزام به ، وكان يرى أن الالتزام بالموقف الديموقراطى هو الضمان الأول لنجاح الثورة فى تحقيق سائر أهدافها . وكان موقفه فى ذلك وليد قناعاته السياسية والفكرية ، ولم تكن له أية دوافع أخرى سوى الاخلاص لمصلحة شعبه ، والتى من أجلها ضحى عن قناعة تامة بكل المنافع والأعراض .

ولا يفوتنى أيضا أن أتعرض لنقطة مهمة كنتم قد تعرضتم لها فى بعض كتاباتكم عن أزمة مارس سنة ١٩٥٤ ، وعن دور يوسف

صديق فيها ، وما قال على لسان صاوى أحمد صاوى من أن يوسف صديق قد اتصل به وعرض عليه مبلغ عشرة آلاف جنيه ، أو وعده بها ، مقابل قيامه بتنظيم اضراب لعمال النقل العـام لمناصرة موقف القوى الديموقراطية فى الأزمة . واحقاقاً للحق ، احب أن أوضح لكم : أمرين :

الأول : رغم أننى لم اكن فى تلك الأيام على صلة يومية بيوسف صديق ، فقد كنت منخرطاً فى العمل اليومى المباشر للمشاركة فى أحداث الهيئة الديمقراطية آنذاك ، فاننى ، وعلى ضوء معلومات توصلت اليها بعد ذلك ، مقتنع بصحة ما توصلتم اليه من حدوث لقاء بين يوسف صديق وبين صاوى أحمد صاوى فى تلك الأيام الحرجة فى محاولة من يوسف لكسب تأييد عمال النقل المشترك لموقـف القوى الديموقراطية . ويؤيد ذلك ما يلى :

١ — ايمان يوسف بموقف ودور الطبقة العاملة الثابت من قضية الديموقراطية على مدى تاريخنا الحديث .

٢ — وجود صلة نسب — وان كانت بعيدة — بين يوسف ، وبين صاوى ، فالأخير يمت بصلة قرابة لزوجته الأولى — السيدة توحيدة محمود صبرى ، مما حدا بيوسف الى توسم القدرة على التأثير عليه من هذه الناحية الشخصية أيضاً .

٣ — وجود حلقة صلة بين الاثنين ، هو أحمد الأزهرى العامل بالنقل المشترك ، وزميل صاوى ، مما كان من شأنه تسهيل حدوث اللقاء بين الطرفين . وللعلم ، فان أحمد الأزهرى مازال حياً يرزق ، ويمكن الاتصال به لمعرفة حقيقة هذا الأمر (١)

---

(١) توفى المرحوم أحمد الأزهرى بعد ارسال هذه الرسالة فى مايو ١٩٩٨

والثانى : أننى أنفى لكم نفياً قاطعاً تلك الفرية التى نسبت الى يوسف ، من أنه عرض على صـاوى مبلغاً كبيراً من المـال (عشرة آلاف جنيه) ، أو وعده به ، مقابل قيامه بتنظيم اضراب لعمال النقل ، واستند فى هذا النفى الى ما يلى :

١ ـ ليس من مبادىء يوسف صديق ، ولا مما يتفـق مـع أخلاقياته ، أن ينتهج أسلوب الرشوة فى العمل النضالى ، فلم يكن يوسف بحال من الأحوال ممن يؤمنون بأن الغاية تبرر الوسيلة ، بل ان هذه الأساليب كانت تتناقض مع شخصيته على طول الخط ، ولعل هذا يفسر الكثير من الأمور فى علاقته مع سلطة الثورة .

٢ ـ لم يكن مع يوسف فى يوم من الأيام مثل هذا المبلغ ، حتى يعطيه لصاوى أو يعده به ، كما لم يكن متصوراً أن يحصل عليه أو يطلبه من أية جهة أو أى شخص .

ان هذه القصة مختلقة تماماً ، والواضح أن صاوى قد اختلقها للحصول على مبلغ من المال من جهات السلطـة التى كان على اتصال بها ، كما أن هذه الجهات قد روجت لها لتبرير لجوئها الى مثل هذه الوسائل المتدنية فى العمل السـياسى . ومن الحقائق المعروفة ، أن صاوى قد اشترى فى تلك الأيام عـدداً كبيراً من الأفدنة (يقال انها ١٥ فدانا) فى قريته « قمن العروس » مركز الواسطى ، المجاورة لقرية يوسف « زاوية المصلوب » .

ولا يسعنى فى نهاية هذه الرسالة ، الا أن أكرر لكم الشـكر والتحية ، متمنيا لكم دوام التوفيق فى خـدمة الحق والحقيقـة . وفقنا الله جميعا لما فيه خير الوطن ؟

١٩٩٧/٥/١٠

المخلص

محمود توفيق

يوسف صديق فى مواجهة الاضطهاد فى العهد الملكى

فيما يلى نورد عددا من النصوص التى توضح جانبا من الاضطهاد والظلم اللذى تعرض له يوسف صديق فى العهد الملكى ، ونضاله ضد هذا الظلم ٠

(١) ادارة اللواء الثانى المشاة
قيد ضابط ١ — ٢/٤٨
أسدود فى ١٩٤٨/٧/٣١

بخصوص — ترك حضرة الصاغ اركان حرب يوسف افندى منصور صديق من ك ٧ بنادق فى الترقى لرتبة بكباشى

حضرة صاحب العزة قائد عام القوات المصرية بفلسطين

أتشرف بان أرسل لعزتكم مرفوقة كتاب ك ٧ بنادق مشاة رقم ٤٨/١/١/سرى/٢٦٦ بتاريخ ١٩٤٨/٧/٢٩ عن الموضوع المشار اليه بعاليه رجاء الاطلاع وانى أوصى مشددا بالنظر فى أمر ترقية حضرته حيث أنه ضابط ممتاز شجاع فى خدمة الميدان .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

أميرالاى
(امضـــاء)
قائد اللواء الثانى المشاة

يوسف
طبق الأصل

(٢) رئاسة اللواء الثانى المشــاة
رقم القيد ٣٧/٤٨/٢/١
غــزة فى ١٩٤٨/١١/٩

بخصوص — منح اجازة لحضرة الصاغ (أ. ح)
يوسف أفندى منصور صديق من ك ٧ بنادق
مشـــــــــاة

صاحب السعادة قائد القوات المصرية بفلسطين

اتشرف بأن ارسل لسعادتكم الالتماس المقدم من حضرة الصاغ (أ. ح) يوسف أفندى منصور صديق الوارد بكتاب الكتيبة السابعة بنادق مشاة رقم ٣٧/٤٨/١/١ بتاريخ ٧ الجارى رجاء العلم بأنى اقدر شخصيا ما عليه حضرته من اقدام وتضحية ووضع نفسه فى اخطر جزء فى قطاع كتيبته باستمرار فى أى مكان خصص للكتيبة ولذا أعرض التماس حضرته وأرجو وضعه موضع التقدير ردا لروحـــة العالية .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

طبق الأصل	لـــواء أمضــــــاء
يوسف	قائد اللواء الثانى مشاة

(٣) حضرة صاحب العزة قائد قسم القاهرة .

اتشرف برفع مظلمتى الى عزتكم رجاء التكرم بالنظر

١ — بتاريخ ٤٨/٧/٢٩ ظهرت النشرة العسكرية وانا فى الميدان وليس فيها اسمى بين اقرانى الذين رقوا لرتبة البكباشى اعتبارا من ١٩٤٨/٧/٧ .

٢ — تشرفت بمقابلة معالى الوزير يوم ٤٨/٨/٩ للوقوف على اسباب تركى فعلمت من معاليه أن ذلك جاء نتيجة تقرير كتبه فى حقى ضابط مخابرات القنال فى أثناء وجودى بالاسماعيلية — فلما طالبت معاليه باجراء تحقيق فى محتويات هذا التقرير لاظهار حقيقة موقفى اكتفى معاليه بالاقتناع بأن هذا الجزاء مادام قد توقع بدون تحقيق فهو جزاء ، غير عادل فوعدنى باعادة حقى كاملا فى أقرب فرصة .

٣ — عدت الى كتيبتى بالميدان (ك ٧ بنادق مشاة) بتاريخ ٤٩/١/٢٣ بعد أجازة مرضية وكانت قيادتها فى أثناء الاجازة قد اسندت الى حضرة القائمقام اركان الحرب على على عامر الذى لم يكن قد رآنى قبل ذلك ولم أتشرف بالخدمة معه فوجدت أن حضرته قد طلب من رئاسة القوات بفلسطين نقلى من كتيبته لعدم رغبته فى تعاونى معه وعلمت ان ذلك نتيجة السمعة السيئة التى تسببت عن تقرير ضابط المخابرات — وفعلا أعادتنى رئاسة القوات بدون مناقشة الى القاهرة حيث الحقت بالكتيبة ١٥ التى أعمل بها الآن .

٤ — فى ١١ فبراير سنة ٤٩ ظهرت النشرة العسكرية العدد الثانى والذى رقيت فيه الى رتبة البكباشى غير أن الترقى احتسب لى من ٤٨/١٢/١ وليس من ٤٨/٧/٧ فلم يتحقق لذلك وعد معالى الوزير فى اعادة حقى كاملا وبذلك أكون قد تحملت جزاء لا مبرر له وقد اساء الى هذا الجزاء ماديا وادبيا .

٥ — بتاريخ ٤٩/٣/٢ استدعيت للشهادة امام مجلس عسكرى عالى عقد برئاسة عزتكم فى قسم القاهرة لمحاكمة الملازم أول محمد جلال ابراهيم حافظ من سلاح الصيانة على اخطاء تسببت اليه فى

الميدان فتأجيل هذا المجلس الى ٣/٥ ثم الى ٣/١٧ ولم استدع بعد ذلك لتأدية الشهادة امام المجلس المذكور وعلمت أنه قد الغى على أن تنظر لجنة الضباط فى أمر الضباط المنسوب اليهم أخطاء فى هذا المجلس عند النظر فى أمر ترقيتهم الى رتبة أعلى ولما كنت ضمن هؤلاء الضباط وكنت مستريحا لاجراء هذه المحاكمة ليتبين موقفى واضحا أمام عدالة المجلس فقد ساءنى أن يلغى هـذا المجلس ويترك الأمر للجنة الضباط .

ولما كان التقرير كتبه ضابط مخابرات مغرض قد أساء الى هذه الاساءة البالغة وقررت لجنة الضباط تركى فى الترقى نتيجة وجوده فى ملف خدمتى فى الصورة الموجودة لدى كاتم أسرار حربية — فاننى أجد نفسى قلقا على مستقبلى وأنا متهم بأخطاء نسبت الى فى الميدان وترك أمر النظر فيها الى لجنة الضباط حيث لا يوجد من يدافع عن حقى ومن يعصمنى من التعرض لجزاء آخر بدون مبرر توقعه هذه اللجنة دون تحقيق كما سبق أن فعلت .

٦ — كتبت الى رئاسة أدارة الجيش بتاريخ ٤٩/٣/٢١ أسأل من سبب الغاء المجلس العسكرى بكتاب الكتيبة رقم ٤٩/٩/٣ سرى/٦٦ بتاريخ ٣/٢٢ لرئاسة اللواء الخامس المشاة لعلى أحصل منها على رد مطمئن فلم ترد للآن .

واننى التمس من عزتكم انصافى وذلك بالآتى :

أ — باعادة النظر فى تقرير تاريخ ترقيتى لرتبة البكباشى ليكن من ٤٨/٧/٧ حيث لا يوجد مبرر لتأخيرى الى ٤٨/١٢/١ .

ب — سحب التقرير الذى كتبه ضابط المخابرات من ملف خدمتى حتى لا يظل تأثيره السىء يضر بمستقبلى بدون مبرر .

جـ ـ استئناف التحقيق معى أمام هيئة تحقيق فى الاخطاء المنسوبة الى فى الميدان أو سحب كل ما يتعلق بهذه الأخطاء من ملف خدمتى حتى لا أعيش مهددا وقلقا وحتى اتفرغ لعملى بقلب مطمئن فى خدمة الله والملك والوطن .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

هاكستب فى ٩/٥/٤٩

بكباشى أ. ح

يوسف منصور صديق

ك ٧ بنادق وملحق ك ١٥ بنادق مشاة

الفصل الثانى

(ليلة عمـــرى)

مذكرات يوسف صديق

مقـــــدمة

لئن كانت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م تعتبر بمثابة الشرارة الأولى التى أندلعت فى حركة (تحرير الشعوب) بعد الحــرب العالمية الثانية ـــ فاننى أسجد لله شكراً على أن هيأ لى مع ضعف صحتى وقوتى أن أكون الشرارة الأولى ٱلتى انـــدلعت فى هذه الثورة الخالدة .

وقد بينت أحداث تلك الليلة ـــ أن الدور المتواضـــع الذى قمت به كان له أثره المؤكد فى ارساء قواعد الثورة وذلك بضرب كل القوات التى حاولت اخماد الثورة (بالعمل المضاد) فى الوقت المناسب .

وان الله القوى العزيز الواحد القادر القهار ـــ يحب أن يثبت وجوده وقوته وقدرته لعبادة ـ ويحب أن يريهم أنه وحده القادر على كل شىء فهو لا يقهر الجبابرة دائماً الا بأضعف أسبابه . فحين اختار سبحانه وتعالى (محمدا) عليه الصلاة والسلام ليخرج البشرية من الظلمات الى النور ويسحق عروش الأكاسرة والقياصرة ويدوس تيجانهم تحت أقدام الشعوب المتحررة هيـأ لذلك الدور الكبير الخطير رجلا جمع فيه بين اليتم والأمية والفقر وكلها أسباب ضعف ـــ غير أن قوة الحق وحده التى كانت فى دعوة محمد ﷺ هى التى جعلت الاسلام يقوم وينتشر على الأرض فى سرعة النور .

ولم يكن غريباً أن يتغنى المسلمون بنصرهم فيقولون ان الله سبحانه وتعالى قد صدق وعده ونصر عبده وهــزم الأحـــزاب (وحـــده) .

يوسف صديق ـــ ٤٩

كذلك كان الأمر فى تلك الليلة الخالدة — دبر الأحرار ما دبروا وأعدوا ما أعدوا — ولكن يشاء الله أن يكون أضعف خلقه فى تلك الليلة هو الذى يقوم بالدور الذى يقضى على كل المقاومات التى تعرضت لها الثورة — فقد كنت فى تلك الليلة ضعيف الصحة حيث كنت أعانى من نزيف فى رئتى اليسرى وكان حفاظى على صحتى يتطلب الراحة التامة وعدم الحركة — بل عدم الكلام — فهكذا كنت أعالج من النزيف فى السنتين السابقتين . ثم كانت قوتى أضعف قوة على أرض العمليات حيث كانت عبارة عن مقدمة الكتيبة وهى تعتبر قوة عسكرية ادارية تسبق (القوة الرئيسية) الى مكان انتقالها الجديد لتتسلم المعسكر وتهيئه للاعاشة — وطبيعة عملها تجعل تسليحها خفيفا لأنها ليست قوة مقاتلة .

ومع كل أسباب الضعف التى توافرت فى تلك الليلة أراد الله أن أكون بكل أسباب ضعفى السهم القاتل الذى صوب الى صدور أعداء الثورة فكان يرديهم تباعاً فى الوقت المناسب .

ولقد كافأنى ربى سبحانه وتعالى فى تلك الليلة بمعجزة فقد كانت حقنة واحدة أخذتها (مضادة للنزيف) كافية لشفائى منه فلم يعاودنى بعد تلك الليلة رغم ما قمت به من جهد جسمانى عنيف وحركة دائبه اقتضتها ظروف العمل .

وكلما تحرر شعب جديد كصدى لثورة ٢٣ يوليو فى العالم — أحس بأننى أسهمت فى تحريره وما أكثر الشعوب التى تحررت كصدى لهذه الثورة المجيدة الخالدة — التى كانت بمثابة الفجر الذى أشرق بنوره ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

وما أكثر شكرى لله الذى هيأ لى القيام بهذا الدور فى تلك الليلة التى أسميها عن حق (ليلة عمرى) وصحيح أن الدور كله لم يستغرق أكثر من ساعة من الزمن ولكن رب ساعة أطول من أعمار .

لقد كانت ساعة فى ظل الله ورعايته ورضاه — والله سبحانه وتعالى يصيب برحمته من يشاء والله ولى التوفيق ...

والله ولى التوفيـــــــق

على طريق الثورة

اندلعت ثورة سنة ١٩١٩ وأنا فى بداية المرحلة الابتدائية من التعليم وهكذا شاءت الأقدار أن أرى ثورة الشعب العارمة وهى تنطلق كالاعصار تدمر كل شىء ، وأن أرى الشعب وهو يملك قدره ويفعل ما يشاء وأن أرى فى الجانب الآخر من الصورة كيف رد الاستعمار بأسلحته الفتاكة على ثورة الشعب الأعزل الذى لم يكن يملك غير غضبه — شاهدت المدافع الرشاشة وهى تحصد الشعب حصداً بلا هواده ولا رحمة .

وبعد أن تمكن الاستعمار من اخماد الثورة — شاهدت معسكراته المنتشرة فى انحاء البلاد وفى كل منها (ميدان ضرب نار) يبدأ فى الساعة السابعة صباح كل يوم بإطلاق الرصاص على اهدافه لمدة ساعة كاملة ليسمع المصريون فى كل مكان وفى كل صباح أن (بريطانيا العظمى) كما كانت تسمى فى ذلك الزمان تملك قوة تدمير رهيبة .

وشاهدت (طوابير السير) التى كان الفرسان البريطانيون يقومون بها من حين لآخر فى شوارع المدن وهم يمتطون خيولهم ويحملون أسلحتهم .

غير أن كل هذه المظاهر — مظاهر استعراض القوة — لم ترهبنى كما شاء بها الانجليز — وانما كانت تثير فى نفسى الكراهية لهؤلاء القوم الذين يتصرفون على هذا النحو — وتدعونى وأنا فى هذه السن المبكرة الى التفكير فى طريقة للخلاص من هذا الهوان — ولا أظن الا أن تأثيرها كان كذلك على كل مصرى .

كان الانجليز بأسلوبهم هـذا يشحنون عواطفنـا بكراهيتهم ويوجهون عقولنا الى التفكير فى طريق الخلاص .

وفى سنة ١٩٢٤ كنت قد أتممت دراستى الابتدائية وبـدأت مرحلة الدراسة الثانوية فى مدرسة (الخديوية) وكنت أعيش فى القاهرة فى رعاية أحد أقربائى الذى كان يشرف على تربيتى مع أولاده على طريقة أهل الريف ، وكان يقوم بوظيفة (ولى أمرى) أمام المدرسة — ولأن أبى كان قد مات قبل أن أكمل العام الأول من عمرى فقد كنت دائماً فى حاجة الى (ولى أمر) ليواجه مطالب الدراسة وشئون المدرسة كروتين .

وكان ولى أمرى هذا موظفاً صغيراً ترهقه الحياة بأعبائهـا وكانت فلسفته السياسية التى فرضها علينا أن (نمشى جنـب الحيط) وكان تفسير هذا الشعار أن لا نعرض انفسنا لأى خطر وكان يرى أن الشبان الذين يقومون بالمظاهرات ويشتبكـون فى معارك مع البوليس أو الانجليز أحيانا هم شـبان (مجـانين) يعرضون حياتهم للخطر ومستقبلهم للضياع . ولذلك كانت أوامره الصارمة لنا أن نعود بسرعة الى المنزل بمجرد سماع النداء الى الاضراب .

وبطبعى الريفى نفذت الأمر حـرفياً فى المـرات الأولى من الاضراب — وكانت الاضطرابات فى هذه الأيام كثيرة .

وذات مرة وانا فى طريقى الى المنزل تنفيذاً للأوامر — شاهدت جمعاً من الطلاب قد التفوا حول خطيب منهم قد اتخذ مكاناً عاليا يخطب منه — ووجدتنى ميالا لمخالفة الأوامر — وثارت فى كيانى معركة بين الواجب والميل — فواجب الاخلاص لولى الأمر أن انفذ الأوامر والميل يحرضنى على الثورة على هذه الأوامر والبقاء مع

زملائى — واخيراً قررت أن أتخذ حلا وسطاً — أقف وأسمع — ثم أنفذ الأوامر بالذهاب الى المنزل ووقفت .

وتكلم الخطيب وكان شابا فى السنة النهائية بالمدرسة أى طالب (بكالوريا) وهو الأسم الذى كان يطلق على (الثانوية العامة) فى هذه الأيام . وشرح الخطيب الأسباب التى تدعونا الى الاضراب فى ذلك اليوم وشرح الموقف السياسى العام وبين أن واجبنا نحو الوطن يدعونا الى الاسهام فى معركة المصير بكل ما نملك من قوة ثم دعانا فى نهاية خطابه الى أن نتوجه الى (بيت الأمة) الأسم الذى كان يطلق على بيت الزعيم الخالد (سعد زغلول) .

وفى الحقيقة أن الخطيب قد أخذ بمجامع قلبى وحرك فى أعماقى ذلك الشعور بالكراهية للانجليز الذى كان مختزنا فى قلبى ووجدت أن كلامه كان حقاً وأضاف الى معلوماتى كثيراً مما كنت أجهله من دوافع الكراهية للمستعمر والتفكير فى الخلاص منه .

ولما تحركت المظاهرة نحو (بيت الأمة) لم أتردد فى ملازمتها ولما برز لى الوعد الذى كنت قد أخذته على نفسى بأن أسمع وأذهب بررت سلوكى فى ملازمة المظاهرة بسببين أرضيانى أما أولهما فهو أن الرحلة الى (بيت الأمة) هى بعض رحلتى الى المنزل وأما الثانية فاننى لا شك سأستأنف السمع لأن (سعد زغلول) كان لا بد سيخطب وبعد سماع (سعد) أذهب محافظا على وعدى .

وعند (بيت الأمة) وجدنا آلافا من الطلبة من المدارس الأخرى ومن الجماهير قد أخذت مكانها فى انتظار خطاب (سعد).

وظهر (سعد) فى شرفة (بيت الأمة) فقابلتـه الجمـوع بالهتافات المدوية التى تنطق بالشعارات الوطنية حتى بدأ (سعد) يتكلم فأنصت الجميع كأن على رءوسهم الطير ...

وبطبيعة الحال كان انفعالى بكلام (سعد زغلول) أضعـاف أضعاف انفعالى بالطالب الخطيب وبالرغم من أن (سعد زغلول) نصحنا فى نهاية خطابه بالانصراف مما أتاح لى فرصة تنفيذ وعدى بأن أسمع وأذهب الا أننى ذهبت وأنا مقتنع تماما بفساد .. شعار — (المشى جنب الحيط) وأحسست بأن (ولى أمرى) لا يصدقنى النصح وقررت أن اشترك فى كل مظاهرة مقبلة وليكن مايكون .

وفى سنة ١٩٢٥ كنت قد ضقت ذرعاً بأولياء الأمور وكانوا هم كذلك قد ضاقوا بى ذرعا — فآثرت الاستقلال فى حياتى وكان لى بعض أقرباء فى الجيزة من الطلاب الذين يقاربوننى فى السـن فحولت أوراقى الى مدرسة الجيزة الثانوية التى أنشئت فى نفس العام لأعيش معهم — وكانت المدرسة فى سراى الأورمان بالجيزة .

وفى هذه السنة : ٢٥ — ٢٦ الدراسية أنطلقت على سجيتى فى الاسهام فى المظاهرات . فدخلت المعارك مكراً مفراً مقبلا مدبراً معاً على حد تعبير امرىء القيس وأرضيت ما اختزنته فى نفسى من كراهية للاستعمار وأعوانه وأذنابه الى حد كبير .

وفى العام التالى كان بعض أصدقائى من الطلاب الذين كانوا يدرسون فى مدينة (بنى سويف) وهى عاصمة (مديريتنا) أى محافظتنا بلغة العصر قد أقنعونى بأن (أحول) الى مدرسـة (بنى سويف الثانوية) لتجمعنى بهم أيام الدراسة وأيام العطلة

جميعاً فقد كان الحب الذى بيننا لا تكفيه أيام العطلة وحدها فاستهوتنى الفكرة ونفذت .

وكنت أعتقد أن ما يجرى فى القاهرة يجرى فى كل انحاء القطر غير أننى فوجئت بأن الأمر يختلف كثيرا ففى (بنى سويف) لم تكن الاضرابات كثيرة كما أنها لم تكن تزيد فى المناسبات المهمة عن مجرد الاحتجاج بتعطيل الدراسة فلم يكن هناك مجال للمعارك .

وبعد حصولى على شهادة (البكالوريا) دخلت المدرسة الحربية سنة ١٩٣٠ . والدراسة فى المدرسة الحربية شاقة فهى تتطلب مجهوداً جسمانياً شاقاً مع الدراسة فى العلوم العسكرية ولعل أحسن تعبير عن هذه الحياة هو النشيد الذى كان كل الطلبة يحفظونه عمن سبقهم والذى كانوا ينشدونه فى طوابيرهم الطويلة وكان يقول :

شمال يمين شمال يمين ... تلات سنين فى الحربية
شغل كتير وراحة مفيش ... وصنف حريق ونبطشية

وصنف الحريق هو خدمة تقوم بها الوحدات لتكون مسئولة عند حصول حريق وهى خدمة أسبوعية تحرمهم من الأجازة الأسبوعية والراحة فى يوم الجمعة (والصنف) بكسر الصاد هو أصغر وحدة عسكرية فصنف الحريق هو الصنف الذى عليه القيام بهذه الخدمة ويتغير كل أسبوع .

وبطبيعة الحال كان جيش (جلالة الملك) ممنوعاً من التدخل فى السياسة أو الانشغال بها حتى لقد كانت قراءة جريدة أو مجلة تعتبر جريمة .

غير أن حياتنا فى المدرسة الحربية كانت نضع أمامنا صـــورة تشعرنا دائماً بسيطرة الانجليز وتحرك فينا عوامل كراهيتهم فلقــد كانت السلطة كلها فى يد الانجليز على الرغم من وجود مدير مصرى للكلية ولكننا كنا نشعر بوضوح أن السلطة كلها فى يد كبير المعلمين وهو انجليزى وكان هناك بعض المدرسين من الانجليز حيث كانت قيادة الجيش كلها فى يد الانجليز فكان (اسكتش باشا) على رأس الجيش يعاونه بعض الانجليز فى المناصب الحساسة .

وفى سنة ١٩٣٣ تخرجت من الكلية الحربية وعينت ضابطــاً بالجيش برتبة الملازم الثانى وكان بديهياً أن أعين فى (السلوم) لاننى لست من أهل الوسائط ــ وسافرت الى (السلـــوم) لأبدأ حياتى كضابط فى الجيش .

فى الجيش : الصـــدمة

بعد أن تسلمت عملى فى (الأورطة) وهو الاسم الســـابق (للكتيبة) عرفت أن (اركان حرب) الأورطة وهو أهم ضابط فيها وكان فى تلك الأيام برتبة (صاغ) أى (رائد) بلغة العصر حيث كانت أوامره تعتبر أوامر القائد ، ولذلك كان يكتب فى نهاية أوامره المكتوبة كلمة (بالأمر) أى بأمر القائد . عرفت أن هذا الضـــابط المهم بلدياتى وسرتنى هذه المعرفة كثيراً وقد ربطتنى علاقة ما بأخطر ضابط فى الكتيبة . وذات يوم كنت أقف أمام حجرتى بميس الضباط وهو مسكنهم فى القشلاقات وكان يوم الجمعة وكنت قـــد لبست ملابسى وتهيأت لصلاة الجمعة ، فوجئت بصول (تعيين) الكتيبة مقبلا نحوى وفى يده أوراق فلما أقترب منى حيانى وقدم لى الأوراق وطلب منى التوقيع عليها واشار لى الى مكان التوقيع تسهيلا منه ، وكنت قد تعلمت بالمدرسة الحربية الا أوقع على أى ورقـــة دون

قراءة ما فيها لأن التوقيع يجعلنى مسئولا عما فيها ولا يعفينى أن أوقع بدون علمى بمحتويات ما وافقت عليه لأى سبب . ولما أخذت فى القراءة استعجلنى حضرة الصول وأخبرنى أن حضرة اركان حرب يريد منى أن أوقع على هذه الأوراق وأن (أركان حرب) موقع عليها وأشار لى الى توقيعه وقال لى أنه فى انتظار الأوراق وأشار لى الى مكانه فرأيته يمتطى جواده على قيد خطوات .

خطر على بالى الريفى خاطر واحد وأنا فى هذا الموقف هو ان حضرة الأركان حرب يختبر كفاءتى فى العمل وتمسكى بالقوانين وصممت على اجتياز الامتحان بنجاح فاستمررت فى قراءة الأوراق بعناية غير أن الاركان حرب نادى على الصول وأمره باحضار الأوراق اليه فوراً فسلمت الأوراق الى الصول وانا راض عن نفسى وتأكدت من أنى نجحت فى الاختبار بتفوق .

وكنت قد عرفت مما قرأت فى الأوراق ان الموضوع يتعلق (بلجنة حلو) وهى لجنة تتشكل من حين لأخر من رئيس وعضوين من الضباط لعمل (جلو) للترفيه عن الجنود (أى حلو) كالمهلبية أو شراء فاكهة توزع على الجنود أو مثل ذلك وكانت هذه اللجنة كما فهمت من الأوراق لعمل مهلبية وقد كانت تشير الى صرف كذا أقة سكر وكذا أقة نشا وكذا رطل زبيب بمكاييل ذلك الزمن .

وبعد الظهر تلاقيت مع بعض زملائى من الضباط فقصصت عليهم قصة الاختبار الذى تعرضت له وشرحت لهم فى زهو كيف أننى اجتزته بنجاح .

وهنا سمعت من الضباط كلاماً عجباً .. وانذرونى بالويل والثبور وعظائم الأمور كما يقولون .. كان كلام الضباط وتعليقهم على الحادث يعنى شيئاً خطيراً أنهارت أمامه جميع القيم التى

عشت بها ولها وجئت الى الجيش لكى أبدأ حياة الجندى كما اتصورها على أساسها : الجندية التى عاشت فى تصورى إلى هذه اللحظة المثل الأعلى للكرامة والشهامة والشرف الجندى هو الرجل الذى يقدم حياته فى سبيل الحق والكرامة والشرف — هل يمكن أن يكون هذا الجندى لصاً ولصاً حقيراً .

لقد كانت أقة السكر بقرشين وبحسبة بسيطة يتضح أن محتويات اللجنة لم تكن تزيد عن جنيهين أثنين فهل ينحط ضابط كبير الى درجة أن يعمل (لجنة صورية) تمكنه فى النهاية من سرقة جنيهين أو ثلاثة على أكثر تقدير ... !

لم أنم تلك الليلة من الهم وكان تأثير الصدمة على بالغ الأثر وكان عزائى الوحيد هو أن رأى هؤلاء الضباط خاطىء وانه لا يمكن أن تكون الأمور تجرى على هذه الصورة ·

وفى الصباح بدأت أشعر بحقيقة الكارثة فقد بدأ حضرة (الأركان حرب) فى اضطهادى بشكل سافر واضح ·

وفى هذا اليوم قدمت استقالتى من الجيش ـ ورغم أننى كنت رجلا فقيراً وفى حاجة الى وظيفتى ومرتبى أقدمت على تقديم استقالتى وأنا لا أعلم كيف سيكون مصيرى ومستقبلى قدمتها وأنا أشعر براحة تامة واعتقاد راسخ اننى أقوم بالعمل الصحيح .

وكان الملازم أول (عبد المنعم الرشيدى) وكنا نسميه (شيخ الملازمين) حيث كان قد مضى عليه ثلاثة عشر عاماً فى رتبة الملازم وكان أقدم ملازم فى الجيش كله لا فى كتيبتنا — كان رحمه الله يحبنى لأننى كنت أقوم ببعض عمله علاوة على عملى — فلما

سمع بخبر الاستقالة اسرع الى مكتب القائد وسحبها وجاء الى فوجدنى فى حالة نفسية سيئة ولكنه حدثنى حديثاً مقنعاً جعلنى أرضى عن سحب الاستقالة .

كانت خلاصة نصيحة (الرشيدى) لى هو اننى على حق فى الاعتقاد بأن الجندية هى المثل الأعلى للكرامة والشهامة والشرف — وأن الخدمة فى الجيش على ما هى عليه كما اكتشفتها هى الخدمة فى أفضل مكان فى مصر تتوفر فيه هذه المعانى وأننى اذا تركت الجيش وعملت فى الخدمة المدنية سوف أعيش بين اناس تتجلى بينهم الرزيلة والصفات الذميمة بصورة أبشع بكثير مما رأيت فى الجيش وانه على أن أصبر فى انظف مكان وهو الجيش حتى تعلو بى الرتب فأستطيع أن أصلح الأوضاع .

واقتنعت على مضض وأستأنفت عملى كضابط فى جيش (جلالة الملك) ولكن بمفاهيم جديدة حيث اكتشفت وأنا فى الشهور الأولى من خدمتى العسكرية أن الانجليز لا يمثلون أعداءنا الوحيدين .

وإن هناك أعداء لنا من بيننا بدأت مشاعرى وأحاسيسى تختزن الكراهية لهم ووضعهم فى قائمة الاعداء عند نظر قضية التحرير .

كانت المصيبة اكبر من طاقتى وقوة احتمالى وأنا فى هذه السن المبكرة أضع رجلى على أو درجات الحياة العملية .

حيـــاتى فى الجيش

كان دخول المدرسة الحربية بالشهادة الابتدائية — ولسبب ما رات الحكومة رفع مستوى ضباط الجيش فجعلت الدخـــول (بالبكالوريا) — وهى (الثانوية العامة) الحالية ولما تخرجت أول دفعة من حملة البكالوريا أرسل عدد منهم الى انجلترا لاستكمال دراستهم العسكرية فى جامعاتها العسكرية وعـــادوا يحملـــون الشهادات العالية .

وبطبيعة الحال كانوا يقومون بالتدريس فى المدرسة الحربية لتخليص الجيش من العجائب التى كان يحويها .

فلم يكن الضباط القدامى من حملة الابتدائية أو (الكفاءة) — وهى شهادة تعادل اعدادية هذه الأيام فحسب — بل كـــان بينهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون وهؤلاء من (تلاميذ السردار) فقد كان للسردار وهو الحاكم الانجليزى للجيش حق ادخال عـــدد من التلاميذ مع كل دفعة — وكان يختارهم من أبنـــاء خدمة من الطباخين والسفرجية وغيرهم .

ومما يروى عن أحدهم — أن الضابط المكلف بصرف المرتبات ذهب الى قائده — وكان هذا القائد أمياً — وأخبره بأنه قد وجد عجزا فى الماهيات قدره (ثلاثة جنيهات) — فأمره القائد باحضار كشف المرتبات ومراجعته معه ، وأخذ الضابط يجمع العمود الأول (عمود الآحاد) الذى انتهى (ب ٣٨) مثلا فقال الضابط وهـــو

يراجع بصوت عال بسمعه القائد ٨ ومعانا ٣ كما نقول فى الجمع فقال القائد اذن أين العجز ؟! معاك ٣ يبقى الكشف تمام ولا عجز هناك ...

وللمحافظة على شعور هؤلاء الأميين — كان على جميع ضباط الجيش أن يحملوا (أختاما) يوقعون بها على الأوامر اليومية وغيرها مما يتطلب التوقيع ، وكان لى ختم لازمنى الى أن ألغيت الاختام . ولقد جعلت هذه النهضة فى الجيش هوة سحيقة بين قدامى الضباط الذين يتولون القيادة وبين الضباط الأحدث من حملة البكالوريا والمتخرجين على أيدى ضباط تعلموا فى (أوروبا) .

وبطبيعة الحال كان الضابط كلما علا فى رتبته ازداد فى جهله ، وكنا نستفيد أحياناً من جهلهم ، فكان الضباط من رتبة (الصاغ ، الرائد) فما فوق يركبون خيولا — فى كتائب المشاه — أما الرتب الأصغر فكانت تحضر الطوابير والمناورات مشياً على الأقدام .

وكانت المناورة السنوية للجيش تسبق بفترة تدريب على ذلك من فنون الحرب ، وكانت قيادة الجيش تختار أرضاً مناسبة للعمليات العسكرية المختلفة من هجوم ودفاع وانسحاب وغيرها لكل عملية فى الصحراء حول (الماظة) وفى أماكن مماثلة خارج القاهرة وكانت الوحدات تتبادل هذه الأراضى حسب العمليات التى تقوم بها ، فالوحدة التى تتدرب على الهجوم تذهب الى الأرض المختارة لذلك وهكذا .

وكان الأمر يقتضى أن تقسم الأرض الى أجزاء يحمل كل منها رقماً للمنطقة (أ) مثلا والمنطقة (ب) وهكذا — وكانت هذه الأجزاء تحدد على الخرائط والضباط القدامى لا يعرفون قراءة الخرائط ،

فكان قائد (البلك) وهو (السرية) بلغة العصر برتبة (بكباشى) (مقدم) يعاملنى بغلظة وشراسة ربما تصل أحيانا الى حد الوقاحة أمام الجنود — كأنما كانت قيادته ورئاسته لى لا تتحقق الا بذلك .

وذات يوم فوجئت بأن حضرة (البكباشى) يدعونى الى مكتبه — فلما دخلت عليه أشار لى بالجلوس على غير عادته — ثم قدم لى سيجارة على غير عادته ، وأمر لى (بفنجان قهوة) ، ولاحظت أنه كان فى أثناء الحديث يضيف الى اسمى لقب (أفندى) — كل ذلك على غير عادته ، فكانت لهجته السابقة لا تزيد عن : أنت يا ضابط يا مستجد — أنت يا ضابط يا قصير النظر .. الخ ، ثم أرسل حضرة (البكباشى) مراسلته الواقف بباب مكتبه لينادى (السايس) — وهو الجندى المخصص لخدمة حصانه .

وبينما أنا استمتع بشرب فنجان القهوة وتدخين السيجارة — حضر السايس ، فاذا بحضرة البكباشى يقول له أمامى : فى أى وقت حضرة الضابط يطلب حصانى أعده له .. ولم يطل بى العجب بحثاً عن السبب ، فقد أخرج حضرة (البكباشى) من درج مكتبه أوراقاً قدمها لى وهو يقول : يا يوسف أفندى — هذه الأوراق وصلتنى اليوم وهى تحوى تعليمات التدريب على المناورة، فى الوقت الذى يناسبك اركب حصانى واذهب لاستكشاف المناطق المحددة للتدريب ، وقد أصدرت أوامرى (للسايس) أمامك والحصان تحت أمرك فى الوقت الذى نطلبه .

كانت قيادة الجيش ما تزال فى يد (الانجليز) وكان الضباط الانجليز يمرون صباح كل يوم ليتأكدوا من أن كل وحدة تمارس تمرينها على الأرض المخصصة لها .

وجدت اكثر من مرة أن صادفوا وحدات تسير جنوباً بينما الأرض المخصصة لهم فى الشمال — وكان معنى ذلك أن القائـــد لا يرقى الى الرتبة الأعلى حين يأتى دوره — والضابط الصغير فى مثل تلك الأحوال لا يلام ولا يؤاخذ ولا يوجه اليه أى شىء فهو تابع لقائده أينما يسير ٠

وللأسف لم تكن مدة التدرب والمناورة تزيد عن شهرين أو ثلاثة فى السنة كنا نحصل فيها نحن الضباط الأصاغر على شىء من رد الاعتبار ٠ وبمجرد انتهاء المناورة تعـــود بنا الأوضـــاع سيرتها الأولى ٠

ورغم خيبة أملى فى الجندية وارتباطها بالكـــرامة والشرف والشهامة وغيرها من الصفات المطلوبة فى الجندى — كنت أشعر بأن وجود الجيش فى أحسن أوضاعه الممكنة ربما يفيد قضيتنا فى المستقبل فكنت أبذل قصارى جهدى فى التدريب — وفى تحقيـــق العدالة بين الجند فى الترقيات ٠

وقد أمرنى قائد السرية (حضرة البكباشى) مرة أن أرقى جنديا من بلده الى رتبة (وكيل انباشى) وهى وان كانت لا تكسبه أى مكسب مادى الا أن فيها ارتقاء معنويا حيث تنقله من صفوف العساكر الى صفوف (ضباط الصف) وتجعله مميزاً عن العسكرى العادى — وكان هذا الجندى خاملا لا يصلح لشىء — فلما أصررت على عدم ترقيته نقله الى مكان آخر حيث رقى — وخسرت حب (البكباشى) الا أننى احتفظت بحب الجنود وباحترامهم ٠

وقد وقعت بينى وبين بعض القيادات العليا صدامات عنيفة كنت انتصر فيها لأن القانون كان حياً يحمى من يحتمى به ، وكنت دائماً فى صف القانون — وكان القانون يحمينى ٠٠ وأقصى ما كان ينالنى هو نقلى الى مكان آخر حفاظاً على هيبة (الكبير) ٠

صـــول التعيين :

عينت أكثر من مرة عضواً فى لجنة لمفاجآت (مخزن تعيين) الكتيبة بالتفتيش ، وكان ذلك يتم بناء على تعليمات من المخابرات تقول انه شوهد يبيع تموينا على عربة كارو لبعض التجار — أو أنه شوهد عليه ثراء مفاجىء أو مثل هذه الأشياء التى تجعله موضع اتهام — وفى كل مرة جردنا المخزن وجدنا به (زيادة) ولم نجد نقصاً أبداً ، وكذلك كل اللجان الأخرى . وكنا فى كل مرة نوجه (جواب شكر) للصول المظلوم — رداً لاعتباره وذات يوم كنا فى (الاسكندرية) — وضبطت (صول تعيين الكتيبة متلبسا بسرقة خروف من الخراف المخصصة للجنود و ٦٠ جـراية ، والجراية هى العيش المخصص للجند وعددها ٣ أرغفة .

وبدأت معه اجراءات تقديمه للمحاكمة — فبكى واستعطفنى وقال انه مستعد لاعادة المسروقات والتوبة على يدى ، فقلت له أنى أقبل هذه التوبة على شرط أن تصدقنى فى الأجابة على سؤال واحد فوعد فقلت له : كيف يسرق صول التعيين (المخزن) ؟ .. فقال لى — أنه يقتص من تموين الجنود كل يوم كمية من مختلف الأنواع تبقى فى المخزن الى أن يتم له جمع كمية من الصفائـــح الكاملة أو الأجولة الكاملة ، وحين يذهب لاستلام الصرفية القادمة من مخازن التعيينات يتوجه بها من هناك رأساً الى التاجر الذى يبيع له ، فهذه الزيادات التى كنا نوجه اليه عنها جوابات الشكر كانت هى رصيده المختزن ، وهكذا كنت كلما طالت بى الخدمة أشاهد جديداً مما يختزن الثورة فى نفسى .

وكان أخطر صدماتى مع القواد تلك التى عرضتنى للوقوف أمام مجلس تحقيق لأول وآخر مرة فى حياتى العسكرية .

كان قائد الكتيبة مشهوراً بشدته وصرامتــه ــ وكنت قــد أصبحت أقدم الملازمين فى الكتيبة . وكنت أنا ومجموعة الملازمين قد قمنا بمجهود غير عادى لمدة ستة شهور فى تدريب الجنود على سلاح (مدفع الماكينة) الذى كان يدخل تسليح الجيش للمــرة الأولى فكنا نعمل ٦ طوابير تدريب يوميا .

وأذكر من بين هؤلاء الضباط الذين أسهمو فى هــذا العمل الشاق المضنى (صلاح الدين الحديدى ــ وصلاح الدين محسن) ــ وكلاهما كان فى رتبة الفريق الأول فيما بعد ، وضرب النار بأى سلاح يعتبر نهاية التدريب عليه .

وجاء يوم ضرب النار ــ وكان يجرى فى الصحراء فى ميادين مخصصة له ، ولما وصلنا الى الميدان حضر سعادة البك القائد ــ وترجل من على حصانه وأخذ يصدر أوامره للجنود ولم يرض عن تحركاتهم فقال لهم بصوت مرتفع « يلعن أبوكم على أبو اللى علموكم » فتحملتها على مضض حتى ينتهى (ضرب النار) وكان سيحضره الضابط الانجليزى الذى يشرف على التدريب .

وانتهى ضرب النار بنجاح يساوى ما بذلناه من جهد ــ ووجه الضابط الانجليزى شكره للقائد وللضباط وصف الضباط الذين قاموا بالتدريب .

ولما عدنا للقشلاق فى العباسية ــ طلبت مقابلة القائد فوراً ــ فلما دخلت عليه مكتبه ــ دارت بينى وبينه مناقشة حادة أفرغت فيها كل ما كان فى نفسى من غضب ، واستكتبنى بعض العبارات الشديدة التى وجهتها اليه فى هذا الحساب القاسى فكتبتها ووقعت عليها ــ وكنت اوجه اليه عبارات قاسية ولكن ليس فيها خروج على الأدب أو القانون ولكن كلها حق .

ولست أدرى كيف عرف (ضباط الصف) بالأمر — فحين خرجت من مكتبه وجدتهم وقد وقفوا صفاً طويلا أمام المكتب فى حالة (تظلم) يريدون مقابلة القائد الذى وجه اليهم كلاماً (غير قانونى) فى ميدان ضرب النـار فجازاهم على جهودهم المضنيـة التى رفعت رأس الكتيبة عالياً جزاء سنمار .

وتوجهت الى مكتبى — ولم تمض دقائق حتى حضر الى مكتبى (قائد ثانى) الكتيبة — وهو الضابط الذى يلى القائد فى الرتبة .

طلب الى القائد الثانى أن أتوجه الى مكتب القائـد لأصرف (ضباط الصف) لأنه يعلم أننى الضابط الوحيد الذى يستطيع عمل ذلك لأن (ضباط الصف) كلهم يحبوننى ويحترموننى .

فقلت له أنه هو قائد الكتيبة — وما أنا الا ملازم صغير فان كان هو لا يستطيع أن يصرف (ضباط الصف) فأنا أصغر من ذلك بكثير — أما اذا كان سعادته واثقـاً من اننى أستـطيع ذلك فليحضر الى بنفسه ويطلب الى ذلك .

وبعد مناقشة حول (هيبة القائد) — قبلت الرجاء وذهبت الى حيث يقف ضباط الصف وأصـدرت لهم أمـرى بالانصراف فأنصرفوا بلا تردد ، وبدل أن يشكرنى القائد على أنقاذه من موقفه الحرج — طلب تقديمى الى مجلس تحقيق موجهاً الى تهمة (احداث فتنة فى الجيش) .

وأمام مجلس التحقيق اتضحت الحقيقة — والحقيقة أننى لم اكن قد حرضت ضباط الصف على سلوكهم وكان فى كلامى العنيف للقائد دفاع عن ضباطنا الذين خدموا (فى السردان) ، وقـال القائد انهم كانوا يضربونهم بالأحذية فيتقبلون ذلـك فى رضـا

وخنوع ـ وكان أعضاء مجلس التحقيق كلهم ممن خدموا فى (السودان) وكان قرار المجلس فى صالحى ووجه اللوم الى القائد وحضر الى أعضاء مجلس التحقيق ليشكرونى بأنفسهم على دفاعى عنهم وعن كرامتهم ، وكان هذا الحادث مشجعاً لى على الاستمرار فى أسلوبى فى العمل حيث بين لى أن القائد الحقيقى للجنود هو القائد الذى يحبونه لحسن معاملته لهم والاخلاص فى تعليمهم واقامة العدل بينهم .

وعشت باقى خدمتى فى الجيش حتى قيام الثورة وأنا أشعر بأننى القائد الفعلى للكتيبة .

معاهدة سنة ١٩٣٦ م :

أنهت معاهدة سنة ١٩٣٦ م قيادة الانجليز للجيش (صورياً) واستبدلت ببعثة من الجيش الانجليزى تشرف على تعلم الجيش وتدريبه .

وأصبحت قيادة الجيش فى يد الضباط المصريين . وكان أول ضابط مصرى تولى القيادة هو اللواء (محمود شكرى باشا) ومازالت تتنقل الى أن وصلت الى اللواء (ابراهيم عطاالله باشا).

وفى ظل القيادة المصرية ـ قيادة الباشوات فلقد كان ضباط الجيش اذا وصل الى رتبة القائم مقام يحصل على لقب (بك) فاذا ما وصل الى رتبة اللواء حصل على لقب (باشا) ـ فى ظل قيادة الباشوات وصلت الأوضاع الى الحضيض ـ وأستطيع أن أقول ان (ابراهيم عطاالله باشا) كان له الفضل فى الثورة او على الأقل فأنه قد دفعها دفعة قوية الى الأمام .

فلقد كان (بشاوات الجيش) أقل بكثير من الباشاوات المدنيين من حيث الغنى والجاه فالباشاوات المدنيين كانوا لا يصلون الى رتبة الباشوية الا بعد تقديم واجبات الطاعة والولاء والحب والاخلاص للذات الملكية — وكان ذلك يكلفهم من المال الذى يقدم فى صورة هدايا بصورة ما وما اكثر صورهم فبعضهم كان يلعب الميسر مع الملك ويخسر له عن عمد آلاف الجنيهات — وبعضهم كان يزيد من ثروة الملك مستغلا منصبه فكان (ناظر الخاصة الملكية) يرغم الفلاحين الذين يملكون أرضاً تجاور أرض الملك على بيع أراضيهم بأبخس الأثمان لتضاف الى ارض الملك والا تعرضوا لما لا طاقة لهم به من الوان العذاب — ولمع اسم (الابراشى باشا) بصفة خاصة فى ذلك الميدان وكان (الباشا) يدفع وهو يعلم أنه سيسترد ما دفعه أضعافاً مضاعفة من دم الشعب فكانت سلطة الدولة فى خدمته وتحت أمره اينما كان يعيش .

وكان لقب (باشا) فضفاضا على ضباط الجيش الذين كانوا لا يملكون فى الغالب غير مرتباتهم وليس لهم أى سلطان فى الدولة خارج الجيش — وكان اذا ذكر اسم واحد منهم بين الناس لا يعرفونه كما يعرفون الباشوات الحقيقيين فكان يقال عنه أنه (باشا جيش) .

ولذلك فقد كانت قيادة الباشاوات قد بدات تفرض (ضرائب) على الضباط بدأت هذه الضريبة تفرض على الضابط الذى يأتى عليه الدور للترقية الى رتبة (اللواء) ليصبح من زمرة الباشاوات فكان عليه أن يدفع مبلغاً معلوماً والا تخطته الترقية .

والى هنا لم يشغل الأمر بال الضباط الأصاغر ولم يهتموا به فالرحلة بينهم وبين هذا الموقف ما تزال بعيدة .

وقد قيل فى الحكم والأمثال ـ نهمان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال : فازدادت الحاجة الى المال فهبطت الضريبة درجة اخرى وفرضت على من يرقى الى رتبة تعطيه لقب (البك) ـ وكانت لها أسعار معروفة وحتى جاء زمن (عطاالله باشا) كانت قد هبطت الى أن شملت جميع الرتب . وهنا بدأ الضباط الأصاغر يتحركون .

الأميرالاى عبد الواحد سبل :

كان الأميرالاى (عبد الواحد سبل) يتمتع بصفات كثيرة تجعله محبوباً بين جميع ضباط الجيش وقد أهلته هذه الصفات الى أن يتقلد فى الجيش مناصب مهمة لا يعين فيها الا الأكفاء ـ فقد كان (اركان حرب قسم القاهرة) ـ ثم كانت آخر وظيفة يشغلها هى (مدير العمليات الحربية) وكانت هذه الوظيفة تعنى انه كان استاذ اساتذة الجيش فهو يشرف على جميع المدارس والمعاهد العسكرية . فلم يكن هناك من يشك فى أحقيته فى الترقى الى رتبة (اللواء) فلما جاء دوره للترقى الى هذه الرتبة كان الثمن المطلوب منه غالياً .

كان الجيش فى حاجة الى عربات ـ وكان الفريق (ابراهيم عطاالله باشا) قد اتفق مع شركة معينة على أن يأخذ منها العربات المطلوبة لقاء مبلغ ضخم علاوة على عربة خاصة تقدم له كهدية . فعين الاميرالاى (عبد الواحد سبل) رئيساً للجنة التى تشترى العربات وكان الاميرالاى (سبل) رجلا صالحاً مؤمنا بالله فحين عرضت الشركات عرباتها للاختيار وقع اختياره على عربات من شركة غير التى اتفق معها (الباشا الكبير) لأن مواصفات عربات الشركة المعنية لم تكن تصلح لأغراض الخدمة العسكرية . فلما

انهت اللجنة عملها وأرسلت قرارها الى (الباشا الكبير) اعـــاد الأوراق الى رئيس اللجنة (لاعادة النظـــر) ـــ وأفهم (رئيس اللجنة) بوسيلة ما بأن عليه أن يختار عربات الشركة المعنبـــة أن كان يرغب فى الترقى الى رتبة اللواء .

ووجد الاميرالاى (عبد الواحد سبل) نفســـه مخيراً بين أمرين أما أن يقف بجانب الشيطان ويحصل على رتبة اللواء وأما أن يقف بجانب الله ويخسر الرتبة وأختار الرجل جانب الله ـــ وفقد رتبة اللواء ولقب (باشـا) .

وكان الجيش كله يتتبع أخبار هذه القضية ـــ فلما صدرت النشرة العسكرية التى أحيل فيها الاميرالاى (عبد الواحد سبل) الى الاستيداع ـــ رأى ضباط الجيش وكان على رأسهم فى هذه الحركة (محمد رشاد مهنا) الذى كان معروفاً بين ضباط الجيش بسمعته الطيبة ويتمتع بحبهم واحترامهم أن يظهروا شعورهـــم نحو هذا القرار .

كنت اجلس فى مكتبى فى ادارة (السجلات العسكرية) وهى احدى فروع ادارة الجيش ولم أكن قد علمت بخـبر صـــدور النشرة ـــ وفوجئت برشاد بزورنى فى مكتبى وكانت تجمعنى به صلة زمالة فى المدرسة الحربية وكنت أكن له كثيراً من الحـــب والاحترام ـــ وهو الذى قدمنى ذات يوم الى الضابط (لبيب) الذى كان مسئولا عن تجنيد ضباط الجيش للاخوان المسلمين .

وقال (رشاد) : ألا تحضر معنا الحفل الذى سنقيمه لتكريم الأميرالاى (عبد الواحد سبل) بمناسبة احالته الى الاستيداع ؟ .. فقلت : وهل أحيل فعلا الى الاستيداع ؟ .. قـــال : الم تقـــرأ النشرة ؟ .. قلت : كلا مع الأسف . ولكنى أحضر بكل تأكيد ..

قال ومطلوب منك ان تلقى كلمة فى الحفل — قلت لا بأس ومتى سيقام الحفل وأين ؟ .. قال اليوم الساعة الرابعة بعد الظهر — فى نادى ضباط الجيش — وكنا فى ذلك الوقت نقترب من الساعة الواحدة بعد الظهر — فرجوته أن يجعلنى آخر المتكلمين لأستطيع تحضير كلمتى فوافق وانصرف .

وجلست فى مكتبى وخلوت الى نفسى وتحركت فى أعماقى حاسة شاعرية تراودنى فى مثل تلك الأحداث وأخذت أسطر كلمتى أو قصيدتى :

ولما بقى على الموعد نصف ساعة تحركت الى النادي وأنا ما أزال أكمل القصيدة التى لم تكتمل الا وأنا أشرف على القائها وقد اتيحت لى فرصة من الوقت لأن عدد الذين خطبوا فى هذا الحفل سبعة عشر خطيباً .

وشاءت المصادفة أن يكون أول من خطب فى هذا الحفل الضابط الشاعر (محمود محمد الشاذلى) وكان من ادارة الجيش كذلك ، وكنت أنا آخر من خطب فى الحفل من ادارة الجيش نفسها — وقد حضر هذا الحفل عدد كبير من ضباط الجيش على غير المألوف فى مثل هذه الحفلات .

وكتبت المخابرات تقريراً عن هذا الحفل قالت فيه أنه كان احتجاجاً صارخاً على احالة (الاميرالاى عبد الواحد سبل) الى الاستيداع وفيه هجوم على قيادة الجيش التى أصدرت القرار بذلك وأنه بكل أسف قد بدأه واختتمه ضابطان من ادارة الجيش — وادارة الجيش هى (القيادة العليا للجيش) التى يرأسها مباشرة (الباشا الكبير) .

وأننى أميل الى اعتبار هذا الحادث أول خطـوة فى الثورة — فحينما تصدر قيادة الجيش قراراً — يحتج عليه ضباط الجيش ويندون به فى حفل علنى فهذه ثورة .

وقد أشاد جميع الخطباء بالضابط المحـال الى الاستيداع وبينو أنه كان أهلا للترقية وأن القرار لم يكن منصفاً وأرى أنه من المناسب أن أذكر بعض أبيات هذه القصيدة التى عبرت نفس التعبير فقد جاء فى مطلعها :

ما الوجوم علا الوجوه وشاعا — وتطيرت تلك النفوس شعاعة
حتى كأن القوم أول مـــرة — شهدوا جهاد المخلصين مضاعة

وفيها وجهت الكلام الى المحتفى به :

يا صاحب القلب الكبير : تحية — فلقد بدأت — ولا أقول وداعة
حررت من قيد الوظيفة فانطلق — حرا — واطلق للكفاح شراعا
عار الوظيفة أن نضام بها اذا — كنا الرجال — ولم نكن أتباعا
ونفوس أهل الحق تأبى — حرة — وكريمـة أن تشترى وتباعـا

وقد بدأت ادارة الجيش اجراءات محاكمتنا ولكن لم تجـد وسيلة لذلك — ومن جهتى أنا فقد نقلت من ادارة الجيش الى الاسماعيلية — وبعد وصولى اليها بأيـام قامت قيـادة الجيش باعتقال باقى الخطباء ولم تعتقلنى لأن الكوليرا كانت قـد بدأت تظهر فى منطقة القنال فعزلت المنطقة كلها فلم تكن القطـارات تسير منها ولا اليها وانقطعت عن باقى القطر تماماً .

وقد قضى زملائى من الضباط نحو شهرين فى الاعتقال ثم تم الافراج عنهم .

حـــرب فلسطين :

وجاءت حرب فلسطين التى بدأت فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ م لتضع اللمسات الأخيرة كما يقولون فقـــد دفع بالجيش المصرى والجيوش العربية الأخرى الى المعركة على أساس أن يتلقـــوا ضربة قاضية من اليهود ويستنجدون بانجلترا التى تأتى من مركز قوة لتملى شروطها .

فلم تكن سياسة الملك وأذنابه فى مسألة الأسلحـــة الفاسدة الا تمشيا مع هذا المخطط المرسوم . ورأى ضباط الجيش انهم يدفعون أرواحهم لتنفيذ السياسة التى يحرم عليهم الاشتغـــال بها . فكان عليهم أن يتخذوا قرارهم .. واتخذوه .

البحث عن الحقيقــة

بعد أن انتهت مدة خدمتى فى السـلوم ، وعدت الى القاهرة وجدت أن هناك تيارات كثيرة تسعى الى التحرير — الأحزاب وعلى رأسها (الوفد) — والاخوان المسلمون — ومصر الفتــاة ، والشيوعيون فقررت بالمبادرة بالانتماء الى احداها رغم تعارض ذلك مع عملى فى (جيش جلالة الملك) .

وكان بديهيا أن ابدأ من حيث أنتهيت — من التيار الذى كان يقوده (سعد زغلول) الـذى الهب مشـاعرى لأول مـرة — (الوفــد) .

ومعروف أن (الوفد) بعد (سعد زغلول) بدأ بفقد شعبيته مع مرور الزمن — مما جعلنى أعيد التفكير فى مجال جديد .

وبطبيعتى الريفية المتمسكة بالدين رأيت أن أتصل (بالاخوان المسلمين) وكان المسئول عن تجنيد الضباط للأخـوان ضابط بوليس سابق اسمه (لبيب) — وكانت لى معه اتصالات أسبوعية منظمة غير أنها لم تطل أكثر من شهور رأيت بعـدها أن الاخوان لم يكونوا منظمين تنظيما عصرياً مقبولا — ولعل أبرز النقاط التى نفرتنى منهم هو مناداتهم بأن دستورهم هو (القرآن) .

ومع احترامى الشديد بل وتقديسى (للقرآن) غير أن اطلاق هذا الشعار مطلقاً كان لا يعنى شيئاً مفهوماً — فليس من المعقول

أن نضع (القرآن) أى المصحف أمامنا لنحتكم اليه فى كل قضية — وبمفهومى للأمور كنت أتصور أن يكون الاخوان قد استنبطوا من كتاب الله دستوراً عصرياً مكتوبا بلغة الدساتير المعروفة وكانت لا تنقصهم القدرة على ذلك ، فقد كانت فيهم الكفاءات العالمية فى مجالات القانون والتشريع ، وكانت عندهم فى جميع المجالات قدرات معروفة . ولكنهم لسبب لا أدريه لم يكونوا قد وضعوا مثل هذا الدستور الذى يصلح أساساً لمناقشة برنامجهم وأسلوبهم فى الحكم . والذى يحكم والقرآن دستوره لا بد أن يكون رجلا له علم تام بالقرآن ولفهم معانيه وأحكامه ولن يكون ذلك ممكنا لكل من يفرض عليه منصبه الحكم فى القضايا . وليس الحكم قاصراً على القضاة والولاه — بل ان كل مسئول مهما صغر مركزه يعتبر قاضياً فى رعيته المسئول عنها .

فوجود دستور مكتوب فى بنود يفصل الحكم فى القضايا من جميع فروع الحياة يستند فى أحكامه الى (القرآن) كان عملا لابد منه — أما أن يقولوا لمن يسألهم عن برنامجهم السياسى أن دستورنا هو (القرآن) فلم يكن رداً مقنعاً .

وقد بينت الأحداث فيما بعد جمود الاخوان العقائدى — فحين انشق الأخوان على أنفسهم وظهر فيهم جناح تقدمى معارض — وطالبوا (الهضيبى) خليفة المرحوم (البنا) بالتخلى عن (الخلافة) . قال لهم نفس الكلمة التى قالها (الخليفة عثمان بن عفان) : (هذا قميص قمصنيه الله) مما يعنى أن الخلافة تلازمه حتى الموت — وكأنما نسى (الهضيبى) أن الخليفة (عثمان بن عفان) حينما قال ذلك للشعب الثائر المطالب بخلعه قام الشعب بانهاء حياته انهاء لخلافته .

لهذا ولأسباب أخرى تبينت أن اتجاه (الاخوان المسلمين) لم يكن الاتجاه الذى يرضى ما أختزنته فى نفسى من الثورة .

لجأت بعد ذلك الى جماعة (مصر الفتاة) — ولم تطل مسيرتى معهم .

اللقاء مع (الشيوعيين)

كان الاستعمار الذى جثم على صدرنا وسيطر على كل مقاديرنا وتحكم فى كل شيء فينا حتى ثقافتنا — قد نجح فى دعايته ضد (الشيوعية) عدوته الرئيسية — لدرجة أن المسلم من أمثالى — وبصفة خاصة الريفى يبسمل ويحوقل ويستغفر الله العظيم لمجرد ذكر اسمها . فقد كانت الدعاية تصور لنا أن الشيوعية تعنى شيئاً واحداً لا غير وهو (الالحاد) وكأنما كل ما جاء به (كارل ماركس) للبشرية وكانت البشرية فى غفلة عنه هو (أن الله غير موجود) .

وكان لقائى مع (الشيوعيين) فى الأربعينيات — أى أنه كان قد مضى على ثورة أكتوبر أكثر من عشرين عاماً — وكانت قد حققت انتصارات كثيرة وكان أبرزها فى الأربعينيات هو هزيمة النازية التى لم تكن ممكنة بدون اشتراك الشيوعيين فى الحرب .

كل ذلك كان كافياً لأن يجعلنى أعيد النظر فى أمر (الشيوعية) وكنت قد أصبحت فى الثلاثينيات من عمرى — وأصبحت نظرتى للأمور أعمق منها فى أيامى الخالية بحكم تقدمى فى السن واتساع آفاق خبرتى . فرأيت أنه ليس من المعقول أن تصل الدولة الروسية فى مدى نحو ربع قرن من الزمان الى ما وصلت اليه فى ظل نظام لا جديد فيه الا أن (الله غير موجود) .

وربما دفعنى اسلامى وايمانى بالله الى الأخذ بأن النظام الذى يدفع بدولة هذه الدفعة فى مثل هذه الفترة لا بد أن يكون قائما

على أسس ترضى الله سبحانه وتعالى — فلقد كانت الماركسيـــة تنتشر على الأرض بسرعة لم يسبقها اليها غير الاسلام ٠

وكانت (الماركسية) قد أصبحت عندى أمراً يمكن للمرء أن ينظر فيه لا أن يقابله بالبسملة والحوقله والاستغفار ٠

بدأت أنظر فى (الماركسية) فى ريبة مسبقة وحذر شديد وحصنت نفسى بمضاعفة اجتهادى فى الدين علماً وعملا فى الوقت نفسه ففى الوقت الذى بدأت أنظر فيه فى أمـــر (الماركسية) ازدادت قراءتى فى الثقافة الاسلامية ، كمـــا حرصـــت على أداء واجباتى الدينية بالتزام أدق — وكنت أسأل الله تعالى أن يجنبنى شر الانزلاق الى الضلال فى دعواتى ٠

على هذه الصورة بدأت انظر فى (المـــاركسية) وقـــدم لى أصدقائى من الشيوعيين الكثير من الكتب التى قرأت كل سطر منها فى ريبه وحذر ٠

على هذه الصورة بدأت انظر فى الماركسية ٠

وأننى أسجل هنا انطباعاتى وانفعالاتى عن الماركسية قبل أن أتركها فى سنة ١٩٥٠ لألتحق (بالضباط الأحرار) ٠

فأرى أن (الشيوعية) هى شىء لا وجود له فى عالمنا الحاضر — وانما هى نظام اجتماعى واقتصادى ســـوف تتمخـــض عنه (الاشتراكية) كما تنبأ بذلك (كارل ماركس) ٠

اى أن النظام الموجـــود حـــالياً هـــو (الاشتراكيـــة) — ولا نستطيع أن نقـــرر متى ستتمخض « الاشتراكيـــة » عـــن

« الشيوعية » فقد يستغرق ذلك قرناً من الزمان وقد يطول الى قرون — ولست أدرى لماذا تسمى الأحزاب التى تطبق الاشتراكية نفسها باسم (الشيوعية) فالحزب الشيوعى هو الذى يمارس تطبيق الشيوعية — وليس هناك حزب على الأرض يفعل ذلك حالياً ولكن الأحزاب الموجودة كلها تمارس التطبيق الاشتراكى — فكان ينبغى أن تحمل اسم (الحزب الاشتراكى) — لأن الشيوعية كما تصورها (كارل ماركس) تحوى صورة للحياة قد لا يقبل الانسان المعاصر بعض مفاهيمها ، ثم أن (كارل ماركس) • لم يكن نبيا مرسلا من السماء علينا أن نقبل تعاليمه وتصوراته عن المستقبل بلا مناقشة فلربما تتغير الأمور فى أثناء التطبيق الاشتراكى ويهتدى العلماء الذين يجتلون أسرار الكون ويصلون الى القمر ويحاولون الوصول الى العوالم الأخرى — ربما يهتدى هؤلاء الى التسليم (بوجود الله وتقبل البشرية على المرحلة التى ستتمخض عنها الاشتراكية فى ظل الايمان وتتعلم بالسلام والرخاء ويفرغ الانسان الى عبادة (الله) الذى قال : (وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون) •

فتسمية الأحزاب باسم (الشيوعية) قد أساء اليها وأعطى للمؤمنين فرصة لكراهيتها — أو سهولة التأثر بالدعاية ضدها فى هذا الاتجاه •

وكذلك فقد اسهم بعض (الشيوعيين) المحليين — فى الاساءة الى الشيوعية بما كانوا يجاهرون به من اعلان الحادهم وعدم مبالاتهم بالدين — والسخرية من المصلين والأفطار جهراً فى رمضان وقد رأيت صوراً من ذلك فى الريف ورأيت تأثيرها فى الناس البسطاء وكيف نفرتهم هذه الأساليب من الشيوعية • • •

ولذلك أرى أن أعبر عن الشيوعية فيما يلى (بالاشتراكية) ان الحزب الذى يحكم (الاتحاد السوفيتى) والذى يسمى نفسه بالحزب الشيوعى لم يفرض الالحاد على شعوب الاتحاد السوفيتى وما تزال الأغلبية الساحقة من شعوب الاتحاد السوفيتى من المؤمنين الذين يقيمون شعائرهم الدينية بحرية كاملة فى مساجدهم أو كنائسهم وتحوى الجمهوريات السوفيتية فى منطقة القوقاز تراثا اسلامياً فاخرا من المساجد والأضرحة ساعد الحزب على ترميمها وهناك سجل كبير يحوى هذه الآثار مصورة فى صور ملونة فاخرة لا تدل اطلاقا على أن الحزب يعادى الأديان أو يضطهدها — وفى ظل الاشتراكية نستطيع أن نقول ان الدين الاسلامى هناك قد ازدهر وأنجب أعلاما أسهموا فى اثراء تراثها الاسلامى .

وأستطيع أن أقرر — دون أن أعمل داعية للاشتراكية العلمية الماركسية . أننى فى كل ما قرأت وسمعت فى مناقشاتى — أو فى المحاضرات التى استمعت اليها حول الاشتراكية — فى كل ذلك لم أشعر بما يهدد عقيدتى أو يمس دينى .

كما أستطيع أن أقرر وأنا مطمئن على عقيدتى ودينى أننا اذا استبعدنا قضية (الالحاد) التى لا تفرضها الاشتراكية على أحد ولا تعتنقها غير قلة من الشعوب الاشتراكية الرائدة — فان كل ما تحويه الاشتراكية بعد ذلك يطابق الاسلام .

فالاشتراكية تقوم أساساً على تحقيق (العدالة الاجتماعية) فهى تقدس (العدل) — والاشتراكية تعمل على تحقيق (السلام) على الأرض وأن تقوم المحبة والتعاون بين الناس محل التنافس والتناحر والاشتراكية لا تفرق بين الناس لأنسابهم ولا أحسابهم ولا الوانهم وانما مقياس كل انسان عندها هو (عمله الصالح)

ـ كما نجد أن الاشتراكية تعمل على الغاء (استغلال الانسان للانسان) ولما كان الربا نوعاً من الاستغلال فقد ألغت الاشتراكية (الربا) فى بلادها ومجتمعاتها .

وأنا حينما أتحدث عن الاشتراكية العلمية الماركسية ـ اتحدث عنها (كنظرية) قابلة للتطبيق ـ ولا يعيبها اذا كانت بعض البلاد قد طبقتها بصورة لا يرضى عنها بعض الناس ـ كما لا يعيبها اختلاف الدولتين الرائدتين فى تطبيقها وان كان هذا الاختلاف عندى هو بعيد عن الجوهر حتى اننا نرى أن الجانبين المختلفين (روسيا والصين) يكونان فى صف واحد فى أغلب القضايا العالمية الحساسة ـ فنراهما يتفقان فى موقفهما من قضية (فيتنام) و (أزمة الشرق الأوسط) كما نجدهما دائما فى عون كل البلاد التى تناضل فى سبيل تحررها من الاستعمار .

فليس العيب فى النظرية ولكنه فى المطبقين ، وعندى أن الاشتراكيين هم قوم ينكرون الله بأقوالهم ويعبدونه بأعمالهم ـ فهم قوم يؤمنون بالانسان والعلم ويقدسون الحق والعدل والسلام وهذه كلها سمات المؤمنين . ورب سائل يسأل : وما الذى يجعلنا نأوى الى نظرية من صنع البشر وعندنا الاسلام ؟ ... ولعل خير رد على ذلك هو فشل (الاخوان المسلمين) .

وقد يكون (الاخوان المسلمون) أنفسهم قد أسهموا فى فشل قضيتهم الا أن محاولتهم (احياء الاسلام) فى مجتمع غير اسلامى كان هو السبب الرئيسى فى فشل دعوتهم ـ فالذى قتل (المرحوم حسن البنا) (ملك) ـ والملك بطبيعته لا يمكن أن يكون (مسلماً ـ لأنه جاء الى الحكم بطريقة غير التى يقرها الاسلام ـ طريق الشورى ـ والنبى عليه الصلاة والسلام لم يعين من يحكم

المسلمين بعده وانما ترك الأمر لأصحابـه — للشعب — واختار الشعب (أبا بكر) رضى الله عنه وأرضاه فحكم .

وظل الحاكم يتولى الحكم عن طريق (الشعب) حتى جاء (معاوية بن هند) فقوض الدعامة الأساسية التى يقوم عليهـا الحكم فى الاسلام وجعلها ملكية وراثية — وبحد السيف فـرض (معاوية) أبنه الفاسق الفاسد (يزيد) ليحكم الناس . وقـال له الناس : ان الله يقول : فقال : ولكنى أقول والسيف بينى وبين من يعصى ما أقول ..

وكان أول ما قام به الاسلام بعد استقراره فى جزيرة العرب هو أن داس تيجان الأكاسرة والأباطرة بأقدام الشعوب — والقرآن قد هاجم الملكية والملوك فى أكثر من موضـع منه — وفى سيرة رسول الله ﷺ — أن عمـرا زاره ذات يوم فوجـده ينـام على فراش خشن قد أثر فى جلده — فأشفق عمر رضى الله عنه على حبيبه وقال : يا رسول الله هلا اتخذت لك فراشاً ليناً ؟ فأجابه الرسول ويحك يا عمر — انها نبوة لا ملك .

وكان طبيعياً أن ينتكس الاسلام وان يصل الى ما نحن عليه من ذل وهوان . ولا شك فى أن الاسلام يحوى كل ما فى النظرية الماركسية من خير — ويزيد عليه ما فى (الايمان) من قوة مستمدة من تأييد (القوى العزيز) .

ولا شك كذلك فى أن محاولة احياء الاسلام ستعرضنا لكثير من الجدل والخلافات حول التفسير تقودنا الى حرب أهلية فى داخل الوطن العربى وتصرفنا عن عدونا الحقيقى — وتضعنا فى الوقت نفسه فى عداء مع العالم شرقه وغربه فالمجتمع الاسلامى

الذى يحمى مثل هذه الدعوى غير موجود ـ والاسـلام نفسـه كعقيدة لا يوجد الا فى المصاحف وقلوب بعض المؤمنين ـ غـير أنهم أفراد متفرقون فى الوطن العربى لا تجمعهم رابطة ولا حول لهم ولا قـوة .

ثم ان الزمن قد تطور تطوراً كبيراً بحيث أن احياء الاسلام الذى كان قائماً فى عهد (الخلفاء الراشدين) لا يصلح فى هذه الأيام ـ فلو أن الاسلام بقى حيا وسار مع الزمن لكان لنا اليوم اسلام متطور ـ فالاسلام دين نزل للبشرية ليلائم كل زمان فهو يتطور مع الزمن .

لما حضرت (عمر) رضى الله عنه الوفاة ـ أمر بتشكيل لجنة من عدد من الناس الذين يراهم أهلا للخلافة ووضع فيها ابنه (محمد بن عمر) على أن يشترك فى الرأى دون الخلافة . وكان (عبد الرحمن بن عوف) أحد هؤلاء الناس وأعلن زهده فى الخلافة فكلفوه باختيار أحدهم .

وكان (على ابن أبى طالب) كرم الله وجهه محل اختيار عبد الرحمن فلما اجتمع الناس فى المسجد لأعلان النتيجة ـ وجه (عبد الرحمن بن عوف) الكلام الى (على) كرم الله وجهه قائلا : هل نبايعك على ان تسير بنا سيرة الرجلين (يقصد أبا بكر وعمرا) ـ فأجاب (على) ... لا .

ولم يناقشه (عبد الرحمن) وتحول عنه الى (عثمان) وسأله السؤال نفسه فلما أجاب بنعم .. كانت له الخلافة .

وعلى بن أبى طالب هو من هو فى الاسلام ـ وليس هنـاك من يجهل مكانة ورسوخ قدمه فى الاسلام ـ فهو حـين أجـاب

يـ (لا) ـ انما كان يعنى أن لكل زمان سيرته فى الاسلام وان ما كان فى عهد (الرجلين) ربما لا يتمشى كله مع العهد القادم فالاسلام لم ينزل لزمن (الرجلين) ويتجمد عند هذا الزمن وانما يتطور مع تطور البشرية ...

والبشرية قد دفعت ثمناً غالياً من دمائها وأرواح شهدائها بحثاً عن الحقيقة ـ عن الحياة الأفضل للانسان ـ حتى وصلت فى أيامنا هذه الى أن (الاشتراكية) هى الحل للقضية الانسانية .

والاشتراكية كما سبق أن بينت تتلاقى مع الاسلام فى كثير من النقاط الحساسة ـ فتعاوننا مع المعسكر الاشتراكى مع احتفاظنا بعقيدتنا وتمسكنا بديننا هو أقصر الطرق لاحياء الاسلام .

لماذا تركت (الشيوعيين) :

رغم اقتناعى بأن الشيوعيين كانوا أقرب الاتجاهات الثائرة على الأوضاع الى قلبى ـ فاننى تركتهم فى سنة ١٩٥١ .

تركتهم لأنهم انقسموا على أنفسهم حتى بلغ عدد منظماتهم عند قيام الثورة نحو عشر منظمات ـ فتفرقت بهم السبل حتى بات الخلاص على أيديهم بعيد الاحتمال . وتركتهم لأنى تلاقيت مع حركة (الضباط الأحرار) الذين يمكن تحقيق الخلاص على أيديهم سريعا ـ وكنت دائماً أعتقد فى ذلك وقد بشرت به فى مواقف مختلفة لى فى الجيش .

فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ـ رأت (بريطانيا) أن تهدى (وساما) الى مصر تعترف فيه بأنه كان لمصر دور فعال فى كسب الحرب ـ حيث أفلح الجيش المصرى فى بعض ما فشل فيه الانجليز وبصفة خاصة (الدفاع عن قنال السويس) ـ الذى

حققت فيه المدفعية المصرية نجاحا بعد عجز الانجليز عن القيام بهذا الواجب .

وأهدى الوسام الى قائد القوات المصرية .. الى الرجل العسكرى وفى هذا الأحتفال الذى أقيم بهذه المناسبة وحضره كبار رجال (الوفد) الذى كان فى الحكم — وكان من بينهم الخطيب الكبير (مكرم عبيد) الذى كان مشهوراً ببلاغته وفصاحته فى الخطابة — القيت قصيدة جاء فى مطلعها :

ضعوا الأقلام وامتشقوا الحساما
فرب السيف قد حمل الوساما

وقولوا للذى يرجو خلاصا
بتمزيق الكلام : كفى كلاما

هى الدنيا صراع لا اقتناع
بغير الجيش لن نحيا كراما

ومن نادى بغير الجيش يهذى
وعن نور الحقيقة قد تعامى

وفى المحاضرة التى القيتها فى كلية (الأركان حرب) لأحصل بها على الشهادة قلت موجهاً كلامى الى زملائى من الضباط الدارسين : ما خلاصته أن خلاص البلاد لا بد أن يتم على ايديكم :

وكنت أعتقد دائما أن الجيش هو الملاذ الوحيد الذى يستطيع حل المشكلة — حتى أننى فكرت ذات يوم وانا فى (منقباد) أن اقوم وحدى بالثورة وانا واثق من أن الكثيرين من الضباط سيقفون

فى صفى ولكن حالة العربات التى كانت تحت يدى لم تكن صالحة لنقل قوتى الى القاهرة .

فلما أرسل لى (الضباط الأحرار) رسولهم يدعـــونى الى الانضمام اليهم فى أكتوبر سنة ١٩٥١ — كنت كمن وجد شيئـــا يبحث عنه ـــ وقبلت الدعوة وأنـــا على يقين من قـــرب تحقيق الأحلام

إنضمامى للضباط الأحـــرار :

فى يوم من أيام شـهر أكتوبر سنة ١٩٥١ — وكنت قد وصلت الى رتبة البكباشى (المقدم) ـــ وكنت أعمل قائد ثانى كتيبة مدافع الماكينة الأولى المشاة فى (القنطرة شرق) — زارنى وحيـــد رمضان) وهو ضابط كانت عمليـــات (فلســـطين) قد كشفت عن شجاعته وصلابته ووطنيته العالية ..

عرض على (وحيد رمضان) أن أنضم الى (الضباط الأحرار) وكنت اسمع عنهم لأول مرة حيث كنت فى السنوات السابقة لهذه الفترة فى السودان ومنقباد .

فلما سألته عن برنامجهم وأهدافهم وسياستهم أخـــرج لى ثلاثة منشورات من منشوراتهم التى نشروها بين الضـــباط (والتى لم تصلنى قبل ذلك نسخة منها) .

وكانت المنشورات ترسم للضباط الأحرار خطا وطنيا يعبر بصدق عن أهداف الشعب التى ظل يطالب بها من أيام الثورة العرابية من الحصول على حياة ديمقراطية سليمة تتوفر فيهـــا الحرية الكاملة للشعب وتندد بسياسة الحكم الملكى الفاسد ـــ

وبصفة عامة كانت تطابق احلامى وتدعـــو الى تحقيـــق الثورة المختزنة فى صدرى .

ووافقت على الانضمام الى الحركة — فقال لى أنه مكلـــف بابلاغى فى حالة الموافقة على أن تسند الى قيادة كتيبتى (ك ١ مدافع ماكينة) واطلعنى على اسماء الضباط الأحرار بالكتيبة — وباشرت قيادتى الجديدة فى اليوم نفسه . حيث عقدت اجتماعا مع الضباط الأحرار . ناقشنا فيه اسلوب العمل وكنت بطبيعة الحال قـــد سألت (وحيد) عن قيادة الضباط الأحرار — فأبلغنى أن أقـــابل « البكباشى جمال عبد الناصر » عند ذهابى للقاهرة — وكـــان (جمال) يعمل مدرسا فى كلية اركان الحرب .. ولم أكن أعرفه قبل ذلك حتى أننى عندما ذهبت للقـــاهرة وتوجهت الى كليـــة الأركان حرب كنت اتحاشى أن أسأل عنه أى ضـــابط برتبـــة البكباشى مخافة أن يكون هو ..

قابلت (جمال) وكان طبيعيا أن أسأله فى هذا اللقاء الأول عن الضباط الذين يعملون فى قيادة الحركة لأن انضمامى اليهـــا يحملنى مسئولية — حيث أننى كنت أقدم منه فى الرتبة — وكان جمال يؤجل ويسوف ويقول لى : ستعرفهم فى الوقت المناسب : وفى هذا اللقاء الأول قال لى (جمال) — أن احتـــرام الرتبـــة العسكرية سيكون له اعتباره بعد نجاح الثورة — وذلك يعنى أن يتولى أقدم الضباط رتبة رئاسة العمل . ولما الححت عليه بضرورة معرفتى على الأقل للضباط الأقدم منى لمجـــرد الاطمئنـــان اليهم أخبرنى بأن أقدم ضابط هو (اللواء محمد نجيب) فاسترحت لهذا الاسم الذى كنت أكن له كثيرا من الاحترام والحب لما يمتاز به من صفـــات طيبة وسمعة طيبة بين ضباط الجيش — علاوة على أنه كانت تجمعنى به صلة الجوار فى السكن ، حيث كنا نسكن فى بيتين متقاربين فى (حلمية الزيتون) .

كنا فى هذه الأيام نحصل على اجازة لمدة حوالى أربعة أيام كل مدة معلومة أذكر أنها كانت كل ٤٥ يوما — فكان الوقت الذى نقضيه فى القاهرة — نزور فيه عائلاتنا ونقضى بعض مصالحنا — فكانت فرصة اللقاء مع الضباط الأحرار قليلة ومحدودة — ولكن جيرتى اللواء (محمد نجيب) فى السكن كانت تتيح لى فرصة زيارته فى كل مرة أنزل فيها الى القاهرة — وبطبيعة الحال أخبرته بانضمامى لصفوف الضباط الأحرار ٠

غير أننى لاحظت أننى كنت كلما سألته عن أى شىء بخصوص العمل صغيرا كان هذا الشىء أو كبيرا فانه كان يحيلنى الى (جمال) ٠

كما لاحظت فى اثناء قيادتى للكتيبة الأولى مدافع ماكينة (بالقنطرة شرق) أن بعض ضباط الكتيبة الأصاغر يقومون فى موعد ثابت كل يوم عند المساء بالتجمع والخروج الى جهة ما كأنهم يقومون بعمل معين ٠٠ وكان أكثرهم تحمسا لهذا العمل اليوزباشى (عبد المجيد شديد) وبمناقشته علمت منه ومن شركائه فى هذا النشاط — أنه كانت هناك خطة موضوعة لنسف سفينة واغراقها فى قنال السويس بواسطة لغم — وان اللغم وصل بالطائرة الى العريش بواسطة ضباط الطيران الأحرار — وان هذا هو موضوع نشاطهم — لاحضار اللغم استعدادا لتنفيذ الخطة عند صدور الأوامر ٠

كانت مفاجأة لى أن اكتشف أن هناك عملا خطيرا كهذا يكلف به ضباط تحت قيادتى وأنا لا أعلم عنه شيئا ٠ فلما كاشفت (جمال) بذلك فى أول لقاء بعد علمى بهذا الموضوع أخبرنى بأن هذا العمل كان مقررا قبل أن أتولى قيادة الكتيبة ٠٠ وأن عدم

علمى ربما جاء نتيجة بعض أخطاء فى العمل . وأنها لم تكن مقصودة .

تصعيد :

لما جاء وقت التنقلات الدورية لوحدات الجيش — كان المقرر أن تنتقل الكتيبة التى أقودها الى (العريش) .

ولما كانت (العريش) هى مقر قيادة القوات الموجودة (شرق القنال) فقد اسندت الى (قيادة منطقة العريش) .

وكانت منطقة العريش تضم علاوة على كتيبتى لواء مشاة وحدات ادارية ومطار العريش وكانت كتائب اللواء المشاة هى الكتيبة ١٣ مشاة وكان يمثلها من الضباط الأحرار الصاغان (صلاح نصر) و (صلاح سعدة) — وكانت الكتيبة ١٤ مشاة ويمثلها ضابط عرف بوطنيته وصلاحه وشجاعته وهو (عبد المنعم عبد الرءوف) وكان معروفا عنه أنه ينتمى الى جماعة (الاخوان المسلمين) وكان يمثل (مطار العريش) (جمال سالم) .

كان هؤلاء الضباط يحضرون اجتماعات أسبوعية دورية فى منزلى بالعريش لتدارس الموقف وقراءة الجديد من المنشورات .

كما أتاحت لى قيادتى لمنطقة العريش التعرف على ضباط أحرار آخرين فى (رفح) و (غزة) وكان أهمهم (عبد الحكيم عامر) و (صلاح سالم) و (أنور السادات) وكان (عبد المنعم عبد الرءوف) يحضر الاجتماعات الأسبوعية بانتظام غير أنه كان بمجرد وصوله الى منزلى يطلب سجادة الصلاة ويستغرق طوال الوقت فى صلاته ولا يشترك فى المناقشات حتى ان ابنتى (نعمت)

التى كانت فى حوالى الرابعة من عمرها كانت بمجرد أن تراه تذهب من نفسها لاحضار السجادة قبل ان يسألها .

وكان سلوك (عبد المنعم عبد الرءوف) هذا دافعا لأن اسأله عن سر انصرافه عن الاجتماعات وكنا على انفراد فصارحنى بانه يرى ان (جمال عبد الناصر) والمجموعة التى تحيط به من الضباط الاحرار وأهمهم عبد الحكيم عامر وصلاح سالم انما يعملون لحسابهم الخاص ومصالحهم الخاصة ولا يعملون لصالح الوطن وانه غير مستريح لما يجرى من أعمال ... فوافقته فى انى بدأت اشعر بان (جمال) ربما يعمل لحسابه الخاص الا انى خالفته فى انه لم يكن يعمل لصالح الوطن — لأن العمل الذى يمهد له وهو الخلاص من الملك والملكية الفاسدة هو عمل لصالح الوطن — وان ذلك يحتم علينا الاستمرار فى اخلاصنا للعمل لا سيما وأنه كان من المتفق عليه أن الجيش سيقوم بضربته ويعود لثكناته — فلا بأس فى أن يترك الأمر (لجمال) يديره كما يحب ولقد كان وجود (جمال) فى القاهرة يجعله أقدر على القيادة منا ونحن مبعثرين فى الصحراء ..

وأبدى (عبد المنعم عبد الرءوف) اقتناعه بوجهة نظرى — غير أنه استمر فى قضاء أوقات الاجتماعات الدورية الأسبوعية فى صلاته واستمرت (نعمت) تقدم له السجادة كلما حضر — وعللت أنا استمراره على أسلوبه بأنه ربما يكون بسبب انتمائه لجماعة الاخوان المسلمين .

رشـــاد مهنـــا :

وصلت أنباء تفيد بأن (رشاد مهنا) قادم للخدمة (بالعريش) .

وكانت طبيعة (رشاد) الثورية تجعلنى استبعد أن لا تكون له صلة بالتنظيم فلما اتصلت (بجمال) وسألته عن الوضع عند

وصول (رشاد مهنا) الى (العريش) حيث أنه كان أقدم منى فى الرتبة العسكرية — فسألت : هل اسلم قيادة المنطقة وجاء الجواب — بأن لا أسلم القيادة ولا أطلعه على سير العمل ولكن لا أهاجمه .. ولا أعاديه ..

وقبل وصول (رشاد) بأيام قلائل جاءتنى معلومات بأنه فى أثناء اعتقاله فى حادث الأميرالاى (عبد الواحد سبل) كان قد حصل على وعد من (فؤاد سراج الدين) وهو أحد أعضاء (الوفد) البارزين فى ذلك الوقت وكانت تربطه به صلة قرابة — بأنه سيرشح لأرفع الرتب فى الجيش وعندما يصل يمكنه أن يقوم بما يراه من (اصلاحات) وكان عليه فى مقابل ذلك أن يكف سياسته الثورية المعادية للملك والتى لن تصل به الا الى الأذى المحقق .

ولما وصل (رشاد) الى العريش — لاحظت أنه يقوم فعلا بحملة دعاية نحو (الاصلاح) — وعلى حد تعبيره الذى كان يكثر من ترديده أننا نبدأ من (رباط جزمة العسكرى) .

وكان الخط الثورى فى البلد كلها قد كفر بسياسة الاصلاح واصر على ضرورة (التغيير) — ووجدت أن توجيه القيادة كان سليما — فنفذته باخلاص .

وحدث ذات يوم وكان يوم الاجتماع الدورى الأسبوعى أن زارنى (رشاد) قبل موعد انعقاد الاجتماع بنحو ربع ساعة — فاستقبلته فى شىء من الاضطراب وصحبته الى مكان فى حديقة المنزل الخلفية بحيث لا نرى مدخل البيت — وطال حديثى معه أكثر من نصف ساعة — حمدت الله انه لم يحضر أحد من ضباط

الاجتماع فقد ينكشف الأمر — غير أننى لما ودعته عند انصرافه وعدت لأجد جميع الضباط قد حضروا فعلا وقامت زوجتى السيدة عليه توفيق بتوزيعهم على حجرات المنزل بعد ان أخبرتهم بالأمر وكانت زوجتى هذه تعلم بما نقوم به بل وقد اشركتها أحيانا فى العمل فكانت تحضر معها (المنشورات) أحيانا وتقوم فى قطار غير الذى أقوم فيه وكان بعض الناس يعيب مثل هذا السلوك ويعتبر أن اطلاع الزوجة على العمل يعرض سريته للخطر — وكنت أخالفهم فى ذلك — أو فى أن يكون ذلك قاعدة مطلقة — فانه يتوقف على درجة ثقافة الزوجة وعلاقتها بزوجها ، وقد حدث ذات مرة على سبيل المثال أن كان عندى اجتماع فى المنزل وكان كل ضابط يحضر الى الاجتماع فى عربية فلاحظت هى أن عدد العربات أمام المنزل يكاد يعلن وجود الاجتماع فأخطرتنى ووجدت رأيها سليما وأمرت السائقين بالانتشار حول المنزل — ولفت نظر الضباط الى ملاحظة ذلك مستقبلا وكانت ملاحظة مفيدة . هكذا كنت أشعر بأن الرجل حين يشرك زوجته فى بعض أعماله فان ذلك يكون تأمينا له · لا خطرا عليه — وهذا رأيى على كل حال وقد يختلف فيه غيرى حتى اليوم .

وفى الحقيقة اننى كنت — وما زلت — أحب (رشاد مهنا) وأعتقد أنه عنصر يجب ألا يبقى بعيدا عن التنظيم وكنت أفكر فى الطريقة التى أقنعه بها بالتخلى عن سياسة الاصلاح التى كان ينادى بها لنكسبه فى صفوف الأحرار لما كان يتمتع به من صفات تجعله أهلا للثقة والمحبة بين الكثيرين من الضباط غير أن الوقت لم يمهلنى فقد جاء وقت التحركات الدورية السنوية لوحدات الجيش التى كانت تقضى بأن تتحرك الكتيبة ١٣ مشاة الى القاهرة استعداداً لذهابها الى (السودان) وكذلك كان على كتيبتى أن تتحرك الى القاهرة للخدمة بها .

وقبل أن أنهى الحديث عن الكتيبة ١٣ مشاة أقول اننى كنت أحد الضباط الذين قاموا بانشائها عندما تقرر ذلك — فلم تكن تجمعنى بها مجرد وجودها تحت قيادتى فى منطقة (العريش) — ولكن كانت تربطنى بها صلة قديمة وكان معظم جنودها وضباطها يعرفوننى جيدا .

الى القاهرة :

تحركت الكتيبة ١٣ الى القاهرة استعدادا لترحيلها الى السودان — وكان لا بد أن تقضى وقتا فى القاهرة لاعدادها لهذا الواجب وكانت أى كتيبة تكلف بهذا الواجب لا بد من اعدادها أعداداً يجعلها رمزاً طيباً للقوات المصرية من جميع النواحى وبعد أيام قلائل بدأ تحرك كتيبتى (الأولى مدافع ماكينة) الى القاهرة وأى وحدة عسكرية تتحرك من مكان الى مكان آخر لا تتحرك كلها مرة واحدة بل تسبقها (مقدمة) منها لاستلام مكان الاقامة الجديد واعداده للاعاشة حتى اذا ما وصلت (القوة الأساسية) تمارس حياتها فى مكانها الجديد فى يسر — وكانت طبيعة هذه المقدمة تتناسب مع هذا الواجب مما يمكن معه أن نطلق عليها اسم (قوة عسكرية ادارية) — تسليحها خفيف ومعظم جنودها من الحرفيين كالطباخين والنجارين والموسيقى وغيرها من الأعمال الفنية اللازمة لحياة الجيش وكان القانون يجعل هذه القوة تحت قيادة قائد ثانى الكتيبة وهى الوظيفة التى كنت أشغلها .

تحركت بمقدمة الكتيبة فى يوم ١٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م الى القاهرة وكانت القوة الأساسية قد تحدد لتحركها يوم ٢٦ يوليو — والقوة الأساسية لكتيبة مدافع الماكينة قوة رهيبة تحتوى على ٤٨ مدفع ماكينة متوسط — وهو مدفع يعطى قوة نيران بمعدل ٦٠٠ طلقة فى الدقيقة .

وكان الملازم أول (أحمد مدبولى عبد العزيز) المسئول عن حملة الكتيبة قد أعد عربات وحمالات الكتيبة أحسن أعداد حيث كان المفروض أن الكتيبة ١٣ ستسافر الى السودان فالاعتماد سيكون على كتيبتنا اذا دعت الظروف الى العمل القريب .

وهكذا تجمعت الكتيبتان وقد أعدتا أحسن اعداد فى القاهرة قبل يوم ٢٣ يوليو — وكان المفروض فى حساب الأحرار أن يضربوا ضربتهم فى أكتوبر أو نوفمبر سنة ١٩٥٢ م

غير أن العشرة أيام التى قضيتها فى القاهرة مع مقدمة (ك ا م . م) قد جرت فيها الأحداث بصورة جعلت أى تأخير يعرض تنظيم الأحرار للخطر المحقق .. فقد رشحت الاشاعات لوزارة الحربية أخطر ضابط على الأحرار وهو (حسين سرى عامر) الذى كان من أخلص رجال الجيش للملك — وهذا الضابط هو الذى كان الملك قد فرضه على مجلس ادارة (نادى الضباط) رغم عدم حصوله فى انتخابات النادى على الأصوات التى تؤهله لذلك — ورفض (اللواء نجيب) الذى فاز بالأصوات اللازمة للرئاسة والذين ينكرون دور اللواء (محمد نجيب) فى حركة الضباط الأحرار يتجنون عليه — فقد قال (محمد نجيب) لا — للملك .. وتنظيم الأحرار لا يزال سرياً — وصحيح أن الضباط الأحرار كان لهم دور كبير فى فوزه بالأصوات ، وصحيح أنه كان يعلم أنه مؤيد منهم — ولكن (لا) التى قالها اللواء (نجيب) فى هذا الوقت لم تكن الا تعبيرا عن شجاعته وثقته فى نفسه أولا وفى الضباط الأحرار ثانيا ... واننى انما اضرب مثلا لأرد على الذين يزعمون أن اللواء (نجيب) لم يكن ايجابيا . وكان (حسين سرى عامر) المرشح للوزارة معروفا بعدائه الشديد لحركة الضباط الأحرار وأنه كان ينصح بأخذهم بالحزم الفورى — فى حين كان غيره من قواد الملك يقللون من خطرهم — وذلك كان

يعنى أن توليه وزارة الحربية معناه القضاء الفورى على الأحرار
ــ وكان هذا الضابط قد تعرض فعلا لنيران الضباط الأحرار في محاولة فاشلة لاغتياله أمام منزله فى وقت سابق ...

نشط الضباط الأحرار واعادوا حساباتهم وقرروا توجيه ضربتهم بأسرع ما يمكن وقبل سفر الكتيبة ١٣ الى السودان . الذى كان قد بقى عليه أيام ــ وفى الأسبوع الأخير كان (جمال) لا يهدأ فكان يمر على يومياً فى منزلى وكان (عبد الحكيم عامر) يرافقه بصفة دائمة ــ وكان (عبد الحكيم) فى أجازة انتهت مدتها وكان عليه أن يعود الى مقر عمله فى (رفح) ولكن الأحداث أرغمته على البقاء رغم انتهاء أجازته مع ما فى ذلك من خطورة على أى ضابط .

وفى هذا الأسبوع الأخير ــ نظم (جمال) لأول مرة اجتماعة للتعارف بين الأحرار ـ وتم هذا الاجتماع فى منزل السيد (حسين الشافعى بثكنات العباسية) وتم الاجتماع تحت جنح الظلام . وفى هذا الاجتماع لم أر من الوجوه الجديدة بين الأحرار سوى (حسين الشافعى) الذى تم الاجتماع فى بيته (وثروت عكاشة).

وبينما كنت أنا أتوقع أن يكون العمل سهلا ما دام الجيش هو الذى سيقوم به ــ لدرجة أننى سبق لى التفكير فى القيام وحدى بالعمل من (منقباد) كما سبق وبينت ولم يوقفنى غير سوء حالة العربات التى كانت تحت يدى، فاليوم وأنا أرى عددا لا بأس به يشترك معى فان الأمر قد بات ميسورا أشد اليسر بينما كنت أنا على درجة كبيرة من الاطمئنان تزداد كلما ازداد عدد الضباط الأحرار الذين أعرفهم كان (ثروت) فى هذا الاجتماع كثير الأسئلة كثير الاحتمالات كثير التوقعات ...

فلقد تعلمنا فى دروسنا العسكرية ـ أننا نحتمل ثلاثة حلول مفتوحة أمام عدونا ـ غير أنه كان كثيرا ما يحدث أن يأتى العدو من (الطريق الرابع)أى غير كل ما احتملنا ـ ومن هنا جاءت فلسفة الاحتفاظ بقوة احتياطية لا تقل عن ربع قوتنا لمقابلة هذا الاحتمال ـ فكنت فى هذا الاجتماع أعجب لشدة مخاوف (ثروت) من هذا الطريق الرابع ....

وفى الفترة نفسها ـ الأسبوع الأخير ـ صحبنى (جمال) وبرفقته (عبد الحكيم) الى زيارة مفاجئة لصديق زعم أننى أعرفه . اسمه (أحمد فؤاد) وكان يقطن فى (منشية البكرى) فلما قلت له أننى لا أعرف لى صديقاً بهذا الاسم ـ نظر الى (عبد الحكيم) نظرة ذات معنى ـ وقال (جمال) أحمد فؤاد القاضى الا تعرفه ـ وفى الحقيقة أنى لم أكن قد سبق لى معرفته فأكدت له عدم معرفتى به فقال ولكنه يعرفك قلت : ربما أذكر إذا رأيته ـ وكنا قد وصلنا الى بيته فعلا ، ولما دخلنا منزل السيد (أحمد فؤاد) تصادف وجود صديق شيوعى كانت لى به معرفة وثيقة وقديمة وكان هذا الصديق هو الاستاذ (كمال عبد الحليم) المحامى والذى كان يتزعم (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) وهى احدى المنظمات الشيوعية وكان يرمز لها باسم (حدتو) . واعترف (أحمد فؤاد) اننى لم تكن لى به سابق معرفة ـ فزال ما كان عند (جمال) من شك فى أننى كنت اكتم الحقيقة بدافع السرية ...

وفى هذا اليوم عرفت من (جمال) أنه سيذهب هو وعبد الحكيم لمقابلة بعض (الأخوان المسلمين) كما عرفت أنه على اتصال (بالوفد) ـ وتبينت أن (جمال) كان يضع جميع الخيوط فى يده وأنه كان (الدينمو) الذى يحرك التنظيم ـ ولم أشعر بغضاضة من ذلك ما دام يسير حسب البرنامج الذى

ترسمه منشورات الضباط الاحرار والخط السياسي الوطني الذى ترسمه هذه المنشورات ـ فليكن القائد أى واحد منا ـ الى أن نقوم بدورنا المرسوم بتوجيه ضربتنا الى النظام الملكي الفاسد والعودة الى ثكناتنا كما هو مرسوم ومتفق عليه بيننا ...

أما الحادث الأخير فى تطورات الأيام الأخيرة وربما كان فى الثلاثة أيام الأخيرة فكان حادثا مؤسفا أشد الأسف بالنسبة لى .

النزيف يعاودني :

... كنت فى أثناء خدمتي القصيرة (بالسودان) فى صيف سنة ١٩٥٠ م قد أصبت فجأة بنزيف من رئتي اليسرى ـ الأمر الذى ادخلنى المستشفى الانجليزى بالخرطوم ثم نقلت بالطائرة الى القاهرة حيث دخلت مستشفى (حلمية الزيتون) العسكرية حيث عولجت من هذا النزيف ... وكان العلاج يلزمني بالنوم فى الفراش بدون حركة أو كلام لمدة حوالى ثلاثة أسابيع أتناول فيها الأدوية وحقنا ضد النزيف ثم عاودنى النزيف نفسه فى الرئة نفسها سنة ١٩٥١ فى الصيف أيضا ـ وتم علاجي بالأسلوب نفسه . ولا أذكر على وجه التحديد اليوم الذى زارني فيه (جمال عبد الحكيم) فى منزلي فى (حلمية الزيتون) ليجدانى غارقا فى (نزيفى) غير أنه كان حوالى يوم ٢٠ يوليو وكان قد تقرر القيام بالعمل فى ليلة ٢٢/٢٣ يوليو بصفة نهائية ...

وبالنسبة لضعف القوة التى كنت اقودها كما وكيفا ـ فهى وحدة ادارية كما سبق أن ذكرت ولا يزيد تسليح أفرادها عن البندقية ـ ولا يتجاوز عدد المسلحين بها الستين جنديا ـ فكان قد وضع لى فى الخطة العامة دور يتناسب مع هذه القوة ـ وكان الدور المرسوم عبارة عن أن أحضر بهذه القوة الصغيرة الى رئاسة الجيش (بعد احتلالها) وكان على أن أصحب معى ٤٠

(لورى) سيقوم بتسليمها لى الصاغ (عبد القادر مهنا) الذى كان يعمل فى رئاسة الفرقة المعسكرة فى (هايكستب) والتى كنت أخضع لقيادتها وفى المعسكر نفسه ..

فلما عادنى هذان الصديقان ووجدانى على هذه الحال — رأيا الغاء دورى كلية واعفائى من العمل فى هذه الليلة التى انتظرتها طويلا — وتكليف أحد ضباطى الصغار بالعمل نيابة عنى — وكان العمل بسيطا ولا يتطلب رتبة كبيرة .. ولكننى أقنعتهما بأن خبرتى مع هذا النزيف تمكننى من القيام بالدور المرسوم بدون تعرضى للخطر — لأنى كنت فى المرات السابقة أقضى بضعة أيام قبل دخول المستشفى — واتفقنا على أنه اذا استدعت الحالة فان المستشفى العسكرى العام بكوبرى القبة سيكون على بعد خطوات من القيادة العامة .

ليلة عمرى :

فى صباح يوم ٢٢ يوليو كنت جالسا فى مكتبى بمعسكر (هايكستب) أفكر فى الطريقة التى أجمع بها ضباطى فى المساء للعودة الى المعسكر (للمبيت) حتى القيام بالعمل — وبديهى أن سرية العمل كانت تقتضى حصر المعرفة فى الضباط المعنيين فقط حتى آخر لحظة ممكنة — ضمانا للأمن وعدم تسرب المعلومات فلم يكن بين ضباط الكتيبة من يعرف أننا سنقوم بالعمل الكبير المرتقب فى هذه الليلة غيرى أنا واليوزباشى (عبد المجيد شديد) الذى كان يلينى فى قيادة القوة ..

وفى هذا الصباح قدم لى (عبد المجيد شديد) ثلاثة ضباط جدد تخرجوا فى الكلية الحربية وانضموا الى قوتنا فجاءوا لتقديم

انفسهم لمقر الكتيبة الموجود بالقاهرة لحين وصول القوة الأساسية وتوزيعهم عليها بمعرفة (قائد الكتيبة) وفكرت فى هؤلاء الثلاثة الجدد — هل أشركهم فى العمل ؟ أم أمنحهم أجازة يوم أو يومين أو حتى لحين وصول القوة الأساسية يوم ٢٦ ؟؟ ووجدتنى إستريح لقرار اشراكهم في العمل الكبير — ليقول كل منهم لأولاده وأحفاده فيما بعد أن أول عمل قام به فى أول يوم من خدمته هو الاشتراك فى الثورة — وراقتنى هذه الفكرة لا سيما وأنهم اذا لا قدر الله فشل العمل — فسيجدون عذرهم فى عدم تحمل المسئولية لأننى كنت بالطبع سأحملها عنهم بحكم ظروفهم — وأن ذلك لن يزيد موتى مرارة — وقررت اشراكهم ...

وبينما أنا حائر أقلب الأمر على وجوه شتى وأحاول اختراع أسباب للعودة مساء والمبيت في المعسكر ولا إهتدي الى سبب معقول واذا بـ (عبد المجيد شديد) يدخل على بالحل وكأنما هبط هذا الحل على من السماء ..

قدم لى (عبد المجيد) تقريرا يتضمن أن الضابط (النوبتجى) الذي كان مكلفا بالمبيت بالمعسكر فى الليلة السابقة كان قد (زوغ) — أى ترك الخدمة وبات حيث شاءت له ظروفه — ووجدت فى هذا الحادث حلا شافيا .

طلبت من (عبد المجيد) ان يجمع لى كل ضباط الكتيبة — بما فيهم الثلاثة الجدد . فلما اكتملوا أمامى وجهت الكلام الى الضابط الذى ارتكب الخطأ — وقلت له : يؤسفنى أننى علمت بما كان من استهتارك فى الليلة السابقة ومبيتك بعيدا عن مكان خدمتك .. ولكى القى عليك وعلى جميع أخوانك درساً فى الواجب — فاننى قررت أن نعود جميعا فى المساء فنقضى الليل فى المعسكر بل ولقد كان لنا بعض الضباط فى القاهرة يتلقون (فرق تدريب)

فكلفت (عبد المجيد) بالاتصال بهم واخبارهم بالحضور للمبيت معنا وبذلك اكتمل عدد الضباط حوالى ١٢ ضابطا مع هذه القوة البسيطة .

وتحددت الساعة السادسة مساء ٢٢ يوليو لنلتقى جميعنا ومعنا ضباط الفرق التعليمية فى ميدان (صلاح الدين) بمصر الجديدة حيث تكون العربات فى انتظارنا .

وصلت الى مكان اللقاء قبل الموعد بنحو ربع ساعة ــ وتصادف أن كان المكان أمام أجزخانة فطرأت لى فكرة أن أطلب من الصيدلى حقنة ضد النزيف تكون قوية فباعنى الحقنة فرجوته أن يعطيها لى فاعتذر لعدم وجود استعداد فى الصيدلية لذلك ــ وأشار لى الى عيادات كثيرة للاطباء وأخبرنى بأننى لا بد أجد فى هذه العيادات من يقوم بذلك .

وفعلا توجهت الى أول عيادة دكتور وقام التومرجى بالمطلوب على خير حال ، ولما اكتمل الضباط بما فيهم ضباط فرق التعليم ــ تحركنا الى المعسكر وأنا أشعر بارتياح شديد من ناحية الأمن ــ فلو أن أحد من ضباطى سئل عن سبب تواجدنا لأجاب اجابة تحتوى على الحق والأمن جميعا . .

بقينا فى المعسكر وانهمك الضباط فى أحاديث شتى حتى وصل رسول القيادة الضابط (زغلول عبد الرحمن) وكان يحمل معه بطيخة كبيرة لم يجد الضباط سكينا لتقطعها فاستعملوا السونكى فى ذلك ــ وبينما هم منهمكون فى تقطيع البطيخة وتوزيعها انفرد بى (زغلول) وأفضى الى بآخر الأوامر وكانت تحتوى على ساعة الصفر (منتصف الليل) وكلمة السر (نصر) كانت هذه هى

الرسالة التى حملها (زغلول — الى — أو التى سمعتها منه — أو شاء الله أن أسمعها منه على هذا النحو — وقابلت (زغلول) كثيراً بعد ذلك وبعد نجاح الثورة فكنت اسأله عن حقيقة (ساعة الصفر) التى بلغها لى فكان يبتسم — ولا يجيب ..

بقى (زغلول) معنا فى تلك الليلة حتى تحركنا .. وقبل ساعة الصفر بحوالى ثلث ساعة جمعت الضباط ووزعتهم على القوة التى كانت حوالى ٦٠ جندياً قسمتهم الى ثلاث فصائل وأمرتهم بتجهيز فصائلهم والاستعداد للتحرك بالتجمع فى مكان استلام العربات (اللورى) ومع كل جندى مائة طلقة ذخيرة على أن يتم التجمع فى خلال ربع ساعة — وأمرت (عبد المجيد شديد) بالاتصال (بعبد القادر مهنا) لتجهيز الـ ٤٠ لورى وعاد (عبد المجيد) ليقول لى أن اللوارى جاهزة وتجمع الضباط والجنود فخطبت فيهم خطبة قصيرة أستثير حماسهم واطلعهم لأول مرة أنهم سيتحركون للاشتراك فى عمل خطير — لصالح الوطن وأن كلا منهم سيفخر طوال حياته بالمساهمة فى هذا العمل الخطير ...

وخصصت اللوارى الثلاثة الأولى لركوب الفصائل الثلاثة على أن أكون انا ومعى ضابطان فى عربتى (الجيب) فى مقدمة القوة — ويكون (عبد المجيد شديد) خلف القوة — أى خلف الـ ٤٠ لورى كما تقضى تعليمات التحرك — وكان زغلول يصحبه فى عربته .

وأمرت الفصائل بالركوب وعند انتصاف الليل تماما كنا جاهزين للتحرك فى ساعة الصفر تماما .

الطريق الرابـــع :

وقبل أن أتحرك بثوان ــ أسرع الى (عبد القـــادر مهنا ــ ليقول لى فى أذنى : أن اللواء (مكى) فى طريقه الينا وعلى وشك الوصول ــ واللواء (عبد الرحمن مكى) هو قائد الفرقــة المعســـكرة فى هايكستب ــ والتى نحن جميعا تحت قيادته ــ وهو قائد الفرقة فى جيش (الملك) لا فى التنظيم .

كانت مفاجأة كبيرة وخطيرة ــ ولما سألته تفسيراً لذلـــك أجاب بأن القائد أتصل تليفونياً وطلب عربته على وجه السرعــــة وأن عسكرى التليفون أوصل التعليمات الىالسائق مباشرة وأنه هو (عبد القادر) لم يعلم بذلك غير الآن وان ذلك كان منذ حوالى نصف ساعة ــ وكان اللواء يسكن فى مصر الجديدة أى أنه فعلا على وشك الوصول ..

تذكرت (ثروت عكاشـــة) وكثرة تســاؤلاته واحتمـــالاته وتوقعاته فى اجتماع التعرف بمنزل البكباشى (حسين الشافعى) منذ أيــام .

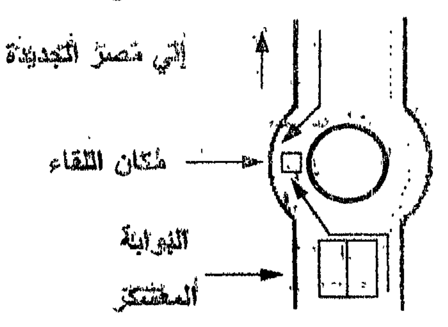
لم يكن هناك بد من سرعـــة التحرك حتى لا نلتقى به داخل المعسكر حيث تكون له الكلمة العليا ــ والأمر النافذ علينا وعلى باقى القوة فقلت لعبد القادر ــ أننى سأتصرف .. لم يكن أمامى بعد أن فعلت كل ما فعلت ــ وأصبحت فى حالة تلبس وأركبت الجند بسلاحهم وذخيرتهم وكشفت لهم عن العمل الخطير ــ لم يكون أمامى غير أن أتحرك وبسرعة .

وفى طريقنا الى بوابة المعسكر ــ أصــدرت تعليماتى الى سائق العربة انه فى حالة التقائنا بعربة اللواء فى طريقنا فعليه أن يوجه اليها (النور الكبير) ويتصدى لها وايقافها بأى طريقة ــ وأمرت الضابطين المرافقين لى والسائق معهم أنه فى حالـــة

وقوف عربة سعادة اللواء ـ ينزلون جميعاً من العربة شاهرين اسلحتهم فى وجه القائد ولا يفتح أحد النيران الا بأوامر منى ــ وكنت ليلتها أحمل (برتا) بدون خزنة أى بدون ذخيرة ــ وجدتها فى العربة وعلمت أنها تخص عسكرى يحمل الخزنة معه ــ غير انى كنت واثقاً من أن تأثيرها سيكون فعالا فانما الحالة النفسية هنا هى التى تسيطر على كل شىء ــ والمفروض أن القائد لا يحمل سلاحاً فهو يدير المعركة ــ ولكننى آثرت حملها عند اللزوم لما لها من أثر نفسى فلن يتصور أحد أنها بدون خزنة .

ولم أكد افرغ من اعداد هذه الخطة لمواجهة القائد القادم وأصدر بها أوامرى حتى كنا قد بلغنا بوابة المعسكر وشاهدنا عربة اللواء فعلا قادمة بأقصى سرعة وسمعت صوته وهو ينادى فى سكون الليل بصوته الجهورى ــ وقف عندك يا جدع انت وهو ــ وقف عندك .

وأمام بوابة المعسكر كانت توجد (صينية لتنظيم المرور الى يمين وشمال فى الدخول والخروج وتم اللقاء وهو على ناحية الصينية البعيدة ونحن على الناحية القريبة من المعسكر ـ غير انى أمرت السائق أن يخالف قواعد المرور ويتجه يساراً لمواجهة العربة ونفذ ما أمرته به فعلا وتمكن من ايقاف عربة القائد فى منتصف الصنية من جهة يسار الخروج كما يبين الرسم .



وقفت عربة القائد على قيد أمتار من بوابة المعسكر — ونزل الضباط والسائق وشهروا أسلحتهم حسب الخطة الموضوعة وأنا معهم — فرآني القائد وكان يعرفني جيداً فقال بصوت مسموع فيه مزيج من الخوف والقلق مين ؟؟ يوسف ؟؟

واستسلم (القائد) (ولم يكن له غير مطلب واحد هو أن نؤمنه على حياته — فوعدته بذلك مادام يطيع الأوامر — فوعد بذلك — ووضع نفسه تحت أمرنا .

وخطر لي خاطر أن أنزع (بيرق القيادة) من على عربته — غير أني شغلت عن ذلك باصدار الأوامر الجديدة لاستئناف السير ..

أمرت عربة القائد الأسير بأن تتبع عربتي مباشرة ويكون خلفها اللوري الأول الذي يحمل الفصيلة الأولى وتوجه النيران من العربتين الى عربته وأصدرت أوامري باطلاق النار فوراً على عربته أن هي حاولت الخروج عن خط السير في محاولة للهرب .

وهكذا بدأنا السير من جديد على الترتيب الآتي :

عربتي الجيب في المقدمة — وليس عليها ما يدل على أنها عربة القائد . حيث لم تكن رتبتي تسمح بذلك — وتليها عربة القائد الأسير يرفرف عليها علم القائد الذي نسيت أن أخلعه — ثم اللوارى الثلاثة المحملة بالضباط والجنود ثم باقي اللوارى الفارغة وفي النهاية عربة عبد المجيد شديد وزغلول . واستأنفت سيري نحو القيادة العامة حسب الخطة العامة وليس معي جديد على الخطة سوى هذا الأسير الكبير (قائد الفرقة) .

وفى الطريق دارت فى رأسى تساؤلات كثيرة ·· أننى لم أشترك فى وضع الخطة العامة ـ حيث كانت تقوم بذلك لجنة كنت أعرف ان البكباشى (زكريا محيى الدين) على رأسها ·

وكانت السرية تفرض أن لا يعرف كل ضابط غير ما يمكنه من القيام بدوره المرسوم له فى الخطة ·· غير أن اعطائى (كلمة السر) كان يعنى أننى سأجتاز قوات الحصار المفروض ضربها على كل المناطق العسكرية لعدم السماح لغير (الاحرار) بالمرور ·

كيف اذن اجتاز (اللواء مكى) قوات الحصار هذه وكيف سمح له بالمرور ؟ ··· انه بلا شك لا يعلم كلمة السر

وعللت نفسى بأنه ربما يكون قد مر قبل أن تأخذ هذه القوات أماكنها ـ ولكن لماذا حضر ؟؟ ان حضوره بعد انتصاف الليل أمر غير مألوف ويدعو الى التساؤل ـ وكنت كلما قطعت مسافة على الطريق الصحراوى الذى يربط بين معسكر (هايكستب) ومصر الجديدة دون أن أتعرض لقوات الحصار التى تمنع تسلل ضباط من غير الأحرار ـ ازداد الأمر أمامى غموضاً · غير أن (اللقاء الأول) على (الطريق الرابع) ـ لقائى مع اللواء الأسير كان قد اكسب ضباطى وجنودى من الاثارة والحماس والثقة بنفسهم وبقائدهم ما جعلنى اطمئن على أننى أستطيع أن أعمل بهم ما أشاء رغم قلتهم وضعف تسليحهم ·

اللقاء الثانى :

انتهى الطريق الصحراوى دون ظهور أى بادرة على أن الخطة البهامة قد وضعت موضع التنفيذ فأى قوة حصار لمنع تسلل

غير الأحرار لا بد أن توضع فى مكان ما على هذا الطريق .. وقد انتهى الطريق — وليس هناك غير أحد احتمالين — فاما ان يكون التأخير فى التنفيذ هو السبب واما أن تكون الخطة لم توضع موضع التنفيذ لسبب لا أدرية .

وبدأ دخولنا مصر الجديدة (بصينية مرور) أخرى مشابهة لتلك التى تم عليها اللقاء الأول وعندما وصلت عربتى الى منتصف (الصينين) ولكن من الاتجاه السليم فى هذه المرة — أخبرنى الضابط المكلف بمراقبة الخلف بأن القوة قد توقفت .. ولاحظت أنه كان على الجانب الآخر للصينية — جندى يقود سيارة من سيارات كبار الضباط — وعلى وجهه علامات الذعر الشديد بادية بوضوح رغم ضعف الاضاءة — وظننت أنه ربما يكون فى حالة خطأ ما كأن تكون معه فى العربة امرأة أو غير ذلك من المخالفات ولم أعره انتباها لأننى كنت مشغولا بما هو أهم وأخطر وأوقفت عربتى — ونزلت مسرعاً لأرى سبب توقف القوة .

واكتشفت السبب — فلقد كان صاحب العربة التى على الجانب الآخر للصينية هو الأميرالاى (عبد الرءوف عابدين) قائد ثانى الفرقة .. الذى كان فى طريقه الى المعسكر — فلما رأى القوة قادمة — نزل من سيارته وتوجه الى أول لورى يحمل ضباطا وجنودا أى اللورى الذى يسير خلف عربة القائد الأسير فأوقف اللورى .. وكان الضباط يجلسون بجوار السائق — فسأل أحدهم وكان الملازم أول (حسن شكرى) — الى أين يا حسن ؟ فرد الضابط : طوارىء يا فندم — ومن معكم يا حسن ؟ .. سعادة اللواء فى عربته التى أمامنا يا أفندم .

وحين وصلت أنا مترجلا الى أن صرت أمام عربة اللواء كان القائد الثانى قد وصل من الجانب الآخر وحيا قائده — واعتقد انه كان يظن انه على رأس القوة وحاول ان يذهب الى عربته غير أن

اللواء سهل على الأمر ففتح له باب العربة وطلب اليه الجلوس بجانبه — فأراد القائد الثانى أن يستفسر و (يرغى) غير أن القائد أمره بحزم أن يجلس بجانبه فركب على مضض — عدت الى عربتى فى مقدمة القوة — والدم يغلى فى عروقى من شدة الغيظ .. فجزائمى نزداد على الطريق — وليس هناك ما يدل على ان الخطة فى التطبيق . فهذا أسير جديد أحمله معى وأنا أسير فى ظلام حالك ولا أفهم معنى لما يجرى ولا شك أن تواجد هذا الضابط الكبير فى مثل ذلك الوقت يعنى شيئاً — وأن كان وجود الأسير الأول قد جعلنى فى شك من الأمر فان وجود الأسير الثانى يجعلنى فى حالة يقين بأن هناك ما يجرى وأجهله — وأن لى أن أعرفه ؟؟

وفكرت فى طريقة للاتصال (بجمال) وخطر لى أن استدعى (زغلول) من مؤخرة القوة فلعله يدرى مكان (جمال) ولكنى رأيت أن ذلك يستغرق وقتا — وكل الدلائل تشير الى قيمة الوقت — كما خشيت أن أبدو أمام الأسيرين الكبيرين فى موقف ضعف قد يجعلهما يستردان سلطتهما على الجنود واحتملت أسوأ الاحتمالات أن تكون الخطة لم توضع موضع التنفيذ فماذا يكون تصرفى ؟؟ فرأيت أنه لم يبق أمامى الا التوجه الى القيادة العامة فى (كوبرى القبة) وقد أصبحت قريبا منها — فان لم أجدها محتلة احتلها بقوتى الصغيرة وليكن ما يكون — وعلى كل حال فالقيادة القائمة ليست بها قوات حراسة أكثر من (القرة قول) العادى وهذا لا تزيد قوته عن سبعة جنود ولا يحمل كل منهم أكثر من ٥ طلقات ذخيرة أو ١٠ على أكثر تقدير — لقد كانت حاجتى للاتصال (بجمال) شديدة لعله يلقى بعض الضوء على ما يجرى وقررت احتلال القيادة وبأسرع ما يمكن .

وبدأت أتحرك على هذا الأساس — احتلال القيادة العامة والدفاع عنها لآخر طلقة وآخر رجل لم يكن أمامى حل آخر فى هذا الضياع الذى كنت فيه .

فى المدن تتحدد للقوات العسكرية طرق تلتزم بالسير فيهـا ويراعى فى هذه الطرق أن لا تكون فى وسط المدينة تجنبا للزحام وتوفيرا للوقت .

والطريق الذى كنت أسلكه نحو القيادة هو طريق أعرفـه جيداً وقد سرت فيه مئات المرات أن لم يكن آلاف المرات ليـلا ونهارا .. وكذلك يعرفه السائق جيدا — ولكنى ما كدت أتحرك من (الصينية) وأصل الى شارع (السلطان حسين) فظننت أنه الطريق المعتاد فأمرت السائق بالدخول فيه وعـارضنى السائق لتأكده من أنى على خطأ فنهرته بصوت اختلط فيه الحزم بالغضب بالاضطراب .. بكل ما أعانى : فرضخ للأمر ودخلنا فى الطريـق الخطأ ولم نسر فيه أمتارا حتى تبينت أنه لم يكن الطريق الصحيح وأن السائق كان على حق فى اعتراضه .

غير أننى لم أجد داعيا الى تصحيح الوضع لأننا كنا بعـد انتصاف الليل والطرق خالية ويمكن أن نصحح وضعـنا فى أول فرصة ممكنة .

الله يتجـلى :

ان لله سبحانه وتعالى رجال يقولون للشىء كن . فيكون .. وبديهى أن هؤلاء الرجال لابد وأن يكونوا على طريق الله .. وحقا أن الله يصيب برحمته من يشاء . غير أن منطق الأمور يقول أن رحمته سبحانه وتعالى مرتبطة بعدله .

ولقد كنت فى هذه الليلة على طريق الله .. خرجت بضباطى وجنودى لا أبغى الا وجهه — خرجت ثائرا على الظلم والفساد — لا أبغى منصبا ولا جاها لنفسى وانما أعرض نفسى للخطر الذى بدأت أشعر بقربه فى سبيل تخليص بلادى مما كانت تئن تحت وطأتـه .

وكنت أسير فى ظلمات ... ظلام الليل وظلام الجهل بما يجرى وكانت أعبائى تزداد على الطريق — وصلتى بالقيادة التى تدير العمل منقطعة تماما فتمنيت من الله أن أتصل (بجمال) لعله يلقى بعض الضوء فى هذه الظلمات الحالكة التى كنت أسير فيها .

ولم نكد نستقيم فى وضعنا على الطريق الجديد — الذى دخلته عن طرق الخطأ .. حتى أخبرنى الضابط المراقب بالخلف أن القوة توقفت .. وذكرت (ثروت عكاشة) وابتسمت رغم كل شىء .

ونزلت من عربتى لأرى .. غير أنى فى هذه المرة لم أر عدواً جديداً آت من الطريق الرابع — ولكنى رأيت (الله) سبحانه وتعالى ...

لم أكد أجتاز عربة الأسرى التى تتبعنى — حتى رأيت أمام اللورى الأول الذى يحمل رجالى جمهرة وسمعت (غوغاء) فلما أسرعت الى مكانهما وجدت بعض ضباطى وجنودى يحيطون برجلين يرتديان ثياباً مدنية (قمصان بيضاء وبنطلونات) وتجرى بينهم مشادة كلامية — فلما اقتربت لأتبين الوجوه فى الظلام رأيت عجباً .. فلقد كان الرجلان (جمال وعبد الحكيم) .

لم يكد الخاطر يمر ببالى منذ لحظه — ولم أكد أتمنى أن أرى (جمال) منذ ثوان حتى قال لى الله القادر على كل شىء : هذا هو (جمال) بين يديك (أسير جندك ورجالك) .

انتابنى احساس عميق بأننى فى رعاية الله — ورأيت أن النصر قد أصبح محققاً بفضل الله .. خلصت الرجلين من قبضة رجالى — وانتحيت (بجمال وصاحبه) جانباً حتى لا يكون حديثنا فى دائرة سمع الاسيرين الكبيرين ... والقى (جمال) بالضوء الذى كنت ارتقبه وأتمناه .

علمت من (جمال) أن أمر الحركة قد انكشف (للملك) الذى كان يصطاف فى الاسكندرية — وانه قد تم الاتصال بالقيادة فى (القاهرة) وأن هذه القيادة مجتمعة فى مقرها لاتخاذ اجـراء مضاد . فشكرته على هذه المعلومات الجديدة — وأخبرته أننى كنت قد قررت احتلال القيادة — واننى سأقوم بذلك فوراً — وكان قد حضر مع زميله فى عربته الخاصة (عربة جمال) وأسرعت الى عربتى فى مقدمة القوة — وذهبا هما ليستقلا عربتهما وسبقانى الى أرض المعركة .

المعركـــة :

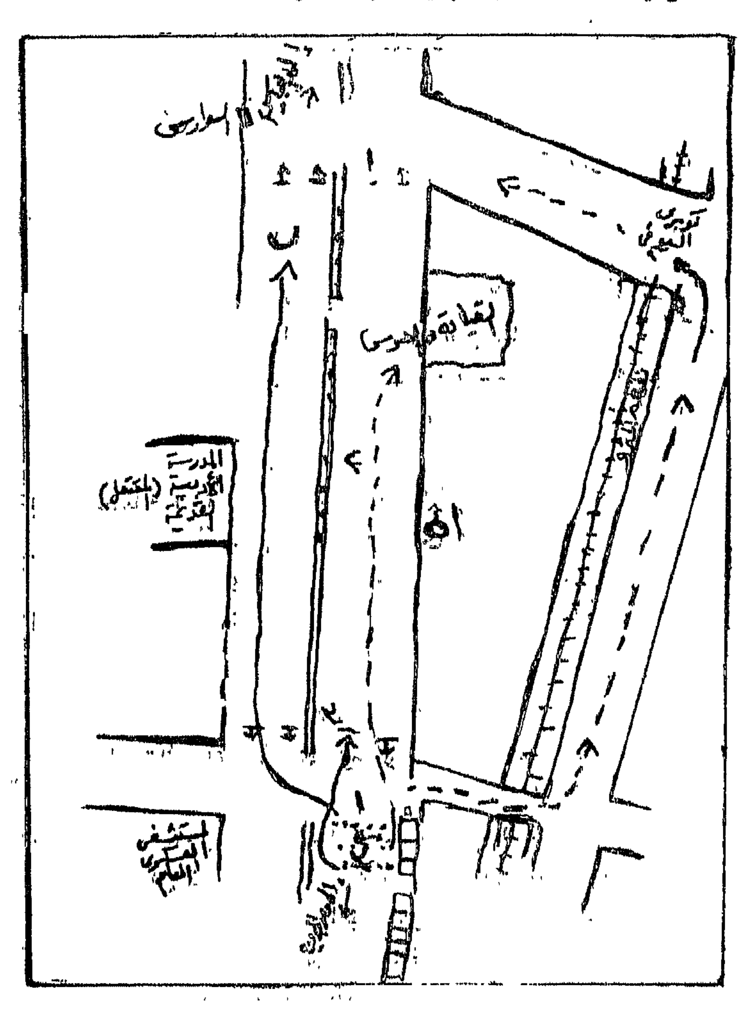
المسافة بين شارع السلطان حسين حيث كنت وبين مقـر القيادة العامة فى (كوبرى القبة) لا تزيد عن ٢ كيلو متر أو ثلاثة على اكثر تقدير .. تقطعها القوة فى عربتها في دقائق .. وكان على فى هذه الدقائق أن أضع خطتى لاحتلال القيادة واقوم بالتنفيذ على وجه السرعة — حيث أن كل دقيقة بل كل ثانية أصبحت لها قيمة كبيرة .

والجديد الذى طرأ على خطتى السابقة هو أننى سوف لا أذهب لاحتلال القيادة على غره — وأننى قد اتعرض لمقاومة من الحرس — وربما من الضباط المجتمعين ولو أن هؤلاء لا يحملون غـير الطبنجة فى الغالب .

وأرض المعركة أعرفها جيداً وبالتفصيل : مما ساعدنى على رسم الخطة بدقة وعناية وسرعة .

فمقر القيادة يقع بين الكوبرى الذى يمر فوق نفق المتـرو والمواجه للمستشفى العسكرى العام — وكوبرى السيوفي الذي يمر فوق النفق على مسافة لا تزيد عن الكيلومتر جهة العباسـية .

ونفق المترو فى هذه المنطقة عميق وميل اجنابه جاد يكاد يكون عمودياً — ولا يمكن اجتيازه بأى قوات .



كروكى لأرض المعركة

الخطـــة :

مرت الخطة فى رأسى كشريط السينما ... لقد وجـدت أن أوزع فصائلى على النحو الآتى :

● نقطة التجمع لاصدار الأوامر هى أمام الكـوبرى المواجه للمستشفى .

● الفصيلة (١) : تبقى فى اللورى ولا تترجل — وتسرع باللورى بالالتفاف من خلف القيادة لتصل الى مكانها لتقفل الطريق عند باب السوارى لمنع تدخل أى قـوات — والقبض على اى ضابط من غير الأحرار وارساله الى المعتقل .

● الفصيلة (٣) : تبقى فى مكانها لقفل الطريق أمـام الكوبرى عند نقطة التجمع لمنع تدخل أى قوات آتية من ناحيـة مصر الجديدة أو كوبرى القبة والقبض على أى رتبـة من غير الأحرار وارسالها للمعتقل .

● الفصيلة (٢) : تقوم بمهاجمة القيادة العـامة تحت قيادتى . وكان قائد الفصيلة الملازم أول (اسماعيل طه الشريف) .

يشرف عبد المجيد شديد على الفصيلتين ١ ، ٣ وقد وضعت هذه الخطة على أن تتحاشى الفصيلة (١) التعرض لحرس القيادة الذى قد يعطلها ويشغلها عن القيام بواجبهـا غير أننى عندمـا وقفت عند نقطة اصدار الأوامر لم ينتظر الجنود أوامرى بالنزول من العربيات ولكنهم قفزوا من اللوارى واصطفوا بجانبها وعلى رأسهم ضباطهم وبذلك افسدت على الفصيلة (١) الحنكة التى

كنت قد دبرتها لوصولها الى مكانها باللورى وفى الحال أصدرت اليها الأمر بالتوجه بالخطوة السريعة الى مكانها متخذة الجانب الأيسر من الطريق لعدم التعرض لحرس القيادة وأنها لا تشتبك معه وتسرع الى مكانها .

وعندما كنت أصدر أوامرى للفصائل لاحظت أن (جمال) وعبد الحكيم كانا يقفان عند النقطة (أ) ولما وصلت مع الفصيلة (٢) الى قرب باب القيادة لمهاجمتها سمعت طلقات من الفصيلة (١) فظننت أنها اشتبكت مع الحرس مخالفة الأوامر — وكانت قد وصلت الى النقطة (ب) أى تجاوزت باب القيادة .

وفوجئت بحرس القيادة يطلق نيرانه علينا — فاشتبكت معه بالفصيلة (٢) ولم تدم المعركة أكثر من دقيقتين أو ثلاثة على أكثر تقدير — نفذت بعدها ذخيرة الحرس كما كنت أتوقع واستسلم الحرس وأصبحت القيادة فى يدى .

ولم يشتبك ضباط الاجتماع معى وكانوا فى الدور العلوى من مبنى القيادة . وأسفر الاشتباك عن قتيلين من رجالى ومثلهما من الحرس وأكملت تفتيش الدور الأرضى من القيادة وتأكدت من خلوه من أى قوات . ووضعت حراسة على الأماكن الحساسة فيه — وهممت بالصعود الى الدور العلوى حيث مكان الاجتماع .

كانت القوة الباقية من الفصيلة الوحيدة التى أقودها لاحتلال القيادة بعد توزيع الحراسات المطلوبة قد أصبحت صغيرة أقل من ١٠ جنود ولكننى لم أكن أتوقع مقاومة كبيرة من ضباط الاجتماع .

ولكن الله كان معنا — ففى هذه اللحظة التى أحسست فيها بقلة قوتى — فوجئت بالصاغ (حسن أحمد الدسوقى) على

رأس قوة من نحو ٢٠ جنديا وقدم نفسه لى قائلا أن البكباشى (زكريا محى الدين) قد أرسله لتعزيزى .

وكانت لى معرفة (بحسن الدسوقى) فقد جمعنا الخدمة معاً فى الماضى وكنت أعرف مدى شجاعته واخلاصه وحسن تصرفه فحمدت الله على هذا العون الذى جاء فى وقته بالضبط . وباضافة قوة حسن العسكرية أصبحت أملك قوة لا بأس بها لاستئناف العمل .

وعلى سلم الدور العلوى اعترضنى (جاويش) وحاول منعى من الصعود — فأفهمته بأنه لا جدوى من مقاومته — فأصر على أن لا أمر الا على جثته .

كان الوقت مهما والأعصاب متوترة — ووجدتنى مضطراً لأن أطلق عليه طلقة فى رجله حتى يفسح الطريق — ولم أندم على عمل فى تلك الليلة سوى هذا الاعتداء على الجاويش الشجاع الأمين الذى أراد أن ينفذ أوامر قيادته بكل اخلاص — ويؤسفنى أننى علمت بعد ذلك أنه (مات) مع أننى أنما قصدت اصابته .. ولم أقصد قتله .

واستأنفت صعودى الى الدور العلوى يرافقنى (حسن أحمد الدسوقى) — وجنوده فلما وصلت الى باب (القائد) وجدته موصداً وحاولت فتحه فشعرت بمقاومة واذا بجنود (حسن) يطلقون النار على الباب بدون أوامر — وتبين أن المقاومة كانت بسبب كرسى وضع خلف الباب وكانت الحجرة مظلمة ولكن بعد اطلاق النار على الباب وفتحه اضاءت لأجد أربعة مناديل بيضاء تطل من وراء (برفان) — وهى علامة استسلام .

وخرج الضباط من وراء (البارفان) وكان على رأسهم — الفريق (حسين فريد) قائد الجيش ومعه الأميرالاى (حمدى هيبة) وضابط آخر من هيئة الأحكام العسكرية برتبة عقيد ورابع لا أعرفه . ولا أحب أن أترك هذا الموقف بلا تعليق — فقد كان الفريق (حسين فريد) رابط الجأش ثابتاً وكان يبدو طبيعياً — لا أثر للخوف على وجهه — لقد كان أشجع من قابلت فى تلك الليلة من رجال الجيش خارج التنظيم (وحسين فريد) جمعتنى به الخدمة قبل ذلك مرتين الأولى عندما كنت تلميذاً بالمدرسة الحربية وهو استاذى فيها — والثانية وأنا ضابط مدرس (بالكلية الحربية) وهو رئيسى فى العمل — ولا أترك الكلام قبل أن أوجه له تحية هو أهل لها .

ولقد كان الظلم يغمرنى وأنا فى الجيش فى السنة الأخيرة وكنت أطلب مقابلته لعرض مظالمى عليه ومكثت أكتب لمدة عام طالباً ذلك واثقاً من عدله ونزاهته دون جدوى .. وهكذا شاء القدر أن نلتقى على هذه الصورة .

ورافقت قائدى واستاذى الى باب القيادة حيث حييته وسلمته (لعبد المجيد شديد) هو ورفاقه ليودعم المعتقل .. وعلى باب القيادة فوجئت بالقائم مقام (أحمد شوقى) فى ملابسه الرسمية ولم أكن أعلم بوجوده فى الضباط الأحرار وعلمت أنه جاء بكتيبته متطوعا فى تلك الليلة — وحيانى بابتسامة رقيقة وانصرفت عنه لاستئناف عملى .

فلقد كان معنى وجود هؤلاء الضباط فقط فى مكتب القائد أن الاجتماع قد انتهى — وعاد القواد الى وحداتهم لممارسة المقاومة وكان على أن أعد قواتى لأى اشتباك محتمل .. وفورى .

وعلى الرغم من وجـود العشرين عسكرى بقيادة (حسن الدسوقى) فقد كانت القوة ما تزال أصغر من القيام بواجب الدفاع على الوجه المطلوب .

وعلمت أن جناحى الخطة الفصيلة (١) والفصيلة (٣) قد قاما باعتقال عدد كبير من ضباط الجيش وضباط الشرطة الذين كانوا فى طريقهم الى العمل ضد الثورة وانهم وضعوهم جميعاً فى المعتقل — وهكذا كان توفيق الله فى سلامة الخطة الصغيرة .

وعلى ذكر الخطة — أقول اننى على الرغم من اننى كنت (مذاكر) كويس وأعرف أن الخطة — أى خطة مهما كانت بسيطة أو لعمل بسيط يجب أن يكون لها (احتياطى) ليقابل أى احتمال مفاجىء — من الطريق الرابع كما تقول الكتب العسكرية — وعلى الرغم من أننى تذكرت (ثروت عكاشة) فى أكثر من مناسبة فى تلك الليلة بسبب كثرة تساؤلاته واستيضاحاته فى ليلة التعارف التى تمت فى منزل السيد (حسين الشافعى) — تجنباً للوقوع أمام خطر (الطريق الرابع) على الرغم من ذلك كله فاننى لم أجعل لهذه الخطة (احتياطيا) — ولم يكن ذلك لجهل بفائدة الاحتياطى وانما لفقر فى القوة فرضته الظروف .

السماء تمطر جنوداً :

بعد توديع القائد — بدأت أمارس قيادتى .. فوجدت عدداً كبيراً من رجال (الشرطة العسكرية) محشورين فى غرفة الخرس — ولما سألت عنهم علمت أنهم كانوا مرسلين لتعزيز حرس القيادة غير أن الفصيلة (١) قد قابلتهم عند النقطة (ب) المبينة بالكروكى — أى على قيد خطوات من باب القيادة وأن (عبد المجيد شديد) اشتبك معهم وجردهم من سلاحهم ووضعهم فى هـذه

(الحجرة) - وسمعت واحداً منهم يناديني بأعلى صوته - فلما اقتربت منهم وجدته (جاويشا) من الشرطة العسكرية .

جمعتني به ظروف الخدمة في (السودان) سنة ١٩٥٠ م - فوجه الى قوله في غضب واحتجاج يا سعادة البك احنا مش فاهمين حاجة - وانت تعلم أننا طول عمرنا رجالك فلماذا نعامل على هذه الصورة . وهل نحن من جيش (اسرائيل) ؟ وانك لتعلم أننا رجالة وأننا نكن لك الحب والاحترام .. أم هل نسيت موقفنا منك في الخرطوم ؟ .. وفي الحقيقة لقد كان موقف هذا الجاويش في الخرطوم مثالا للشجاعة والتضحية - فلقد كنت في خلاف شديد مع القائد هناك وكنت أعمل (اركان حرب القوات المصرية بالسودان) - وكان القائد على علاقة حسنة (بالسراى) - وعلى الرغم من أننى كنت على جانب الحق وكان خلافى معه لأمور تتعلق بسمعة القوات المصرية بالسودان وبسمعة مصر - وما أصابها من تصرفات القائد - فان الأوامر قد صدرت بنقلى من الخرطوم .. وجاء هذا الجاويش ومعه كل رجال الشرطة العسكرية لتحيتي ووداعي في منزلى قبل سفرى مع ما في ذلك من تعرضه لسخط القائد الذى كان بحكم صلته (بالسراى) يستطيع أن يفعل ما يشاء .

ووجدت أن الجاويش على حق - وأنا في حاجة الى كل جندى يزيد قوتى - وهو يعرض نفسه ورجاله ليكونوا في خدمتي ويقول انهم لا يفهمون شيئاً مما يجرى .. فلماذا لا أفيد من وجودهم . وأصدرت أمرى باخراجهم من غرفة الحرس فوراً وتسليمهم أسلحتهم ووزعت عليهم واجبات الحراسة ووفرت بذلك عدداً من جنودى استخدمتهم في الدفاع وتعزيز موقعى في القيادة - حيث كان الأمر يتطلب ذلك .. وما كدت أفرغ من هذا العمل

بتوزيع رجال الشرطـــة العســـكرية على بعض الواجبات حتى شعرت أن قوتى ما تزال فى حاجة الى مزيد ٠

وفى هذه اللحظة ـ جاءنى رسول من قبل الفصيلة (١) بأن ضابطا برتبة الصاغ ومعه قوة يطلب مقابلتى فوراً ــ فأذنت له بالحضور فلما جاء حيانى وقال : أنا صدرت لى أوامر تليفونية من اركان حرب القيادة العامة بأن أحضر ومعى ٥٠ جندياً مسلحين بالبنادق ومع كل منهم ١٠٠ طلقة وسأتلقى الأوامر هناك (فى مبنى القيادة) فأجبته ــ وأين الجنود فقال : محتجزين عند بـــاب السوارى ــ فأمرته باحضارهم فوراً ــ ولما جاء بهم وزعتهم على واجبات الدفاع ــ وبذلك أصبحت قوتى لا بأس بها وأحسست بأننى أصبحت قادراً على أن أفعل شيئاً ٠

وهكذا وجدت أن الله سبحانه وتعالى قد سخر لى كل جندى عرك فى هذه الليلة سواء بأوامر الأحرار أو أوامر الأشرار لتكون فى خدمة الثورة وتزيدنى قوة فى موقفى الذى كان يعلم وهو علام الغيوب أنه انما كان خالصاً لوجهه وللوطن العزيز ٠

وعلى الرغم من أننى كنت أعلم أن حالة النزيف الذى أعانى منه تتطلب الراحة التامة ــ وان كل مجهود جسمانى يعرضنى للخطر فان العبء الذى ألقته المقادير على كتفى جعلنى أبذل جهدا شاقا وكانت الجاكتة التى ارتديها تنضح بالعرق وشعرت بحاجتى الى شىء من الراحة ــ فجلست على الدرج الحجرى الطويل الذى يتصدر مبنى القيادة العـــامة .. وجلس (حسن احمد الدسوقى) بجانبى ٠

ساد جلستنا صمت لبعض الوقت قطعته بتساؤلى : هــل تعلم سببا لتأخر القوات الأخرى عن القيام بدورها ؟ .. فاجابنى

(حسن) أنها لم تتأخر ولكن أنت الذى تقدمت — فلم تكد تحين ساعة الصفر بعد .. وسألته فى عجب : كم هى ساعة الصفر فيما تعلم ؟ فأجاب : أنها الساعة الواحـــدة من صبـــاح اليوم (٢٣ يوليو) .

وكانت هذه أول مرة أعلم فيها أننى قمت قبل ساعة الصفر بساعة كاملة ولقد كان الضابط (زغلول) الذى حمل الى (ساعة الصفر) يرافقنى و (زغلول) ضابط ويعلم أن التقديم فى الوقت مضر كالتأخير تماما خصوصاً اذا كان بوقت طويل (فساعـــة كاملة) تعتبر وقتا طويلا فى مثل هذه الظروف . ومع ذلك فانه حضرنى وأنا أجمع ضباطى قبل انتصاف الليـــل وأصـــدر اليهم أوامرى — ثم رآنى وأنا أستولى على (اللوارى) وأضع جنودى فيها بعد أن خطبت فيهم فكشفت لهم عن العمل الكبير وهيأتهم لاستقباله ولم يحرك ساكنا — ولم يعترض على هذا التبكير .. كل ذلك جعلنى أعتقد أننى تصرفت حسب الخطـــة الموضوعة وأننى تحركت فى موعدى المحدد .

الله وحـــــده :

اذهلنى الخبر الذى سمعته من (حسن احمد الدســـوقى) بتحركى قبل الموعد المرسوم بساعة كاملة . وجعلنى استغرق فى صمت طويل استعيد فيه أحداث تلك الليلة العجيبة .

لقد تحركت قبل الموعد بساعة كاملة ومع ذلك فاننى كنت ادفع الخطر من على الأبواب .. فلقد دفعت خطر دخول قائـــد الفرقة الى المعسكر حيث كان له وحده الأمر والنهى والتصرف — على قيد امتار من بوابة المعسكر ثم كان لقاء الفصيلة (١) مع رجال الشرطة العسكرية فى النقطة (ب) كذلك على قيد خطوات

من مدخل القيادة العامة — ومعنى وصولهم قبلنا وتعزيز قوة حرس القيادة كان لا شك سيزيد من صعوبة موقفنا ويؤثر فى سرعة احتلالنا (للقيادة العامة) — والذى لا شك فيه أن الخطة التى كانت قد رسمت فى رأسى لتحرك الفصيلة (١) باللورى لتجنب الاشتباك مع حرس القيادة كانت ستعطى فرصة لرجال الحرس من تأدية مهمتهم التى كانوا قد أرسلوا لتأديتها — وان تغيير ذلك بالمتحرك (بالخطوة السريعة) من يسار الطريق هو الذى هيأ للفصيلة الحيلولة دون ذلك — ولو أنه أفسد على الاستمتاع بحنكتى فى وضع الخطط .

وهكذا رأيت أن الله سبحانه وتعالى قد تولى تصحيح تدبير الأحرار وتدبيرى — وكان تدبيره وحده هو الذى يتم وأننا لم نكن سوى أدوات تتحرك لتنفيذ هذا التدبير — تدبير مدبر الأمر العزيز الحكيم .

والأمر كله اذا تدبرناه مليا فاننا لن نختلف على أن كل نجاح صادفناه فى تلك الليلة انما جاء نتيجة (خطأ) وقعنا فيه فى تدبيرنا — فخروج ساعة قبل الموعد كان (خطأ) لا شك فى ذلك — فان الخطة العسكرية توضع متماسكة متكاملة — فتحرك قوة قبل موعدها بساعة كاملة قد يربك العمل ويعرضه لأخطاء جسيمة مثله فى ذلك مثل التأخير — وربما كان فرق دقائق قليلة مؤثراً فما بالك بساعة كاملة ٦٠ دقيقة ؟! .

وكان الخطأ الثانى وهو نزول الجنود بحماس من اللوارى عند نقطة اصدار الأوامر — بما فيهم الفصيلة (١) التى كنت قد دبرت وصولها باللورى من خلف مبنى القيادة لتجنب الاشتباك

مع حرس القيادة — هذا النزول بدون أوامر كان خطأ — لأن كل شىء فى الجندية بالأوامر .

ولما كانت طبيعة الأمر تقول بان (الخطأ) يوصل الى (الفشل) غير أن حوادث الليلة بينت بوضوح أن الخطأ لم يوصلنا الى النجاح فحسب بل أنه كان (الحل الوحيد) الذى بنى عليه النجاح .

وهكذا كان الله وحده هو الذى دبر وقدر فى هذه الليلة التى لا أغالى حين اسميها (ليلة عمرى) وكيف لا تكون لبلة عمرى ليلة قضيتها مع الله وكنت فى طاعته ورضاه ؟ ..

وأفقت من جولتى فى أحداث تلك الليلة على أزيز محركات الدبابات التى كانت تعنى تحرك القوات الأخرى ولم اسمع فى حياتى صوتا أجمل وأحلى من صوت أزير المحركات العالية مع ما فيه من نشاز مزعج — وقمت ومعى الأخ (حسن أحمد الدسوقى) لنجلس فى مكتب القيادة .

ولم تمض دقائق حتى جاء حارس من رجال الشرطة العسكرية ليخبرنى بوجود ضابطين على الباب يريدانى وأن أحدهما هو (البكباشى جمال عبد الناصر) وأذنت لهما بالدخول — وكانا فى هذه المرة يرتديان الملابس العسركة .

وهكذا انتهت هذه الليلة المجيدة الخالدة (ليلة عمرى) .

يوسف صديق

الفصل الثالث

تساؤلات عن ليلة الثـــورة

تتضمن الأوراق التى يتضمنها هذا الفصل ايضاحات مختلفة تلقى الضوء على عدد من التساؤلات التى تثيرها مذكرات يوسف صديق وهى :

التساؤل الأول :

كيف ولماذا تحرك يوسف صديق بقواته قبل موعد الصفر ؟

التساؤل الثانى :

هل كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يرتديان الملابس المدنية عندما قبضت عليهما قوات يوسف صديق ؟

التساؤل الثالث :

ما ذكره الصحفى الأستاذ حمدى لطفى عن توقف يوسف صديق ليلة الثورة أمام بار بالميرا لاحتساء الخمر ٠

وهذه الأوراق هى :

١ ــ عن الملابس المدنية ــ للأستاذ خالد محى الدين ٠

٢ ــ لماذا التشويه فى أحداث ليلة الثورة ــ اللواء جمال حماد ٠

٣ ــ رسالة من العقيد حسين يوسف صديق ٠

٤ ــ رد من عبد المجيد شديد

عن الملابس المدنية

للسيد / خالد محى الدين

(الأهالى - ١٩٩٦/٧/٢٤)

تحرك طابور الكتيبة التى تمتلك قوة نيران شديدة ومدافع رشاشة ثقيلة عالية الكفاءة ، وفى مقدمته سيارة جيب بها القائمقام (البكباشى فى ذلك الوقت) يوسف صديق . ولدى خروجه المبكر فوجىء بالقرب من أبواب المعسكر باللواء عبد الرحمن مكى قائد فرقة المشاة الثانية فقام باعتقاله ، وعند مدخل المعسكر كان هناك الأميرالاى عبد الرءوف عابدين يسرع بعربته الى الهاكستب فاعتقله أيضا .. وسار موكب غريب جدا ، سيارة جيب بها بكباش ، ثم سيارة أخرى ترفع بيرق اللواء وبداخلها سجينان لواء وأميرالاى ، ثم طابور سيارات مدافع ماكينة .

كان الموكب يسرع نحو هدفه ، وفيما هو يهز شوارع مصر الجديدة مقتربا من كوبرى القبة مبكرا بحوالى ساعة ، قرر يوسف صديق أن يوقف القوة قليلا حتى تقترب ساعة الصفر .

وفى هذه الأثناء اقترب شخصان يرتديان ملابس مدنية ويركبان سيارة صغيرة من هذا الطابور الغريب والمريب ، سيارة

اللواء التى تحمل البيرق أثارت مخاوفهما ودهشتهما معا ، وتقدم عبد الحكيم عامر بصورة لافتة للنظر محاولا أن يتعرف أية قوات هذه وأى بيرق هذا ، والى اين يتجه ، وتحت قيادة من ولحساب من تتحرك ؟ وارتاب الجنود فى هذين الشخصين وقاما بالقبض عليهما ٠٠ وثارت ضوضاء ، وتوقفت السيارة الجيب وخرج يوسف صديق ليسأل عما جرى ٠٠ فوجد أمامه جمال عبد الناصر مقبوضا عليه هو وعبد الحكيم عامر ، أمر على الفور باطلاق سراحهما ٠ كانت كلمات جمال عبد الناصر أسرع مما يجب ، وعرف يوسف صديق ما حدث ، واتفقوا فى سرعة قياسية على احتلال مبنى قيادة الجيش والقبض على من فيه ٠٠ وأسرع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى منزليهما ليلبسا ملابسهما العسكرية ، وأسرع يوسف صديق ليوزع قواته لتصبح فى وضع الاقتحام ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ويقول فى موضع آخر من نفس المصدر :

ـ والمسألة الثانية هى أن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا وحتى لحظة القبض عليهما بواسطة قوات يوسف صديق يرتديان الملابس المدنية ٠ ويحاول البعض أن يستنتج من هذا أنهما كانا يريدان التخلص من المسئولية فى حالة فشل الحركة والقبض عليهما ٠

وردى على ذلك ٠٠ انه بالنسبة لأى من أعضاء « لجنة القيادة » لم يكن هناك أى مجال للتخلص من المسئولية فى حالة الفشل ، وخاصة بالنسبة لشخص كجمال عبد الناصر الذى تورط أمام أعداد كبيرة من الضباط بصفته المسئول الأول عن الحركة ، أما ارتداء الملابس المدنية فيمكن فهمه وفهم مبرراته ٠ فعبد الناصر

وعامر لم يكن لديهما قوات ليتحركا بها ٠ ورغبة منهما فى التحرك بحرية ولضمان الاتصال بأية قوات ، وابلاغها بضرورة مهاجمة قيـادة الجيش فقد كان من الطبيعى أن يرتـديا ملابس مدنيـة ٠ والتحرك بملابس عسكرية كان مستحيـلا فى ليلة كهذه خاصـة وأنهما يعلمان جيدا أننا أصدرنا تعليمات بمنع تحرك الضابط من رتبة بكباشى فما فوق ٠٠٠

لماذا التشويه فى أحداث ليلة الثورة ؟ (★)

بقلم اللواء جمال حماد

ليس بمستغرب أن يتناول الكتـــاب المؤرخـــون سواء من المصريين أم الأجانب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بالتحليل والتقييم فهذا أمر متوقع لثورة تعتبر أم الثورات فى العالم الثالث والشعلـــة التى ألهبت شرارة التحرر فى كل البلدان التى كانت تئن تحت وطأة الاستعمار . وليس هناك من حرج لكل من يتعرض بالنقـــد الموضوعى لثورة يوليو المجيدة فيشيد بايجابياتهـــا وانجازاتهـــا ويوجه الذم الى سلبياتها ونقائصها لأن هـــذه الثورة مثل غيرها من ثورات العالم لها جانبها المشرق المضىء وفى الوقت نفسه لها وجهها القاتم الردىء .

ولا عجب فى أن يبذل أعداء الثورة ممن فقـــدوا نفـــوذهم وسلطاتهم محاولاتهم للهدم والتخريب وتجـــريد الثوره من كـــل ايجابياتها وتشويه أمجادها والعمل على تزييف وتزوير تاريخهـــا عن طريق التشكيك فى حقيقة أدوار بعض قادتها ليلة ٢٣ يوليو أو نعتهم بالجبن والتهرب من مواجهة الموقف فضلا عن الحماقـــة وسوء السلوك .

ولكن الأمر الذى يثير العجب ان يصـــدق بعض المؤرخـــين والكتاب الأفاضل هذه الشائعات والأباطيل فيدونوها فى كتبهم ومقالاتهم على انها حقيقة واقعة دون أن يكلفوا أنفسهم عنـــاء التثبت من صحة ما يروون أو محاولة الاتصال بشـــهود هـــذه الوقائع للتأكد من حقيقة ما يكتبون متنكبين بذلك جـــادة الحـــق والصواب ومنهاج البحث العلمى السليم .

(★) جمال حماد ــ الاهرام ٢٣ يوليو ، ١٩٩٠ ، ص ٧ .

ومن أكثر هذه الشائعات انتشارا وأشدها تجريحا وايلاما شائعتان تتعلق احداهما بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وتتعلق الأخرى بالمقدم يوسف منصور صديق وقد رأيت من واجبى أن أتصدى لهاتين الشائعتين بالدراسة والتحليل بالطريقة الموضوعية وبأسلوب البحث العلمى الدقيق لا أستهدف من وراء ذلك الا التوصل الى الحقيقة ومما يدفعنى للقيام بهذا الواجب هو كونى أحد الذين أتيحت لهم الفرصة بحكم اشتراكى فى الثورة كى أشاهد عن كثب جانبا كبيرا من أحداث تلك الليلة الخالدة فى تاريخ مصر ولأكون واحدا من شهود عيانها مما يحتم على أن أقدم شهادتى عملا بقول الحق سبحانه وتعالى « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم » .

● ● ●

ان الشائعة الأولى التى ذاعت وشاعت تروى أن **جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا فى ساعة الصفر يرتديان الملابس المدنية بقصد الهرب بعد انكشاف أمر الحركة للمسئولين وان هذا هو السبب فى ان قوة يوسف صديق ألقت القبض عليهما فى مصر الجديدة وانه سبق لهما شراء تذكرتين فى سينما الفالوجا واحتفظا بهما كدليل ينفى اشتراكهما فى حركة الجيش .**

وحقيقة ما حدث هو ان جمال عبد الناصر علم فى حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء يوم ٢٢ يوليو من أحد الضباط الأحرار الذى كان يعمل فى المخابرات الحربية أن حركة الجيش تم للسلطات العليا اكتشافها وان الملك فاروق اتصل من الاسكندرية بالفريق حسين فريد رئيس اركان حرب الجيش فى

القاهرة الذى دعا قادة الجيش لحضور مؤتمر عاجل فى مكتبه بمبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة (وزارة الدفاع حاليا) وطلب الضابط من عبد الناصر ان يلغى كل شىء . الغاء كل ما تم اتخاذه من اجراءات انقاذا للموقف ولكن تنفيذ ذلك الطلب كان أمرا مستحيلا فقد وصل الضباط الأحرار الى وحدانهم وفقا للتعليمات وحسبما قال عبد الناصر ان العجلة قد دارت ولن يستطيع انسان أن يوقفها .

ولم يخامر عبد الناصر اليأس عندما تلقى هذه الأنباء المزعجة قبل ساعة الصفر بحوالى ساعة ونصف الساعة بل على العكس هداه تفكيره الى ضرورة تعديل الخطة وانتهاز فرصة تجمع القادة فى مبنى رئاسة الجيش لاقتحام المبنى بأقرب فرصة دون انتظار ساعة الصفر لاعتقال جميع القادة الموجودين بضربة واحدة . وأسرع عبد الناصر بسيارته الى منزل عبد الحكيم عامر بالعباسية الذى ركب الى جانبه واتجه الاثنان على الفور الى معسكر الكتيبة ١٣ مشاة بالعباسية التى خصص لها الدور الأكبر فى تحركات المشاة بالخطة لتوجيه قوة منها الى مبنى الرئاسة لاقتحامه .

ولكن عبد الناصر وعبد الحكيم لم يتمكنا من دخول معسكر العباسية فقد شاهدا قوة كبيرة من البوليس الحربى تحتل البوابة الرئيسية وتسد الطريق الى المعسكر فاتجه تفكيرهما كما ذكر عبد الناصر الى **التوجه الى كمال الدين حسين فى الماظة ليحصلا منه على قوات من المدفعية لتنفيذ فكرة الهجوم على مبنى رئاسة الجيش .**

وفى طريقهما الى الماظة وعند ميدان الكربة بمصر الجديدة **التقى الاثنان مصادفة وبطريقة غريبة بطابور من العربات العسكرية المحملة بالجنود وكان الطابور مترقفا فى أحد جوانب الميدان .**

وأيقن عبد الناصر أن هذا الطابور هو من القوات التى حركها الفريق حسين فريد لضرب الحركة فان ساعة الصفر التى يبدأ فيهـا تحرك قوات الحركة باق عليها ما لا يقل عن نصف ساعة كما أن على رأس الطابور سيارة ركوب يخفق عليها علم القيادة وداخلها قائدان يرتديان الكابات الحمراء فاقترب عبد الناصر وزميله خطوات من الطابور لاستطلاع حقيقة أمره واذا بهما يجدان نفسيهما بعد لحظات وسط مجموعة من الضباط والجنود المجهولين والبنادق والسونكيات مشهرة فى وجهيهما وأسقط فى أيديهما وأدركا أنهما قد وقعا فى كمين محكم اعدته لهما القوات الموالية للملك وأن حركـة الجيش قد فشلت .

ولكن الموقف الحقيقى لم يلبث أن تكشف لهما وجاءهما الفرج على غير انتظار ولمحا المقدم يوسف صديق ينزل من سيارتـه الجيب فى أول الطابور ليخرجهما من هذه الورطة ويخبرهما أن الطابور الذى شاهداه هو طابور قواته من كتيبة مدافع الماكينة الأولى القادم من معسكر الهاكستيب وأن القائدين اللذين فى العربة بمقدمة الطابور هما قائد الفرقة الثانية وقائدها الثانى وان قواته أسرتهما أثناء التحرك .

واكتشف يوسف صديق لأول مرة انه قد بلغ ساعة الصفر خطأ وانه تحرك مبكرأ ساعة عن الموعد الصحيح الذى كان محددا له الواحدة صباحا بسبب خطأ المندوب الذى تولى اخطاره بالموعد. وكان هذا اللقاء الذى تم مصادفة والتحرك الذى جرى قبل ساعة من موعده دليلا واضحا على تدخل القدرة الالَهية لانقاذ حركـة الجيش من الفشل وتم الاتفاق بين عبد الناصر ويوسف صديق على أن يواصل الطابور تحركه الى مبنى رئاسة الجيش لاقتحامه واعتقال جميع القادة الموجودين فى مكتب الفريق حسين فريد .

● ● ●

ولو ناقشنا بعد أن أوردنا هذه التفاصيل شائعة أن عبد الناصر وعبد الحكيم كانا يرتديان فى هذا الوقت الملابس المدنية مناقشة موضوعية لأدركنا استحالة تصديق هذا الادعاء فان عبد الناصر وزميله كانا فى طريقهما الى الماظة لمحاولة الحصول على قوة من المدفعية يمكن تحريكها على وجه السرعة للانقضاض على القادة المجتمعين فى مكتب الفريق حسين فريد بمبنى الرئاسة بكوبرى القبة والقيام بأسرهم قبل أن ينجحوا فى اتخاذ الترتيبات المضادة للحركة ٠

فهل كان عبد الناصر وزميله يتصوران امكان السماح لهما بدخول منطقة الماظة المكتظة بمعسكرات الجيش والمليئة بنقاط وبوابات التفتيش التى يتولى أمرها رجال البوليس الحربى وهما يركبان عربة عبد الناصر (الأوستن) الصغيرة الملاكى ويرتديان الثياب المدنية ؟ وكيف تيسر لهما ارتداء الثياب العسكرية فى الفترة الزمنية القصيرة التى لم تتجاوز نصف الساعة وهى الواقعة بين لقائهما بقوة يوسف صديق فى مصر الجديدة وبين لقائهما بمجموعة كبيرة من الضباط الأحرار عند بوابة مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة بعد انتهاء عملية اقتحام المبنى واثناء نزول الفريق حسين فريد من مكتبه تحت الحراسة وفى طريقه الى المعتقل بالكلية الحربية ٠ لقد شاهدهما كل الضباط الموجودين وقتئذ على بوابة رئاسة الجيش ومنهم كاتب هذه السطور وكانا يرتديان الملابس العسكرية ٠

وقد ذكر الملازم ثان محمد متولى غنيم وهو الضابط الذى القى القبض على عبد الناصر عند اقترابه من طابور كتيبة مدافع الماكينة الأولى ليلة ٢٣ يوليو أن سبب القائه القبض عليه انما يعود الى رؤيته له مرتديا ملابسه العسكرية برتبة المقدم وكانت الأوامر الصادرة اليه من قائده يوسف صديق تقضى بالقبض على

كل ضابط برتبة المقدم فما فوق لحين أن تتضح هويته . ونظرا لعدم معرفته لجمال عبد الناصر من قبل فقد بادر بتنفيذ التعليمات والقى القبض عليه بينما طلب من الرائد الذى برفقته (عبد الحكيم عامر) الابتعاد عن طابور الكتيبة . وأكد الملازم غنيم أن عبد الناصر لو كان يرتدى ملابس مدنية لما تعرف عليه وعلى رتبته ولما القى القبض عليه . وفضلا عن شهادة محمد غنيم التى لا نشك فى صدقها فقد شهد كل الضباط الأحرار الذين كانوا ضمن طابور كتيبة مدافع الماكينة الأولى وحضروا واقعة لقاء عبد الناصر وعامر مع طابور الكتيبة فى ميدان الكربة بأن الاثنين كانا يرتديان ملابسهما العسكرية . ولا يمكن تجريح شهادات كل هؤلاء خاصة وانهم أدلوا بها بعد وفاة عبد الناصر وعامر بسنوات عديدة .

أما ما أشيع من ان عبد الناصر وعبد الحكيم اشتريا تذكرتين فى سينما الفالوجا واحتفظا بهما كدليل ينفى اشتراكهما فى حركة الجيش فهذا قول يثير السخرية ولا يحتاج الى مناقشة جدية فان الاجتماعات التى حضرها كلاهما فى بعض المنازل مع مجموعات كبيرة من الضباط الأحرار من مختلف أسلحة الجيش فى الأيام التى سبقت الحركة مباشرة لقراءة الخطط وتوزيع الواجبات والتى اضطرا بسببها الى التخلى عن دواعى السرية والحذر جعلت شخصيتهما تنكشفان لعدد كبير من هؤلاء الضباط. وهو الأمر الذى لا يصلح معه بعد ذلك تدبير أى دليل نفى مهما بلغت درجة قوته واحكامه فما بالك اذا كان هذا الدليل بهذا الحد من السذاجة وهو شراء تذكرتى سينما والاحتفاظ بهما للنجاة من العقاب فى حالة فشل حركة الجيش !!

أما الشائعة الثانية التى سنقوم بتحقيقها والتى تكرر نشرها من قبل وقد كتبها أخيرا أحد أساتذة التاريخ فى احدى مقالاته فقد ورد فيها ما يلى :

« وقيل عن هذا التحرك أن الموعد المحدد كان الثانية عشرة مما جعل يوسف صديق يذهب الى كازينو بالميرا فى مصر الجديدة حتى يصرف الأنظار عنه فشرب عدة كئوس (من البراندى) حتى يأتى موعد مهاجمة مقر وزارة الحربية . وظن يوسف صديق أن العقرب الصغير مكان الكبير ثم تحرك مبكرا عن الموعد وكان هذا التفكير سببا فى انتصار الثورة .

وقبل البدء فى أى مناقشة فاننا نبدى اعتراضا على أن يقوم أى كاتب أو مؤرخ بتسجيل واقعة خطيرة مثل هذه الواقعة معتمدا على كلمة (قيل) فان تسجيل الوقائع التاريخية لا يمكن أن يتم عن طريق القول المبنى للمجهول وهو أمر يستغرب حدوثه بالطبع من استاذ جامعى متخصص فى تدريس التاريخ .

إن تحركات يوسف صديق ابتداء من مساء يوم ٢٢ يوليو كما دونها فى مذكراته وكما تأكدت من شهادات الضباط الذين لازموه ولم يفارقوه لحظة واحدة حتى اقتحام مبنى رئاسة الجيش تبدأ من الوقت الذى التقى فيه بضباطه وكان عددهم ١٢ ضابطا فى الساعة السادسة مساء حسب الموعد الذى حدده لهم بميدان صلاح الدين بمصر الجديدة حيث استقلوا العربات الى معسكر الهاكستب . وقبل انتصاف الليل بنصف ساعة أمر يوسف بايقاظ جنوده من رقادهم وقسم قوته الصغيرة (٦٠ جنديا مقدمة كتيبة مدافع الماكينة الأولى المرابطة فى العريش) الى ثلاث فصائل ووزع الضباط على الفصائل لتجهيزها للتحرك . وعند منتصف الليل تحرك طابور مدافع الماكينة المكون من عدد كبير من اللوارى المحملة بالضباط والجنود من المعسكر لتنفيذ المهمة المكلفين بها وهى الاشتراك مع سرية من الكتيبة ١٣ مشاة القادمة من معسكر العباسية فى اقتحام واحتلال مبنى رئاسة الجيش . وقبل دخول مصر الجديدة اعتقلت القوة فى الطريق اللواء عبد الرحمن مكى

قائد الفرقة الثانية والعميد عبد الرءوف عابدين قائد ثانى الفرقة ثم التقى الطابور مصادفة فى ميدان الكربة بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر — كما أسلفنا — وتم الاتفاق بينهما وبين يوسف صديق على أن يواصل التحرك بطابوره بأقصى سرعة لمهاجمة مبنى رئاسة الجيش واعتقال الفريق حسين فريد رئيس الأركان وجميع القادة الموجودين معه وهو الأمر الذى تم بالفعل وبنجاح تام .

وبعد أن أوردنا كل تحركات يوسف صديق ليلة ٢٣ يوليو بهذه الدقة وفقا لأقوال الضباط الذين رافقوه بقى أن نطرح على أولئك الذين ينشرون هذه الشائعة الباطلة عنه السؤال الذى يهم كل قارىء معرفة اجابته وهو متى ذهب يوسف صديق الى كازينو الميرا ؟ وهل يا ترى توجه بطابور مدافع الماكينة بعرباته ضباطه وجنوده المسلحين وبالقائدين الأسيرين ليشرب عدة كئوس من الخمر فى الكازينو المذكور ؟ .

وهل مثل هذا العمل يصرف عنه الأنظار كما جاء بالمقال أو على العكس يلفت الأنظار اليه ؟ وهناك سؤال أتحدى أى انسان مهما كانت براعته أن يعطينى عنه اجابة شافية وهو كم كانت الساعة الدقيقية عندما نظر يوسف الى ساعته فظن العقرب الصغير مكان الكبير فاعتقد أن موعد التحرك قد حان — كما ورد بالمقال — ومن ثم تحرك مبكرا عن الموعد .

اليس من العار أن يرمى أحد أبطال ثورة يوليو بهذه التهمة الباطلة دون أى دليل أو سند فيساء الى تاريخ الرجل وتشوه بطولاته ثم يتبع ذلك البهتان بما هو أمر وأدهى حين يكتب فى المقال أن هذا الضابط الثمل قرأ الساعة خطأ (نتيجة سكره) وكان ذلك الخطأ سببا فى انتصار الثورة .

رسالة من العقيد حسين يوسف صديق

السيد الاستاذ / رئيس تحرير جريدة الوفد

تحية طيبة ... وبعد ،،،،

نشرت جريدة الوفد بعدديها الصادرين يومى ٥ ، ٦ يونيو سنة ١٩٨٧ مقالا للاستاذ / حمدى لطفى تحت عنوان « عشرون سنة على هزيمة يونيو والحقيقة لم تظهر بعد » وقد تضمن المقال تشويها للحقائق التاريخية واساءة لوالدى المرحوم يوسف صديق ولدوره ليلية ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

لذلك أرجو نشر ردى على صفحات جريدتكم فى المكان نفسه وبالعناوين المناسبة التى نشر بها المقال وهو ما يعتبره القانون حقا كاملا لى .

ــ ان ما ذكره الاستاذ / حمدى لطفى عن أن المرحوم يوسف صديق قد خرج بقواته قبل ساعة الصفر بساعتين ليلة ثورة ٢٣ يوليو لا أساس له من الصحة فقد ثبت من الدراسات التى اهتمت بأحداث تلك الليلة وآخرها الدراسة الجادة التى قام بها الضابط الحر جمال حماد بعنوان « ٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر » .

أن المرحوم يوسف صديق تحرك بقواته فى موعد ساعة الصفر المبلغة له بالضبط بمعرفة ضابط اتصال قيادة تنظيم الضباط الأحرار النقيب / زغلول عبد الرحمن فى حضور الضابط الحر / عبد المجيد شديد مساعد أركان حرب الكتيبة الأولى مدافع مكينة مشاة ، وتحركت قوات الكتيبة بضباطها ومعها كل من النقيب زغلول عبد الرحمن والنقيب عبد المجيد شديد فى الساعة ١٢ منتصف الليل .

ــ أما ما ذكره الاستاذ / حمدى لطفى عن أن سبب خروج المرحوم / يوسف صديق قبل ساعة الصفر هو لتناول كأسين من

الخمر هو فى حقيقته محاولة للنيل من ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م والاساءة لشخص المرحوم يوسف صديق ولضباطه وقواته التى كانت تلازمه طوال تلك الليلة التاريخية ٠

ــ يستمر الاستاذ / حمدى لطفى فى أسلوب تشويه الحقائق فيقول « الشهيد الأول للثورة مات بسبب الخمر » ويقصد بــه الجندى الذى أصيب فى أثناء معركة احتلال رئاسة الجيش والقبض على كبار الضباط المجتمعين بها لوضع خطة لاجهاض الثورة ٠ والحقيقة المعروفة للجميع أن ذلك الجندى كان يقوم على حراسة مكتب اللواء / حسين فريد رئيس هيئــة أركان حــرب الجيش ورفض القاء سلاحه والابتعاد عن موقعه وظل مشهرا سلاحه فى وجه المرحوم / يوسف صديق والقوة التى معه لمنعهم من اقتحام حجرة رئيس هيئة الاركان ، فلم يكن أمام المرحوم يوسف صديق الا أن أطلق الرصاص على قدمه حتى يبعده عن الطريق دون أن يصيبه اصابة قاتلة ، ولكنه مات بعــد ذلك نتيجــة كثرة ما نزف من دماء ٠

ــ وليسمح لنا قراء جريدة الوفد الأعزاء أن نضع أمامهــم الملاحظات التالية :

أولا : أطلق الاستاذ / حمدى لطفى هذه القضية سنة ١٩٨٢ بمجلة الوادى وقمنا بالرد عليه بالمجلة نفسها بعددها الصادر فى أول سبتمبر سنة ١٩٨٢ موضحين له خطأ ما ذهب اليه كما قام بالرد عليه ودحض مزاعمه الضابط الحر عبد المجيد شديد بالمجلة نفسها بعددها الصــادر فى أول أكتوبر ســنة ١٩٨٢ حيث كان السيد / عبد المجيد شديد ملازما ليوسف صــديق طــوال تلك الليلة ٠ (مرفق صورة من رد السيد / عبد المجيد شديد لمجلــة الوادى) ٠

ثانيا : هل من المعقول أن يترك يوسف صديق قواته العسكرية وضباطه ومنهم أعضاء فى تنظيم الضباط الأحرار ، وأسراه من كبار ضباط جيش فاروق بأحد شوارع مصر الجديدة ليذهب الى بار بالميرا كى يحتس كأسين من الخمر ، وهو الذى كان صدره ينزف دما طوال تلك الليلة · وماذا كان موقف ضباط الكتيبة ؟ ألم يعترضوا ؟ أم ذهبوا أيضا لتناول الخمر ؟ وهل ذهب الأسرى من كبار ضباط جيش فاروق أيضا لاحتساء الخمر ؟ أم جلسوا فى السيارات ينتظرون آسريهم ·

ثالثا : هل كان الرئيس عبد الناصر يخفى هذه الواقعة رغم اختلاف يوسف صديق معه منذ الأيام الأولى للثورة خلافا أدى الى النفى والاعتقال .

رابعا : لم يذكر الاستاذ / حمدى لطفى هذه الواقعة الا بعد وفاة يوسف صديق وكان الأحرى به أن يكتبها فى حياة يوسف صديق ، مع ملاحظة أن الرئيس عبد الناصر قد توفى قبل يوسف صديق بسنوات ·

خامسا : نرى لزاما على الاستاذ / حمدى لطفى حتى يثبت صحة قصته أن يقدم للقراء ولو شاهدا واحدا حيا يؤيد ما ذهب اليه ممن عاصروا أحداث تلك الليلة ومعظمهم على قيد الحياة والحمد لله .

سادسا : أحداث تلك الليلة التاريخية تناولها كثير من المحللين والكتاب العسكريين والمدنيين شرقا وغربا يمينا ويسارا ولم يرد على قلم أى منهم مثل هذه القصة العجيبة .

سابعا : أقول أخيرا لجريدة الوفد الغراء أنه من حق أى انسان أن يكون له رأى فى ثورة يوليو أو فى المرحوم يوسف

صديق ولكن ليس على حساب الحقيقة التى هى أقوى وأبقى من أى زيف أو بهتان .

الا اذا كان هناك اصرار على أن يظلم يوسف صديق حيا وميتا . رغم كل التضحيات التى قدمها لوطنه ولشعبه .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

١٩٨٧/٦/١٥

عقيـــد
حسـين صديـــق

رد من عبد المجيد شديد (*)

اطلعت مؤخرا على العدد الصادر عن مجلة الوادى فى شهر اغسطس ١٩٨٢ وبه تحقيق صحفى للاستاذ حمدى لطفى عن أحداث ليلة ثورة ٢٣ يوليو نسب فيه الى المرحوم يوسف صديق ، انه شرب كأسين من البراندى قبل خروجه مع قواته من معسكر هاكستب ، وانه توجه بعد خروجه مع القوات الى مطعم بالميرا حيث تناول الخمر مرة أخرى ليتغلب على آلام النزلة المعوية التى ألمت به بعد أن أكل بطيخا فى المعسكر ، ولما اثرت الخمر فيه توجه الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة هاجمها وسقط خلال هجومه أول قتيل فى ليلة الثورة .. الى آخر ما جاء فى هذا التحقيق .

ولما كنت واحدا ممن اشتركوا فى أحداث هذه الليلة ، مع المرحوم يوسف صديق ومجموعة ضباط مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة ، وحيث كنت أركان حرب هذه المقدمة ، كما كنت مساعدا للمرحوم يوسف صديق فى تنظيم الضباط الأحرار ، فأرجو أن أوضح أمرين :

الأول : اننى وقد لازمت المرحوم يوسف صديق فى هذه الليلة ، لم أره يتناول خمرا فى المعسكر أو خارجه ، وقد رجعت للزملاء الذين اشتركوا معنا فى هذه الليلة فنفوا الواقعة جملة وتفصيلا .

والحقيقة أن يوسف صديق كان يعانى من نزيف حاد ، عندما التقيت به فى مصر الجديدة بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، لنتوجه

(*) مجلة الوادى ـ اكتوبر سنة ١٩٨٢ .

ـ اليوزباشى عبد المجيد شديد أحد الضباط الأحرار ، وكان يعمل أركان حرب القوات التى تحركت بقيادة يوسف صديق .

معا الى المعسكر لنخرج بقواتنا لنقوم بدورنا فى أحداث الثورة ، فذهبت معه الى صيدلية في ميدان سفير ، وقام الصيدلى بحقنه فتحسنت حالته ، وتمكن من القيـــام بدوره التاريخى فى ثورة ٢٣ يوليو .

الثانى : يتصل بساعة الصفر وهو يقتضى التوضيح حيث يمس خطة الثورة وقادتها وبعض ضباطها .. وقد أبلغنا زغلول عبد الرحمن أن ساعة الصفر هى منتصف الليل تحركنا فى الموعـــد تماما ، ومعنا زغلول عبد الرحمن ، وعندما التقينا بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر عند الكربة فى مصر الجديدة علمنا أن ســاعـــة الصفر هى الواحدة صباحا أى بعد ساعة من تحـــركنا ، وتبين للجميع أن هذا الخطأ فى التوقيت قد أنقذ الثورة اذ ان الأمر قـــد انكشف للسراء وأن اللواء حسن فريد ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، يعقد اجتماعا لقادة الجيش فى مكتبه بكوبرى القبة ، وتم الاتفاق على أن تقوم قواتنا برياسة يوسف صديق بالهجوم على رياسة الجيش والاستيلاء عليها واعتقال القيادات التى تحـــضر الاجتماع .

وبالنسبة لباقى التحقيق الصحفى ، فهناك كثير من الملاحظات على ما جاء به ولا محل لذكرها فى هذا المجال .

سيــــــــدى ..

أرجو أن تتسع صفحات الوادى الغراء لنشر هذا الايضـــــاح الذى يمس قائدى وأخى يوسف منصور صديق ، حيث هو بين يدى الله سبحانه وتعالى ولا يستطيع ردا أو توضيحا .

عبد المجيد شديد

١٩٨٢/٩/١١ — ٦ شارع النباتات — جاردن سيتى القاهرة

الفصل الرابع

يوسف صديق فى مجلس الثـورة

محتويات هذا الفصل :

١ ـ ضباط الثورة يصفقون وقوفا ليوسف صديق ـ محمد نجيب

٢ ـ أسباب الخلاف بين يوسف صديق وبين مجلس قيادة الثورة ـ أحمد حمروش

٣ ـ الخلافات داخل مجلس قيادة الثورة ـ محمد نجيب ٠

داخل مبنى قيادة الجيش

محمد نجيب ـ كلمتي للتاريخ ـ الفصل الثاني

كان ملحقا عسكريا بدمشق وبيروت ورقى الى رتبة اللواء ثم عين محافظا لكفر الشيخ ثم المنوفية • وأبلغنى جمال حماد وقتئذ انه سيرسل لى ثلاث عربات مدرعة لاحضارى من المنزل ولكنى اخبرته بأن لا داعى لذلك فاننى ساركب فورا عربتى الأوبل الصغيرة التى يقودها سائقى الخاص توفيرا للوقت •

وصلت كوبرى القبة وهناك تلقانى بعض ضباط الثورة وانتقلت من عربتى الى عربة جيب دخلت بها مركز قيادة الجيش •

ولم أجد حسين فريد فى مكتبه ، وانما وجدت ضباط الثورة يصفقون وقوفا للبكباشي يوسف صديق الذى كانت قواته القادمة من هاكستيب ـ فى ضواحى القاهرة البعيدة ـ هى أول قوات تحتل القيادة وتعتقل اللواء حسين فريد وتنقله الى معسكر الاعتقال فى الكلية الحربية المواجهة لها •

وكانت لحظات عامرة بالحب والثقة ... كل ضابط يهنىء زميله ويقبله والبشر يملأ الوجوه رغم ليلة طويلة بلا نوم ... وأشرق على القاهرة فجر يوم بهيج .

والتف حولى الضباط ... كلهم أولادى ... تجاوزت الخمسين وهم بعد مازالوا فى ربيع العمر لم يتجاوز أكبرهم الخامسة والثلاثين .

وبدأنا نتلقى البلاغات من الوحدات المختلفة وقد نفذت الخطة فى القاهرة تماما ، واعتقل معظم قادة الأسلحة والخدمات ... وتم اعتقال الباقين فى الصباح .

ولم يكن هناك لواء عامل فى الجيش يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ينعم بحريته سواى .. حتى شقيقى على دخل المعتقل مع زملائه .

وما أن أشرق الصباح حتى تلقيت مكالمة من رئيس الوزراء أحمد نجيب الهلالى يدعونى فيها للذهاب الى الاسكندرية ولكنى اعتذرت عن عدم امكانية تلبية هذا الطلب ... ولما استفسر منى عن طلباتنا قلت له أننا .....

وكان حضور أعضاء مجلس القيادة قد اكتمل لأن بعضهم لم يشارك فى خطة العمليات ليلة الحركة حيث كان جمال سالم فى العريش وصلاح سالم فى رفح وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم فى المنزل أيضا فى انتظار احتلال القيادة للتحرك مع بعض القوات لاحتلال المطارات ... وقد نفذا ذلك فعلاً فى صباح ٢٣ يوليو .

وبدا تحرك القوات للأسكندرية ··· القائمقام احمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاه التى ادت دورا بارزا ليلة الحـركة ليقـود المشاه ، والبكباشي يوسف صديق قائدا لمدافع الماكينة ، والبكباشى حسين الشافعى قائدا للمدرعات والبكباشى عبد المنعم أمين قائدا للمدفعية ·

وسافرت بالطائرة صباح يوم ٢٥ ومعى يوسف صديق وجمال سالم وأنور السادات وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين الى الاسكندرية ·

كانت المدينة فى حالة ابتهاج واضحة اذ أنهـا كانت مليئـة بالمصطفين وكانت تحركاتنا على الكورنيش من والى ثكنات مصطفى كامل تثير عاصفة من الحماس والتصفيق ·

وتمنيت أن يتم خلع فاروق دون اراقة دماء أو التحـام مع جنود الحرس الملكى الذين كانوا مازالوا موجودين فى القصـور الملكية ·

كانت الخطة معدة للتنفيذ فى نفس اليوم ··· ولكن البكباشى زكريا محيى الدين طلب التأجيل يوما واحد لعدة اعتبارات أهمها أن الجنود لم يناموا منذ قامت الحركة ، وأن الطابور المدرع تنقصه بعض التجهيزات الادارية ·

وحاول جمال سالم الاعتراض بدعوى أننا نحن أيضا لم ننم منذ بدأت الحركة ، ولكنى حسمت الأمر بتأجيل العملية الى السبت ٢٦ يوليو ·

أسباب الخلاف بين يوسف صديق
وبين مجلس قيادة الثـورة

أحمد حمروش ـ قصة ثورة ٢٣ يوليه ـ

الفصل الخامس عشر

ولم يكن الموقف هادئا داخل مجلس القيادة ... كانت بعض قرارات المجلس تلقى معارضة شديدة من جانب يوسف صديق الذى انبرى لمعارضة قانون تنظيم الأحزاب واعتقال السياسيين ومحاولة ضرب الوفد على غير أساس ديمقراطى .. وقد وقف الى جانبه فى المراحل الأولى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محى الدين .

وكان جمال عبد الناصر قد اعتكف فى منزله وأعلن أنه لن يشارك فى اجتماعات المجلس اذا كان الأعضاء سوف يتنكرون للديمقراطية .

ولكن وحدة يوسف صديق وجمـال عبد الناصر لم تسـتمر طويلا ، فقد تراجع جمـال عد النـاصر عن موقفـه أمام الحـاح وتفسيرات سليمان حافظ واكتشافه أن الوفد ليس من الصلابة التى

تحول دون ضربه ، وتبليغه أن الطريق للانفراد بالسلطة ليس شديد الوعورة والتعقيد .

ولكن يوسف صديق الذى كان يعبر عن رأى الشيوعيين ظل متمسكا بالديمقراطية والحياة البرلمانية ، رغم أنه لم ينجح فى تحقيق رأيه بدعوة مجلس النواب المنحل لتعيين مجلس الوصاية ولا فى منع صدور قانون تنظيم الأحزاب ولا فى منع اعدام خميس والبقرى عمال كفر الدوار فقد كان المؤيدون له أقلية وكانت قرارات المجلس تصدر بالأغلبية .

وظهر بين الضباط وخاصة فى سلاح المدفعية اتجاه يدعو الى أن يكون تمثيل الضباط في مجلس القيادة بالانتخاب وتحمس جميع أعضاء المجلس ضد هذا الاتجاه ، الا يوسف صديق .

كان السبب الكامن وراء هذا الطلب هو ما أثير من ملاحظات حول تصرفات شخصية لبعض أعضاء المجلس ، الذين عرف عن واحد منهم أنه أقام علاقات شخصية مع الأميرة السابقة فايزه وقدم لها نظير ذلك تسهيلات كبيرة ، والذين اشتهرت زوجة واحد منهم بقوة شخصيتها وأحاديثها عن أعضاء المجلس فى السهرات وخاصة فى نادى السيارات . وتصادف أن الاثنين كانا من ضباط المدفعية .

ولذلك عقد جانب من ضباط المدفعية اجتماعا مع أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ناقشوا فيه هذا الرأى بصراحة مطلقة .. ولكنهم اعتقلوا يوم ١٥ يناير سنة ١٩٥٣ بدعوى أنهم يدبرون مؤامرة لاغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة . وذلك بعد طبعهم لمنشور خاص .

كان هذا الاعتقال هو أول صدام مباشر بين ضباط الجيش ، وكان دخول الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية سجن الأجانب هى أول سابقة فى تاريخ الجيش المصرى ، تحت القيادة المصرية • اذ كانت القوانين تنص على حجز الضباط حجزا شديدا أى تحت الحراسة فى ميس احدى الوحدات ، وليس فى غرفة السجن حتى تنتهى المحاكمة •

وكان مجلس القيادة قد حذر منذ أيامه الأولى من تكرار ما حدث فى سوريا من سلسلة انقلابات متعاقبة ••• قبادر الى اعتقال ٣٥ ضابطا من ضباط المدفعية ، وانتهز هذه الفرصة لاصدار قرارات جامحة تظهره فى مظهر القوة • وتقوى قبضته على السلطات • فكان قرار حل الأحزاب فى ١٧ يناير وتشكيل مجلس قيادة الثورة • اختار مجلس القيادة جانب الصدام المباشر مع ما يحويه ذلك من احتمالات الخطر •

ولم يكن الضباط المعتقلون جميعا من اتجاه سياسى أو فكرى واحد •• فقد اعتقل رشاد مهنا واعتقلت أنا أيضا • ولم يكن المعتقلون جميعا من سلاح المدفعية ولكن قلة محدودة منهم كانت من المشاه وبعض المدنيين) ، (محمود رشيد ود• عبد العزيز الشال وصبرى الحكيم) •

ولم يقبل يوسف صديق مبدأ اعتقال الضباط بعد معارضته الشديدة لاعتقال السياسيين •• وقرر الاستقالة من مجلس القيادة معلنا أن ضميره لا يمكن أن يستريح وهو عضو فى مجلس يصدر قرارات تخالف أفكاره وعقيدته • ولا يستقيم الأمر بأن قرارات المجلس تصدر بالأغلبية فان المجلس ذاته لا يمثل الشعب ، ولا يمثل الجيش أيضا •

أصر يوسف صديق على الاستقالة ، وزاد اصراره بعد عودة الرقابة على الصحف وصدور قانون حل الأحزاب ، ولم يتراجع عنها رغم ما بذله معه أحمد فؤاد من محاولة إقناعه بأنه ينهى دوره السياسى باختيار الاستقالة من المجلس .. ولكن يوسف صديق وجد أن ضميره سوف يكون مثقلا بما لا يقبله . ولم يعلن المجلس استقالته ، ولكنهم أجبروه على السفر الى سويسرا فى مارس ١٩٥٣ .

الخــلافات داخــل مجلس قيادة الثورة
ومــوقف يوســف صــديق

محمد نجيب ـ كلمتى للتاريخ ـ الفصل الثالث

ولم يكن اعتقال هؤلاء الضباط أمرا سهلا بالنسبة لى ٠٠٠ كما أن التحفظ عليهم فى سجن الأجانب كان أمرا أشد قسوة على نفسى ٠٠٠ فمنذ أقل من عام واحد ذهبت محتجا لرئيس هيئــة أركان حرب الجيش الفريق حسين فريد على سجن اليوزباشى محمد أحمد رياض الذى أصبح قائدا لحرسى الآن ، وانتقاله بعــد ذلك الى ميس الضباط تحت الحراسة ٠

لم يمض عام واحد على احتجاجى هذا ، ثم أجبرتنى الظروف على اعتقال ضباط من مختلف الرتب بعضهم خرج ليلة ٢٣ يوليو معرضا حياته للخطر من أجل انتصار الحركة وتغيير الأوضــاع الفاسدة التى كانت سائدة ٠

ولكن ماذا يمكن أن أفعــل ؟

المعلومات التى وضعت أمامى كانت تؤكد أن هنــاك عملية مدبرة لاغتيال أعضاء مجلس القيادة وحرصى على تنفيذ القانون

بعدم وضع الضباط فى السجون قوبل بمعارضة شديدة تحت حجة أنهم لو تواجدوا فى ميس احدى الوحدات أو فى أى ثكنة من الثكنات فانه سوف يكون صعبا وعسيرا ٠٠٠ بل مستحيلا أن يقيموا فى عزلة عن الضباط ، أو يأثر ذلك فى زملائهم مما يدفع الأمور الى مزيد من الانفجارات ٠٠٠ وأصدرت أمرى باخلاء سجن الأجانب من كل نزلائه ليكون بمثابة معتقل خاص لهؤلاء الضباط فقط ٠

أصبحنا كما يقول المثل البلدى « مثل السمك نأكل بعضنا » ٠٠٠ ومع ذلك ٠

لم يقف الأمر عند حد رشاد مهنا وضباط المدفعية ، ولكنه وصل أيضا الى أعضاء مجلس القيادة ٠٠٠ الى القائمقام يوسف صديق ٠

ويوسف ضابط شجاع عرفته فى حرب فلسطين ، واليه يرجع الفضل الرئيسى فى انتصار الحركة ٠٠٠ اذ أنه كان أول من اقتحم القيادة العامة واعتقل اللواء حسين فريد كما ذكرت ٠٠ وكان يوسف قد تحرك بجزء من كتيبته فقط من معسكرات هاكستيب أبعد معسكرات الجيش عن القاهرة ٠

وكانت قواته أسرع القوات فى الوصول الى القيادة قبل كل القوات التى اشتركت فى الحركة ، والتى كانت ثكنات بعضها فى مواجهة مبنى القيادة عبر الشارع ٠٠٠ وكان ذلك لأن يوسف صديق لم تصل اليه أخبار تأجيل التحرك ساعة ٠

وكانت شجاعة يوسف محل تقدير الجميع واحترامهم كما أن نكرانه لذاته وتواضعه كان مبعث اعجابى به ٠

وقد لاحظت أن همسات بعض الزمـلاء تلاحقـه ، وجمـال عبد الناصر الذى كان مديرا لمكتبى حتى ذلك الوقت يحذرنى من أنه شيوعى يريد أن ينحرف بالثورة لتفكيره ٠

وأخذت هذا موضعا للمداعبة ، فكنت ألقبه مازحا « الرفيق يوسف ستالين » لكننى لم أفكر لحظة فى معاداته أو التخلص منه ، فأنى أومن بحرية كل انسان فى اختيار عقيدته ، ويزداد احترامى له كلما دافع عن عقيدته باخلاص وثقة ٠

وكان يوسف صديق شديد الوضوح فى معارضته لقـانون تنظيم الأحزاب ولضرب الوفد على غير أساس ديمقراطى ٠٠٠ وكان يدعو للتمسك بالدستور ودعوة البرلمان المنحل للانعقـاد لتعيين مجلس الوصاية ٠٠٠ كما أنه كان شديد الثورة والرفض لاعتقال الزعماء السياسيين دون اتهام ٠٠٠ وطالب كثيرا بالغـاء الرقابة على الصحف وتكوين اتحاد عام للعمال ٠

وكان حديث يوسف فى المجلس يستهوينى لأنه شـاعر يملك زمام اللغـة ولا ينقصه التهاب العاطفة والحماسة ٠٠٠ ولم يكن مثل جمال سالم تتدفق ألفاظه قبل أفكاره ٠

ولكن يوسف صديق كان يقف دائما فى الأقلية ، لا يجد معه أصواتا تشكل الأغلبية ... وكثيرا ما اتفقت معه فى الرأى ... وكثيرا ما تغلب علينا الرأى المضاد ٠

وقبل اعتقالات ضباط المدفعية ، كان بعضهم قد حضر بنية حسنة الى مجلس القيادة وقابل عدد من الأعضاء وناقش معهم الظروف المحيطة ، وطالب بأن يتم تمثيل الجيش فى مجلس القيادة عن طريق الانتخابات ٠

وبعد أن ذهبوا عقد مجلس القيادة جلسة عاجلة لما تبينه من خطر فى هذه الآراء على أنفسهم ··· ولكن يوسف صديق كان من المؤيدين للانتخابات ، وأذكر أن واحدا من الأعضاء سأله :

ــ هل تضمن أنت النجاح فى الانتخابات ؟

وأجاب يوسف :

ــ هذا لا يهم ··· إنما المهم هو الاطمئنان ·

وفوجئت به بعد اعتقال ضباط المدفعية يقدم استقالته ، ويصر عليها رغم محاولاتى المتكررة معه للعدول عنها · قائلا أنه لا يمكن أن يرتبط مع مجموعة لا يوافق على سياستها ··· وكانت هذه هى أول استقالة من مجلس القيـادة ·

كنت متألما لاستقالة يوسف ، معتقدا أنه قدمهـا لارتبـاطه بالشيوعيين الذين كنا قد اعتقلنا بعضهم من جديد ، بعد أن أخلينا المعتقلات منهم عقب قيـام الثورة عدا ١٧ شخصا كانت عليهم بعض الشبهات ·

ولم أجد فى استقالته السبيل السليم لاصلاح الأخطاء التى لم أكن موافقا على الكثير منها ··· ولكنى لم أفكر أبدا فى الاستقالة ، معتقدا بأن وجودى يفيد أكثر من غيـابى ، وأنى قادر مع الوقت على اصلاح الأخطاء ·

كان كل ما فى استطاعتى أن أفعله للضباط المعتقـلين هو الحرص على سلامة التحقيق ومعاملتهم معاملة انسانية ·

وبعد أيام من الاعتقال ابلغت أن البكباشى حسنى الدمنهورى كان يعد مؤامرة للانقضاض على مجلس القيادة ... واخراج الضباط المعتقلين . وأن لجنة قد حققت معه من عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وصلاح سالم .

وأبلغنى جمال عبد الناصر أن محاكمته سوف تتم أمام مجلس القيادة واعترضت على ذلك حيث لا يعقل قانونا أن يكون الخصم هو الحكم ... ولكن جمال أخبرنى أنهم سوف يجتمعون بعد ساعة واحدة أى فى السادسة صباحا ... وأنه يحسن أن تتم المحاكمة بهذه الصورة حتى لا تكون موضوعا للأثارة فى صفوف الجيش فى وقت اضطربت فيه الأمور .

ورأس جمال عبد الناصر المحكمة وحضرها كل أعضاء مجلس القيادة عدا يوسف صديق وأنور السادات وخالد محيى الدين وعبد المنعم أمين ...

الفصل الخامس

يوسف صديق فى أزمة مارس ونضاله من أجل الديمقراطية

يحتوى الفصل الخامس على الأوراق الآتيــة :

١ ـ رسالة من القائمقام يوسف صديق للرئيس نجيب ·

٢ ـ **القائمقام يوسف صديق يتحدث الى « المصرى » ·**

٣ ـ ذكريات يوسف صديق ـ حديث الى مجلة روز اليوسف ·

٤ ـ سلاطة ـ مقال بقلم مصطفى أمين ·

٥ ـ يوسف صديق واتصالاته بالعمال خلال أزمة مارس (من كتاب للدكتور عبد العظيم رمضان) ·

٦ ـ **يوسف صديق والجبهة الوطنية واتصالاته بضباط الجيش** خلال أزمة مارس ١٩٥٤ ـ صلاح سعده ·

٧ ـ **رسالة من السيدة سهير يوسف صديق الى الأستاذ مصطفى** أمين فى مارس ١٩٩١ ·

٨ ـ فكرة ـ مقال للأستاذ مصطفى أمين عن موقف يوسف صديق من الديمقراطية ردا على الرسالة السابق ذكرها

رسالة من القائمقام يوسف صديق
للرئيس نجيب

ـــ رأيه فى الظروف التى مرت بها الثورة حتى الآن ٠

ـــ اقتراحه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد ٠

جريدة المصرى ـ ٢٤ مارس ١٩٥٤

زار القائمقام أركان الحرب يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة سابقا السيد الرئيس اللواء محمد نجيب وحدثه فى الأوضاع الراهنة ، ثم أرسل لسيادته كتابا برأيه فى حل الموقف هذا نصه :

السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام لجمهورية مصر البرلمانية ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ٠

فلا شك أنكم تقدرون مدى المسئولية التى أتحملها معكم أمام التاريخ عن مصير هذه البلاد نتيجة للعمل الايجابى العنيف الذى قمت به فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، والذى لا أستطيع أن أفلت من مسئوليته حتى بعد استقالتى من مجلس قيادة الثورة فى فبراير سنة ١٩٥٣ ، فالتاريخ دقيق صارم فى حسابه ٠

ولا يسعنى وانا اشعر بهذه المسئولية وارى ما يجرى فى هذه الايام الاخيرة من احداث ان اتخلف عن اداء واجبى نحو هذا الوطن بعرض ما اراه كحل للأزمة الشديدة التى تعانيها البلاد فى هذه الظروف العصيبة ..حتى اكون قد اديت واجبى كاملا نحوكم كزملاء يتحملون مسئولية ضخمة أمام التاريخ ونحو البلاد التى اصبحت فى حاجة ماسة الى علاج حاسم تستقر به النفوس وتهدأ الأعصاب وتنام الفتنة التى تطل برأسها على هذا الشعب ٠

وانى اعرض رأيى على الوجه الآتى :

١ ـ ان حال البلاد الآن أشبه بحال المريض ، ويحاول كل مخلص من أبنائها أن يهتدى الى العلاج الناجح وأن يهدى اليه الآخرين ، فاذا طال الجدل فى هذا الموقف دون الوصول الى العلاج تعرضت حياة المريض الى خطر محقق ليس أخطر منه الا أن يجرعه السم بدل الدواء ٠

٢ ـ لا يمكن الوصول الى العلاج الا بعد التاكد من معرفة الداء ٠

٣ ـ بالرجوع الى التاريخ الذى عملناه من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الى أن وصلنا لهذه الحالة نلمس الآتى :

(أ) بعد طرد فاروق من البلاد فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ بدأ مجلس قيادة الثورة مناقشة الخطوة التالية التى كانت تتلخص فى هذا السؤال : « لمن الحكم ؟ »

وكان هناك رأيان فى الجواب على هذا السؤال ، أما أحدهما فكان يرى دعوة البرلمان المنحل ليباشر

سلطته الشرعية ، وأما الآخر ، فقال بعدم دستورية هذا الحل ، ورأى أن نذهب مذهبا آخر • ثم إستقر الرأى على استفتاء قسم الرأى بمجلس الدولة مجتمعا لهدايتنا الى التصرف الدستورى السليم ، فأفتى بأغلبية تسعة أصوات ضد صوت واحد بعدم دستورية دعوة البرلمان • وكان الصوت الواحد للدكتور وحيد رأفت •

(ب) سرنا على هدى هذه الفتوى ووصلنا الى الحالة السيئة الراهنة ، وتبين لنا أننا ضللنا الطريق •

(جـ) بعد أن تبين لنا بوضوح أننا ضللنا الطريق ، فلا يكون هناك تصحيح للوضع سوى أن نعود الى حيث أشكل علينا الأمر فنصحح طريقنا •

٤ ـ على ضوء هذه الحقائق نجد أن علاج الموقف ينحصر فى أحد حلين لا ثالث لهما :

(أ) دعوة البرلمان المنحل ليتولى حقوقه الشرعية •

(ب) تأليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد وهى : الوفد ، والاخوان المسلمون ، والاشتراكيون ، والشيوعيون ، تشرف على اجراء انتخابات للبرلمان فى أسرع فرصة حتى تختار البلاد حكامها الشرعيين ويعود الجيش الى ثكناته ليستعد للقيام بواجبه فى تحقيق أهداف الشعب فى حدود طبيعة عمله التى تنحصر فى الاستعداد لمعركة التحرير • وأقترح أن يكون رئيس الوزارة المقترحة هو الدكتور وحيد رأفت الذى أكسبته حوادث التاريخ هذا الحق فلا تكون الرياسة محلا للخلاف •

٥ ـ أى حل آخر غير هذين الحلين يكون بمثابة اعطاء المريض السم بدل الدواء فيكون مجافيا للديمقراطية التى تنشدها الثورة ، ومن ثم يكون سببا فى استمرار الاضطراب الحالى وما يترتب عليه من سوء النتائج ٠

٦ ـ أن استمرار الحكومة الحالية فى حكم البلاد لتصريف شئونها بعد أن أعلن الشعب رأيه فيها وكذلك استمرار الهيئات التى أنشأتها هذه الحكومة كلجنة الدستور مثلا هو استمرار للسياسة التى ثبت فشلها وخطرها ـ فما دامت الحكومة قد قررت أن تترك للشعب أموره فليس لها أن تفرض عليه أو تقترح له ، فاننا قمنا فى يوم ٢٣ يوليو لتمكين الشعب من قررت أن تترك للشعب أموره فليس لها أن تفرض عليه أو هو رغبته فى ذلك ، واصراره عليه ٠ واننى أسأل الله لكم السداد والتوفيق ، والله ولى التوفيق ٠

القاهرة فى ١٧ مارس سنة ١٩٥٤

القائمقام أركان الحرب

يوسف منصور صديق

عضو مجلس قيادة الثورة سابقا

القائمقام يوسف صديق يتحدث الى « المصرى »

- الشعب هو الذى يرسم سياسة البلاد دائما ·
- الميول الحمراء تلصق دائما بكل حر وقد الصقت بجمال عبد الناصر وخالد محى الدين ·
- سبب استقالتى من مجلس قيادة الثورة يفسرها تاريخ الاستقالة ·

جريدة المصرى ٢٦ مارس ١٩٥٤

كتب مندوب المصرى يقول :

قلت للقائمقام يوسف صديق ان كتابك الذى ارسلته الى الرئيس اللواء محمد نجيب ونشر « المصرى » نصه قد رسم أمام الذين لا يعرفونك عشرات من علامات الاستفهام ، خاصه وأن احدى الصحف قد خرجت أمس تشكك فى اتجاهاتك وتتهمك فى اغراضك · فمن أنت ؟ وما هى مبادئك ؟ هل انت من الاخوان ؟ أم شيوعى ؟ أم وفدى ؟ أم اشتراكى ؟ أم أنت من هؤلاء جميعا ؟ وهل صحيح أنك كتبت رسالتك الى الرئيس نجيب بمداد أحمر على ورق أحمر ؟(*)

ضابط وطنى حر :

فتمهل القائمقام يوسف صديق وشرد بذهنه الى الوراء ثم قال :

(*) يشير المندوب الى ما كتبه الأستاذ مصطفى أمين بجريدة أخبار اليوم تحت عنوان « سلاطة » يوم ١٩٥٤/٣/٢٥ تعليقا على رسالة يوسف صديق لمحمد نجيب ·

ان صح لى أن أتحدث عن نفسى فانى أقول لهؤلاء انى ضابط مصرى قمت على رأس الضباط الأحرار يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بالدور الرئيسى الذى مكن للضباط الأحرار من تنفيذ سياستهم ..

مبادىء كل مصرى :

وأما مبادئى فهى مبادىء كل مصرى وطنى حر مستقل يؤمن بربه وبوطنه وأن وحدة مصر هى السلاح الأول الذى تتحقق به جميع أهدافها وان الطمأنينة والأوضاع الطبيعية والاستقرار السياسى والاقتصادى وشعور الناس أنهم سينامون فى بيوتهم وأنهم غير مهددين اذا قالوا كلمة للصالح العام بالمبيت فى السجون والمعتقلات أو باتهامهم اذا كانوا من الاخوان بأنهم من عملاء لندن ، واذا كانوا من الأحرار الوطنيين بأنهم من عملاء موسكو ، كل هذه هى مبادئى .

بضاعة بائرة لا تروج :

واستأنف القائمقام يوسف صديق حديثه قائلا : لقد أصبحت هذه البضاعة ، بضاعة الاتهامات التى تلقى جزافا ، بائرة لا تروج عند الشعب ، فلقد أصبح الشعب المصرى كامل الوعى مرهف الحس ، يميز الغث من السمين . واذا كان الهضيبى زعيم الاخوان المسلمين فى مصر حقا من عملاء انجلترا فأنا لا يهمنى بعد ذلك أن أتهم بأنى من عملاء موسكو أو غير موسكو ... ومن هم عملاء واشنطن ؟ ولماذا لا نسمع أى أحاديث عنهم أو تحديد لهم ؟

مصر الآن :

ثم قال : أيها الناس ، ان مصر الآن ليس فيها وفدى ولا اخوانى ولا اشتراكى ولا شيوعى ، فالجميع قد وقفوا صفا واحدا وراء كلمة واحدة هى كلمة الوطن . ومن سار مع القافلة فانه منها . ومن

عارضها فستسحقه الأقدام مع أعداء الوطن ، وستظهر الأيام أننى لست شيوعيا وأننى لا أدين بشيء الا بحبى لبلادى ، لكننى أرى أن الشيوعيين الموجودين بمصر هم الآن قوة لا يمكن انكارها الا اذا أردنا الهرب من الواقع ، وانهم كمصريين لهم الحق فى مناقشة آرائهم كغيرهم من المواطنين ، وان انجلترا وأمريكا فيهما شيوعيون وفى الأولى حزب معترف به . ولقد صرح الهضيبى وهو الذى يمثل أكبر معسكر اسلامى فى الشرق أن الشيوعية لا تقاوم بالقوة وبالقوانين ، وانه لا مانع لديه من أن يكون لهم حزب ظاهر ، وان الاسلام كفيل بضمان سلامة الطريق التى تسلكها البلاد .

كنت عضوا فى مجلس الثورة :

قلت .. ان الذين قرأوا كتابك على صفحات « المصرى » وقرءوا توقيعك عليه مقترنا بعبارة « عضو مجلس الثورة السابق » أخذوا يتساءلون عن قصتك ويتساءلون عن دورك فى حركة ٢٣ يوليه وعن دورك فى مجلس الثورة وكيف أصبحت غير عضو فيه .

فقــال :

أما أنى كنت عضوا فى مجلس الثورة فهذا أمر يعلمه كل من تتبع أحداث الثورة ، وأما أن جميع المصريين لا يعرفون عنى الكثير أو القليل فذلك راجع الى أن سياسة مجلس الثورة فى أوائل الحركة كانت مبنية على نكران الذات ، وأما عن دورى فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فاتركه للتاريخ وان كان الرئيس اللواء محمد نجيب لم يبخل على الحق فى مذكراته التى نشرها على الناس حين قال : اننى كنت الشرارة الأولى التى اندلعت فى هذا التاريخ ، واننى أفضل أن يسأل أيضا البكباشى جمال عبد الناصر عن هذا الدور ، وأنا راضى بتقريره فى ذلك .

أسـباب الاستقالة :

وأما أسباب استقالتى من مجـلس الثورة فان التاريخ الذى استقلت فيه من المجلس وهو فبراير سنة ١٩٥٣ يستطيع أن يحدد أسباب هذه الاستقالة لكل من فى رأسه عيون ترى وفى قلبــه بصيرة تبصر :

سلمته الرسـالة بنفسى :

قلت .. ألم يصلك رد من الرئيس اللواء محمد نجيب على رسالتك ؟

فقال : لقد سـلمت رسـالتى الى الرئيس اللواء محمد نجيب بنفسى ، وقد تحدثت معه ساعة وبعض ساعة عما فيها ، ولا يسعنى وأنا أشعر بالعبء الضخم الذى يقع على أكتافه والظروف المختلفة المحيطة به الا أن أدعو له بالتوفيق ، فقـد عدت بعد هذه المقابلة الى منزلى بالزيتون وأنا أتفاءل خيرا من مسلك الرئيس محمد نجيب مادام يستجيب لرغبات الشعب الذى أحبه وتعلق به .

قلت : لقد أشارت بعض الصحف أمس الى أن اقتراحك عن قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيون والشيوعيين اقتراح لشخص غير مسئول ، وتساءلت الصحيفة : هل أنت من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة أم أنك لا تزال بعيدا عن مزاولة نشاطك السياسى منذ استقلت من مجـلس قيـادة الثورة لمناسـبة ما قيل عن تدبيرك لانقـلاب عسكرى . فما رأيك فى هذا الكلام ؟ هل كنت تزمع حقا القيام بانقلاب عسكرى ؟

الشعب هو الذى يرسم سياسة البلاد :

فقـال : احب أن أواجه الحقيقة التى تتجلى فى أن الذى يرسم سياسة البلاد الآن ودائما هو الشعب وليس هو يوسف صديق ولا مجلس الثورة ولا أى فرد أو هيئة ، انما هو الشعب الذى يرسم سياسته لنفسه بنفسه • وما كان اقتراحى فى هذا الصدد سوى رأى لرجل اشترك فى مسئولية الوضع الجديد للبلاد ، وله غيرته على وطنه ، ويحب كما يحب أى مواطن مخلص أن تسير السفينة الى شاطىء السلام دون أن تضييع جهودنا وتفنى قوانا فى التخاصم والتقاتل ونترك العدو يسعد بهذا الهدم •

أما بشأن ميولى الحمراء فان هذه الميول تلصق دائما بكل حر • وقد الصقت أخيرا وبشكل مفاجىء بالصاغ خالد محى الدين ، وأستطيع أن أقرر أن هذه التهمة قد وجهت فى وقت من الأوقات الى البكباشى جمال عبد الناصر نفسه ، كما وجهت للثورة كلها فى يوم ما • ومهما وجهوا الينا من تهم فنحن سائرون فى طريقنا نضحك ملىء أشداقنا من هذه الاتهامات •

ذكريات يوسف صديق

- أنا الذي قبضت على رئيس أركان حرب الجيش !
- قصة استقالتي من مجلس القيادة هي قصة الدستور !
- على ماهر حاول التخلص من تحديد موعد الانتخابات .
- القوات الانجليزية كانت على بعد ٥٠ كيلو من القاهرة :
- استعمال العنف لا يكون إلا مع العدو الخارجي .. !
- الانقلاب الذي دبرته كان مجرد مظاهرة عسكرية .
- الجيش أصبح من الوعي بحيث لا يستخدم ضد الشعب .
- مجلة روز اليوسف في ٢٩ مارس ١٩٥٤ .

تخرج يوسف منصور صديق من الكلية الحربية سنة ١٩٣٣ ، ثم اختير مدرسا بالكلية الحربية سنة ١٩٣٩ وتخصص في تدريس التاريخ العسكري ، وحصل على شهادة أركان الحرب سنة ١٩٤٥ ، واشترك في الكفاح ضد الطغيان طوال مدة خدمته في الجيش .

وقد اشترك القائمقام يوسف منصور صديق في حركة ٢٣ يوليه واختير بعد ذلك عضوا في مجلس الثورة ، وبقي فيه حتى فبراير سنة ١٩٥٣ ، ثم اختفى اسم يوسف صديق من الصحف .. قال يوسف صديق لمندوب « روز اليوسف »

ـــ لقد هيأ لى الحظ الوجود فى القاهرة قبل حركة ٢٣ يوليو على رأس قوة صغيرة ، وكنت قبلها بين نفى وتشتيت حتى نقلت الى السودان · ولكن الذين فعلوا بى ذلك نسوا أن السودان ومصر شيء واحد ، فلم أهادن الطغيان فى أى منهما . وقد استطعت بهذه القوة الصغيرة التى لم تتجاوز الستين جنديا أن أقوم بدور فى ثورة ٢٣ يوليه أفضل أن يتحدث عنه غيرى من الضباط · غير أنى أقول لك باختصار اننى تحـركت على رأس هذه القوة الصغيرة فى منتصف ليل ٢٣ يوليو فقابلت فى طريقى من معسـكر هايكستب الى ادارة الحرس قائد فرقة المشاة العسـكرية هنـاك فاعتقلته وأخذته أسيرا ، ثم قابلت القائد الثانى المساعد فى الطريق فاعتقلته كذلك ·

وقد صادفت البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر فى مصر الجديدة حيث علمت منهما أن أمر الضباط الأحرار قد كشف وأن رئيس أركان حرب الجيش يعقد اجتماعا فى رئاسة الجيش لاصدار أوامر لمقاومة الحركة فأسرعت الى مقر الاجتماع على الفور وهاجمت القيـادة وقبضت على رئيس أركان الجيش فى مكتبه قبل الاجتماع وعلى معظم القواد الذين كانوا فى طريقهم اليه ، وكذلك قبضت على القوات التى أرسلت لتعـزيز الحراسـة على رئاسة الجيش ، فقضيت بذلك على المقاومة وأصبح للضباط الأحرار الأمر فى البلاد ·

كان طبيعيا بعد ذلك أن أكون عضوا فى مجلس الثورة وبقيت كذلك حتى أعلنت الثورة أنها ستجرى الانتخابات فى شهر فبراير سنة ١٩٥٣ ، وكانت الثورة بذلك تسير وفقا لمبـادىء الضـباط الأحرار ·

غير أن مجلس قيادة الثورة بدأ بعد ذلك يتجاهل هذه الأهداف فحاولت أكثر من مرة أن أترك المجلس وأعود الى صفوف الجيش فلم يسمح لى بذلك ، حتى ثار فريق من الضباط الأحرار على مجلس قيادة الثورة يتزعمه اليوزباشى محسن عبد الخالق بسبب هذا التجاهل لأهداف الثورة ... فأيدت الثائرين بالدفاع من وجهة نظرهم فأبعدت الى أسوان سنة ١٩٥٣ ، ونفذت أمر الابعاد حتى تثبت لهم صحة آرائى عمليا بفعل الأيام ذاتها .

وكان مجلس الثورة قد خدعه مستشاروه المضللون فما حل شهر فبراير سنة ١٩٥٣ الذى كان محددا لعودة الحياه النيابية الا وكان مجلس قيادة الثورة قد اعتقل الضباط الثائرين وحاكمهم وسجنهم على نحو ما يعرفه الناس ، وألغوا الدستور بحجة عمل دستور جديد ، وحلوا الأحزاب بحجة أن بعضها فاسد ، وصادروا أموالها .

واصبح واضحا أن الثورة قد انحرفت وبدأت تنتكس ، فاتصلت بالبكباشى جمال عبد الناصر تليفونيا من أسوان وأخبرته اننى لا يمكن أن أبقى عضوا فى مجلس الثورة ، وطلبت منه أن يعتبرنى مستقيلا ، فأنا لا أوافق على ما يتم ، وسأرسل هذه الاستقالة مع أحد الضباط الذين كانوا فى حراستى ، فاستدعيت للقاهرة فى الحال ، واعتقل كل من عرف أن له صلة بى ...

ونصحت بأن أسافر للعلاج فى سويسرا على أن أعود بعد ثلاثة أشهر للعمل فى صفوف الجيش .

ومضت الشهور الثلاثة ، وجاءنى الخبر بعد ذلك هناك بأن عودتى غير مرغوب فيها ، ولكنى عدت خلسة الى وطنى وتوجهت

الى بلدتى فى مركز الواسطى ، واستقلت من الجيش تلغرافيا ، فتقرر تحديد اقامتى هناك ، ثم طلبت الانتقال للقاهرة فحددت اقامتى هنا .

ومن طريف ما يمكن أن أذكره لك أن منزلى بحلمية الزيتون حيث اقامتى محددة لا يفصله عن منزل الزميـــل محمـــد نجيب الا شارع واحد هو الممر الذى يفصل بين الحر المعتقل والمعتقل الحر .

ـــ وما رأيك فى الفترة التى حكم فيها على ماهر ؟ ..

ـــ بدأت وزارة على ماهر تنفذ برنامجها الاصلاحى المنتظر ، ولكن خابت الآمال فيها .. فقد حاول على ماهر التخلص من تحديد موعد الانتخابات ، وحاولنا نحن الضغط عليـــه ، واتفقنـــا معـــه نهائيا على تحديد موعد الاثنين ١٩٥٢/٨/١٠ لاذاعة البيان المنتظر الذى سيعلن فيه موعد الانتخابات ، فاذا به يفاجئنا قبل هـــذا التاريخ بضريبة الدخان مع رفع ماهية المستشارين والتمهيد لرأس المال الأجنبى للدخول والسيطرة بنسبة ٥١٪ والاقامة لمـــدة ١٠ سنوات . وكان الجيش قد طلب التطهير فى جميع نواحى البـــلاد - بما فى ذلك الأحزاب حتى يمهد للدستور أرضا طيبة ، وان أنس فلا أنسى مهازل التطهير والمعركة الشديدة فى الوفد والاشاعات .

ورأت اللجنة العسكرية أن تصرفات وزارة على ماهر تعتبر عملا مقصوداً لافقـــاد الجيش تأييد الشـــعب وتعـــريض القـــوات العسكرية للخطر ، ورأت اللجنة العسكرية المطالبة باقالة الوزارة (وزارة على ماهر) فوراً ، وكان ذلك فى مساء ١٩٥٢/٨/٨ . وفى ١٩٥٢/٨/١١ أصدر على ماهر فى الليلة السابقة بياناً مطولا لم يتعرض فيه لتحديد موعد الانتخابات ، وهاجم فيه الأحزاب فى

وضعها الحالى ، ولم يبين برنامجا واضحا لما يعتزم القيام به . وفى فجر هذا اليوم أصدرت القيادة العامة بياناً أعلنت فيه أنهـا سبق أن اتفقت مع على ماهر علىٰ أن تجرى الانتخابات فى أوائل شهر فبراير ، واستنكرت فرض ضرائب غير مباشرة كضريبـة الدخان التى يقع عبئها على الفقير قبل الغنى ، وقصدت القيادة بهذا البيان احراج على ماهر وكشف موقفه وانتقاد تصرفـات وزارته معتمدة على أنه بالحكم على ماضيه سيضطر للاستقالة أو يبقى فى الحكم ضعيفاً فتملى عليه ما تشاء وتأمره بتنفيذ ما تراه لصالح الشعب ..

وأعلنت القيادة يومها أنها لا تهدف الى حل الأحزاب فهدأت بذلك ما أثاره بيان على ماهر فى نفوس الأحزاب من قلق .

وأذكـر أننى عندمـا وصلت الى قيـادة اللواء السابع بالعباسية ، رأيت الجنود تتحرك فى عربات وسألت أركان حربى فأخبرنى بأن القيادة العليا أصدرت أوامرها الى القوات بالتحرك الى مداخل القاهرة وكان ذلك لسببين :

الأول : أن الجيش البريطانى يقوم بمناورات وقد وصلت طلائعه الى ٥٠ كيلو متر شرق القاهرة ، فرأت القيادة أن ترد على ذلك بمناورة مماثلة لتؤكد للانجليز أنها مصرة على مقابلـة العدوان بالقوة مهما كانت النتائج .

والثانى : أنها رأت أن تحركات القوات المسلحة فى داخـل القاهرة تعتبر مظاهرة حربية تؤكد لعلى ماهر أنها ستواصـل استخدام القوة لمصلحة البلاد فى الداخل والخارج .

ورغم أننا أوقفنا على ماهر عند حده وأخرجناه من الحكم من أجل الدستور بعد أن هاجم الأحزاب هجوما عنيفا فان مجلس الثورة وأنا فى أسوان ألغى الدستور بحجة عمل دستور جديد ، وألغى الأحزاب بحجة أن بعض أعضائها فاسدون ، خضوعاً لمستشاريه الذين جعلوا بهذا العمل جبهة الأحزاب كلها فى ناحية ومجلس الثورة فى ناحية .

ــ قال مندوب روز اليوسف :

البعض يرى أن اقتراحك بتكوين جبهة من الوفديين والاخوان والشيوعيين والاشتراكيين هو جمع بين الوفدى والاشتراكى والشيوعى والأخ المسلم والشامى والمغربى ، وأن هذا لا يمكن تحقيقه .

ــ قال :

إن التغاضى عن الاعتراف بقيام جبهة متحدة من هذه الهيئات الأربعة هو هروب من الواقع ، فقد تم تكوين هذه الجبهة فعلا ، وليس هناك دليل أسطع على وجودها من أن أقطاب وشباب هذه الهيئات ممثلون الآن فى جميع المعتقلات والسجون التى جمعت بين الشيوعى والوفدى والأخ المسلم والاشتراكى فجمعت بذلك بين الشامى والمغربى على حد قول القائلين ، فلا يكون هناك عجب أن تجمع الجبهة بينهم ولاسيما أن اجتماعهم هو للعمل لمصر .

ــ هل كنت ستقوم بانقلاب عسكرى فلهذا أبعدك المجلس الى أسوان ؟

فضحك يوسف صديق وقال :

ــ القول بأنى كنت أريد عمل انقلاب عسكرى فيه شىء غير قليل من التخريف ، فحقيقة ما حدث أن بعض الضباط الأحرار تذمروا حين بدأوا يشعرون بأن مجلس الثورة لا يطبق السياسة المتفق عليها وكان على رأسهم اليوزباشى محسن عبد الخالق ، وكنت أرى أنهم على حق وأدافع عن وجهة نظرهم وكانت نيتى متجهة الى جمع عدد كبير من الضباط المتذمرين والقيام بمجرد مظاهرة عسكرية لاطلاع مجلس الثورة على صورة حقيقية عن حقيقة شعور الضباط .

أما الانقلاب العسكرى العنيف فانى ضده وأومن بأن استعمال العنف يكون مع العدو الخارجى ، وأن التهديد بالدم والثورة الحمراء يجب أن يكون للعدو الخارجى فحسب ، لأنه لا يستفيد منه الا ذلك العدو .

وابتسم قائلا : ولا نظن أنه مادامت اقامتى محددة فنشاطى السياسى ينتهى ، هذا محال فأنا كما قلت لك مسئول أمام التاريخ ، وما دام قد ابيح للمسكريين الاشتغال بالسياسة فسيبقى نشاطى السياسى مستمرا حتى يتمكن الشعب من حقوقه وسيادته ، وقبل هذا ، وقبل أن يعود المسكريون جميعا الى ثكناتهم ونصبح كما كنا رجال حرب ، وضد العدو فحسب ، لا يمكن أن يتوقف نشاطى السياسى .

ومرة أخرى ابتسم يوسف صديق ليقول : هل تريد أن تعرف ما هو اجمل ؟

. نعم ..

قال : اكتب « كن واثقاً أن الجيش قد أصبح من الوعى بحيث لا يمكن استخدامه ضد الشعب أو لمصلحة فرد أو أفراد ، وأنه سيكون دائماً وأبداً جيش الشعب ، وفى خدمة الشعب فحسب .... » .

يوسف صديق

(سلاطة) بقلم مصطفى أمين

جريدة الاخبار بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤

لم تفاجأ الدوائر السياسية بالاقتراح الذى تقدم به القائمقام يوسف منصور صديق عضو مجلس قيادة الثورة السابق . الذى يقترح فيه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيين والشيوعيين برياسة الدكتور وحيد رأفت لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد .

فقد أبلغ الرئيس نجيب الى أعضاء مجلس الثورة أمر هذه الرسالة عندما تلقاها على ورق أحمر منذ بضعة أيام !

ولكن الجديد فى الموقف أنه لم يصدر حتى الآن أية تصريحات رسمية من رئيس الجمهورية ، وهو رئيس الوزارة فى الوقت نفسه . عن رأى الحكومة فى اقتراح القائمقام صديق ! فهل هذا الاقتراح من بين الاقتراحات العديده التى تدرس ، أم هل هو اقتراح لشخص غير مسئول ؟ وهل القائمقام من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة ،أم أنه لا يزال بعيدا عن مزاولة نشاطه السياسى منذ استقال من مجلس قيادة الثورة لمناسبة ما قيل عن تدبيره لانقلاب عسكرى ، أو ما قيل عن ميوله الحمراء » . فأبعد الى اسوان ، ثم سافر الى سويسرا للعلاج ، ثم عاد فجأة الى مصر .. ثم عين ملحقا عسكريا فى الهند . وهل هو اقتراح يمكن

أن ينظر اليه نظرة عابرة .. أم أنه أخطر من هذا وأدق . فهذه أول مرة فى تاريخ مصر ، يذكر فيه أن الوزارة سيشترك فيهـا شيوعيون !

ولا يجوز أن يأخذ هذا الاقتراح عن غير محمل الجد ، فقد سبق للشيوعيين أن دخلوا وزارة ائتلافية فى رومانيا وكان من بين أعضائها وزراء من اليمين ومن أقصى اليمين ، ودخلوا بوزيـر شيوعى واحد ! .. وبعد قليل أصبح الوزير ثلاثة .. وبعد قليل أيضا طلب الشيوعيون وزارة الداخلية .. وبعد قليل طلبـوا حكومة جديدة فيها وزير المواصلات شيوعى ونائب رئيس الوزراء شيوعى ووزير الداخلية شيوعى .. وبعد ثلاثة أسابيع طردوا مجلس الوزراء كله وتألفت وزارة شيوعية كاملة بعد اخـراج أعضاء الوزارة المؤتلفة من اليمين واليسار وانتهى الأمر كما هو معلوم باعلان الحكم الشيوعى فى رومانيا كلها ..

وحدث مثل هذا فى المجر وفى تشيكوسلوفاكيا ، وفى غيرها من البلاد التى انضمت تحت الستار الحديدى ، حيث لا حـكم نيابى ، ولا حرية ، ولا حرية صحافة ، ولكن فيها محاكم ثورة ، ونظام بوليس ، وجاسوسية على نطاق واسع ، وأوامر تصدر من موسكو بتعيين الوزراء واقالة الوزارة .

فالدهشة التى يقابل بها مثل اقتراح القائمقام يوسف صديق الذى يجمع الشامى على المغربى ، والوفدى على الاشتراكى ، والأخ المسلم على الشيوعى ، هى دهشة الذين لم يقرأوا التاريخ الحديث ، ولم يقرأوا شيئا عن التكتيك الشيوعى .

وقد كان الناس يريدون بياناً من رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة عن رأيه فى هذا الاقتراح ، فالسوق مليئة بالاشاعات ،

لا نعرف ما نصدق منها وما نكذب ، وما نأخذ منها وما ندع ..
فقد سمعنا اشاعة بأن هناك فكرة لتأليف وزارة مدنية ! ثم سمعنا اشاعة بأن الرئيس على ماهر هو المرشح لرياسة الوزارة ..
ثم قرأنا في صحيفة الجمهورية هجوما عنيفا ضد على ماهر ، وسياسة على ماهر ، فغلب الظن أن هذه الاشاعة غير صحيحة !
ثم سمعنا اشاعة بأن هناك فكرة في انشاء مجلس جمهورى ، وأن الرئيس نجيب اقترح أن يضم ثلاثة من الوفديين وثلاثة من السعديين وثلاثة من الدستوريين ثم قرأنا في جريدة الجمهورية لسان حال الثورة هجوما على الوفديين والدستوريين والسعديين جميعا ، وهجوما على وزير المالية الدكتور عبد الجليل العمرى والمستشار الجمهورى سليمان حافظ لأنهما زارا ابراهيم عبد الهادى رئيس السعديين . وبعد هذا سمعنا اشاعة أن الوزارة المدنية سيرأسها الدكتور السنهورى .. واشاعة أخرى أن الوزارة سيرأسها الدكتور بهى الدين بركات .. واشاعة ثالثة أن الوزارة سيرأسها الأستاذ عبد الرحمن عزام .. وقرأنا يوما أن الحزب الجمهورى سيتألف برياسة نجيب ، وقرأنا في اليوم التالى أنه عدل عن انشاء الحزب الجمهورى ، وقرأنا في اليوم الثالث أن الرئيس نجيب سيبقى بعيدا عن الأحزاب ، ثم قرأنا تصريحا للصاغ خالد محى الدين بأنه سيرشح نفسه على مبادىء الحزب الجديد ، وأنه سيكون في جناحه التقدمى ! ثم قرأنا تصريحا للبكباشى جمال عبد الناصر بأنه ثائر وليس سياسيا وقرأنا أن اعضاء مجلس الثورة لا يتقدمون للانتخابات لأنهم ثوار وليسوا سياسيين وهكذا يمكن تلخيص الموقف بأنه سلاطة والسلاطة انواع : سلاطة (بلدى) وسلاطة بالخضراوات وسلاطة طحينة وأخيراً « سلاطة روسى » ! والذى نرجوه أن نعرف من مسئول (صاحب سلطة) نوع (السلاطة) التى تطبخ الآن .

مصطفى امين

يوسـف صـديق

واتصالاته بالعمال خلال أزمة مارس
من كتاب للدكتور عبد العظيم رمضان
بعنوان : الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر (*)

ويتضح من التحقيق التاريخى الذى أجريته لهذه الحركة باتصالاتى بالقيادات العمالية التى لعبت الدور الرئيسى فيها ، وبالرجوع الى المصادر الرئيسية أن التسابق على كسب القوى البروليتارية كان قائما بين قوى الثورة البورجوازية المضادة وقوى الثورة المؤيدة لعبد الناصر فطبقا لما ذكره الصاوى أحمد الصاوى ، رئيس اتحاد نقابات عمال النقل المشترك الذى نفذ اضراب واعتصام ٢٦ مارس المؤيد لاستمرار الثورة ، فان القائمقام يوسف صديق قد اتصل به مرتين وتم لقاؤه به مرتين فى أعقاب كل اتصال ، وكانت المقابلة الأولى فى اللواء السابع مشاة بالعباسية حيث كان يجتمع حينذاك ببعض الضباط بينهم خالد محيى الدين .

(*) تناول الأستاذ محمود توفيق في رسالته المنشورة فى بداية هذا الكتاب بالتعليق ما جاء على لسان صاوى أحمد صاوى فى هذا الشأن .

أما المقابلة الثانية فتمت فى بيت يوسف صديق نفسه بضاحية الزيتون وكان الاتفاق على أن يقوم عمال النقل المشترك باضراب مؤيد لتصفية الثورة عند حلول ساعة الصفر .

على أن هذه الاتصالات كانت خاضعة لرقابة جماعة عبد الناصر . ففى صباح اليوم التالى للمقابلة الأولى ، كان الضابط عبد العظيم شحاته يزور الصاوى أحمد الصاوى ليستفسر منه عن أسباب ذهابه للواء السابع . أما بعد المقابلة الثانية ، فكان الصاوى هو الذى ذهب — على حد قوله — الى هيئة التحرير ليبلغ كل من الصاغ ابراهيم الطحاوى السكرتير العام المساعد للهيئة والصاغ عبد الله طعيمة مدير النقابات بنبأ هذه المقابلة .

وعلى كل حال فقد كان معروفا لدى القيادات العمالية الأخرى أن موقف اتحاد نقابات عمال النقل المشترك هو مؤيد لتصفية الثورة ، وأن هذا الاتحاد سوف يشترك فى الاضراب الذى قررت نقابة المحامين القيام به يوم الأحد ٢٨ مارس استنكارا لحوادث الاعتداء على المعتقلين والمسجونين وقد لعبت الظروف دورها فى انتقال هذا الاتحاد من فريق الثورة المضادة الى فريق الثورة فى آخر لحظة .

ملحق رقم (١) الصاوى أحمد الصاوى عن أحداث أزمة مارس ١٩٥٤ :

دار الحوار يوم ١٩٧٤/١١/١٥

كانت لنا علاقة بالقائمقام يوسف صديق منذ قيام الثـورة وبعد قرارات مجلس الثورة يوم ٥ مارس ١٩٥٤ ، أرسل مندوبا لاستدعائى لمقابلته فى اللواء السابع بالعباسية . وأذكر أن ذلك كان يوم ١٠ مارس وقد ذهبت ومعى سكرتير النقابة للقائه وهناك وجدت حركة كبيرة داخل اللواء وكان هناك اجتماع موجود بـه يوسف صديق وخالد محيى الدين .

وقابلت يوصف صديق فأخبرنى أنه قد جهز كل شىء بين طلبة الجامعات وغيرهم من الطوائف ولم يبق غير العمال ، وطلب الى التعاون بعمل اضراب ساعة الصفر ، فوافقت ، ولـكن فى صباح اليوم التالى عند ذهابى الى الجراج وجـدت البكباشى عبد العظيم شحاته منتظرنى ، وسألنى عن أسباب ذهابى الى اللواء السابع ، فأنكرت وقلت اننى كنت فى مدينة العمال لحـل بعض المشاكل العمالية ــ وكنت هناك فعلا ولكن قبل ذهـابى الى اللواء السابع ــ ولم أعترف بشىء .

وبعد أيام وأذكر أن ذلك كان يـوم ١٧ مارس ، أرسـل القائمقام يوسف صديق فى استدعائى مرة أخرى لمقابلته فى بيته فى الزيتون ، فذهبت حذرا ، وكان موجودا عنده بعض الضابط ، وطلب الى أن أكون على استعداد لعمل اضراب مؤيد لتصفيـة الثورة وعندما قلت له أن الاضراب سوف يترتب عليه خسائر مادية للعمال ، قال انه سيصرف عشرة آلاف جنيه على سبيل التعويض.

وعندما سألته عن نصيب العمال من غنائم الحركة ، قـال انه سيتألف حزب للعمال وسيكون لنا منه النصيب الاوفى . على اننى عدت الى بيتى وفكرت فى المسألة ، قررت أن أخبر الصاغ طعيمة بما جرى ، فذهبت ليلا الى هيئة التحرير بعابدين وقابلت

الطحاوى وطعيمة ، وأعلمتهما بالمقابلة فشكرانى واتصلا بعبد الناصر وأخبراه بما قلت لهما ، فطلب اليهما أن استمر فى التظاهر بالعمل مع جماعة يوسف صديق وفى يوم ٢٦ مارس أعلنا الاضراب تأييدا للثورة .

س : من طلب اليك اعلان الاضراب .. ؟

ج : نحن اجتمعنا مساء يوم ٢٦ وقررنا الاضراب والاعتصام تاييدا للثورة وأرسلت فى دعوة مندوبى ٦٤ نقابة تابعة للاتحاد ولاتخاذ القرار أيضا « لم تسفر المناقشة الطويلة مع الصاوى عن تحديد من طلب اليه اعلان الاضراب أو صاحب الفكرة فى هذا الاضراب » .

س : لماذا أيدتم الثورة ولم تؤيدوا جماعه محمد نجيب .. ؟

ج : ايدنا الثورة لما رايناه من ظلم أصحاب الشركات وكنا نخشى اذا انتهت الثورة أن تعود سيطرة أصحاب الشركات من جديد .

يوسف صديق والجبهة الوطنية

واتصالاته بضباط الجيش

خلال أزمة مارس ١٩٥٤

من حديث صحفى للصاغ صلاح سعده بجريدة العربى

تحالفـــات نجيب

● لم تحدث انقلابات ضد عبد الناصر فى أثناء توليك قيـادة الحرس الجمهورى ، ولكن قبل ذلك وبحكم قربك من موقع الأحداث الم تكن أزمة مارس ١٩٥٤ انقلابا ضده ؟

ـــ أزمة مارس معروفة للجميع وكان اللواء محمد نجيب هـــو اساس الخلافات بعد أن تجمع حوله الرجعيـــون والشيوعيـــون والوفديون والاخوان المسلمون وحاولوا بالفعل عمل انقلاب ينفرد بعده محمد نجيب بالحكم ويتم اقصاء عبد الناصر وقد قمت بدور مهم جدا فى كشف هذا المخطط فقد كنت فى هذه الفترة على خـــلاف مع المشير عامر وقدمت استقالتى من القوات المسلحة ولزمت منزلى عدة أيام فى أثناء ذلك زارنى فى منزلى صديقى توءم روحى ودفعتى صلاح عبد الحفيظ ، ولم يكن من الضباط الأحرار وكان شيوعيا من مجموعة يوسف صديق ولما علم باستقالتى زارنى وهنأنى على موقفى وشجعنى على الاستمـــرار فيه وقـــال لى « دول نـــاس ما يتعاشروش » وعلى العموم سنتخلص منهم قريباً » .

سألته : انتم مين ؟

قال : لن أقول لك الا اذا انضممت لنا .

قلت : خلاص أنا معاكم .

قال : نحن الشيوعيين والوفديين والاخوان المسلمين مع محمد نجيب .

بعد هذا الحديث مباشرة ذهبت للمشير عامر وقلت له ما حدث، ولما سألنى عن اسم الشخص الذى أبلغنى بذلك ، رفضت وقلت له انه شخص أحبه كما أحبك ولا يمكن أن أقول لك اسمه فقال لى : هذا حقك وأنا مقدر ذلك وخرجنا من منزله الى منزل عبد الناصر وسمع منى ما سبق أن قلته للمشير . فقال جمال « هذا اذن هو حل اللغز ، فمنذ شهرين ونحن لا نفهم محمد نجيب فاذا قلنا له شرق قال غرب واذا قلنا شمال قال يمين الآن عرفت هو مسنود على أيه » .

بعد ذلك ذهبت الى سلاح الفرسان لأحضر الاجتماع الذى دعا اليه خالد محيى الدين وكان خالد شيوعيا ويساند محمد نجيب وحضر الاجتماع نفسه حسين الشافعى وفى نهاية الاجتماع انفض الضباط على أن يجتمعوا غدا بنادى الضباط مما يعنى توسيع مدى حركة التمرد وخروجها من حيز سلاح الفرسان الى كل الجيش فخرجت من الاجتماع مسرعا الى منزل عبد الناصر ، ودخلت حجرة مكتبه وكان بها عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين فى حين كان عبد الناصر مجتمعا فى الصالون مع المستشار مأمون الهضيبى ، فتركه وجاء الى المكتب وظل واقفا وسأل حسين الشافعى الذى وصل فى هذه اللحظة عن الموقف .

فقال له : دى حاجات بسيطة يا أفندم ودول شوية عيال .

فقال جمال : وأقنعتهم يا حسين ؟

قال : أيوه .

وبدون سابق انذار التفت الى عبد الحكيم وسألنى : اقتنعوا يا صلاح ؟ فقلت له لا لم يقتنعوا . ولم يعترض حسين الشافعى على كلامى فقال له عبد الناصر « بقى لك شهور بتقول دى حاجات بسيطة ودول شوية عيال ، لما هاتودى البلد فى داهية » ثم نظر لعامر وقال له : عبد الحكيم اجتماع نادى الضباط غدا لن يتم .

وبالفعل انتهت الأزمة باقصاء محمد نجيب الذى اختفى فى هذا الوقت ، ولجأ الى الملك سعود الذى كان يزور مصر فى هذه الأثناء ، وبعد ذلك أصبح عبد الناصر رئيسا للجمهوريه .

● وكيف تعامل عبد الناصر مع نجيب وبقية الضباط ؟

ــ المدهش رغم كل ما يقال الآن عن عبد الناصر فقد كان زعيما حقا لن يجود الزمان بمثله ابدا . وأعترف لك أننى طلبت منه التخلص من جميع الرجعيين ومن تحالفوا معهم مثل الاخوان والوفديين والشيوعيين وألا تأخذنا بهم رحمة لأن أى ثورة يجب أن تتخلص من أعدائها وضربت له مثلا بالثورة الفرنسية ثم طلبت منه التخلص من محمد نجيب بطريقة التخلص من المطربة « اسمهان » بوضعه فى سيارة ثم اغراقها فى النيل وبعد ذلك نقيم له التماثيل فى الميادين ورفض عبد الناصر بشدة ونظر الى نظرة مؤنبة وقال نحن ثوار يا صلاح ولسنا قتلة أو قطاع طرق .

رسالة من السيدة سهير يوسف صديق

الى الاستاذ مصطفى أمين فى ١٩٩١/٣/٢٨

الأستاذ الكبير مصطفى أمين

ابعث اليك بتحية اعزاز وتقدير أشترك فيهما مع الملايين من ابناء شعبنا المصرى الذين يتابعون مقالاتك باهتمام بالغ واعجاب متزايد ، ويرون فيها تعبيرا مخلصا وصادقا عن آمال شعبنا وآلامه ، وأعتقد أن هذا الاحساس أصبح من الأشياء القليلة جدا التى يتفق عليها المصريون حاليا على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم . فحتى الذين كانوا يختلفون معك فى الماضى أولهم تحفظات على بعض آرائك واتجاهاتك ، أصبحوا الآن يشعرون بأنك تعبر عنهم ايضا فى كل ما تكتبه ويقدرون نغمة الصدق والاخلاص والحب لمصر التى تعبر عنها كتاباتك ، ولعل ما مررت به شخصيا من ظروف صعبة وما مرت به مصر كلها من محن وامتحانات يدفعنا جميعا الى التماس الحق والحقيقة وتوخى العدل والنزاهة فيما نقول وفيما نفعل ، بحيث تسود النظرة الموضوعية وروح الانصاف فيما بيننا جميعا . وبهذا تستفيد مصر من الدروس والعبر .

إننى اكتب اليك هذه الرسالة فى هذه الأيام بالذات من شهر مارس الذى يرتبط فى اذهاننا جميعا بتلك الأحداث الجسيمة التى

وقعت فى شهر مارس سنة ١٩٥٤ ، والتى كانت مفترق طرق فى حياة مصر بعد الثورة ، وكما تعلم فان مصير الثورة ومصير مصر كلها قد تحدد لسنوات طويلة بعد ذلك بما جرى فى تلك الأحداث .

انه من السهل الآن أن نتكلم جميعا عن الديمقراطية بعد أن اكتوينا جميعا بنار الدكتاتورية العسكرية والبوليسية التى سادت مصر منذ مارس سنة ١٩٥٤ والتى مازلنا نجاهد للشفاء منها . ولا شك أن هذا كسب لقضية الديمقراطية . اذ يكفى أن ينحاز لها المزيد والمزيد من المصريين ، حتى الذين وقفوا ضدها فى مراحل سابقة . وهو ما نشهده كثيرا فى السنوات الأخيرة من مواطنين قاوموا الديمقراطية وقاوموا دعاتها طويلا من موقع ارتباطهم بالحكم الدكتاتورى ، ولا بأس فى ذلك كله ، ولكن ينبغى أن نقر بالفضل للأشخاص الذين تمسكوا منذ البداية بالديمقراطية ودفعوا فى سبيلها أغلى ثمن .

ولا شك أنك تذكر موقف والدى المرحوم العقيد يوسف صديق من قضية الديمقراطية منذ بداية الثورة التى شارك فى قيامها بأكثر المواقف ايجابية وفدائية وشجاعة . وهو الموقف الذى تبين واضحا خلال أزمة مارس سنة ١٩٥٤ ، حيث نادى صراحة وعلى رؤوس الأشهاد بما كان يناضل من أجله داخل مجلس قيادة الثورة منذ البداية من دعوة الى انتهاج الديمقراطية طريقا للمستقبل فى مصر . وتذكر أنه قد ضحى فى سبيل هذا الموقف بوضعه فى مجلس قيادة الثورة وبوظيفته فى الجيش وحتى بحريته الشخصية وقبل راضيا أن يوضع فى السجن الحربى وأن يوضع معه أبناؤه وأقرباؤه وزوجته مفضلا ذلك على الاشتراك فى الحكم على حساب حرية وكرامة الشعب المصرى .

وتحت يدى صورة من مقال نشر بجريدة المصرى يوم ١٧ مارس سنة ١٩٥٤ يتحدث فيها صراحة عن ضرورة تخلى الجيش من السلطة ونقلها الى الشعب من خلال اجراءات ديمقراطية . ويسرنى ان أرسل اليكم بهذا المقال ، واسمح لى بعد أن أكدت اعزازى وتقديرى لك ان أذكرك بأن مقال والدى هذا لم يكن موضع ترحيب منك فى ذلك الوقت وأنك علقت عليه ضمن مقال لك نشر فى الأخبار بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ بعنوان (سلاطة) تحت يدى صورة منه أتشرف بأن ارسلها اليك أيضا . وربما كان معارضة أو تشكيك فى موقف المرحوم والدى ، ولكنى أتساءل ، بعد أن مضت كل هذه السنوات ، وبعد أن وقعت كل هذه الأحداث ، اليس من الانصاف أن تعود بذاكرتك وبذاكرة قرائك الى هذا الموقف لتعلق عليه من جديد فى ضوء التطورات والتغيرات التى مررت بها والتى مرت بها مصر كلها ؟

إنى أكتب إليك هذا بمناسبة ذكرى أحداث مارس ، ومناسبة ذكرى وفاة والدى المرحوم يوسف صديق فى ٣١ مارس سنة ١٩٧٥ . وأترك لك الأمر فيما تراه انصافا للحقيقة وابراءا للذمة .

وعشت لنا دائما متألقا فى دفاعك عن حرية مصر وكرامتها ومستقبلها .

١٣ فبراير سنة ١٩٩١

السيدة / سهير يوسف صديق

(فكرة) الأستاذ مصطفى أمين

جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩١/٣/٢٨

هذا رجل اختلفت معه وأحببته ، حاربني وحاربته ، طالبه برأسي واحترمته اختلفت مع البكباشي يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة . كان يؤيد محمد نجيب وكنت أؤيد جمال عبد الناصر وكان يقول لي أن جمال عبد الناصر يريد أن يكون دكتاتورا ! وكنت أؤكد له أن جمال عبد الناصر يريد الديمقراطية وكان هو على حق وكنت أنا على خطأ ، وكان عذري أنني سمعته عبد الناصر بنفسي وهو يؤكد انه يريد الديمقراطية وان زملاءه أعضاء مجلس الثورة هم الذين يصرون على الدكتاتورية .

وتحمل هذا الرجل ما لا يتحمله البشر ، كان دمه ينزفه وهو يقود القوة المكلفة بالاستيلاء على رياسة الجيش في القبسة والقبض على كل القادة وحدد له عبد الناصر موعدا للتحرك ، ولم يحترم هو هذا الموعد وتحرك قبل ساعة من ساعة الصفر ، واعتقد البعض أن هذا سيؤدى الى فشل الثورة واثبتت الأيام بعد ذلك ان تحركه هذا هو الذى أنقذ الثورة من الفشل فقد ظهر أن الملك عرف بهذا السر قبل موعد التحرك بعدة ساعات .

وقيل انه شيوعى ولهذا أخرجوه من مجلس الثورة ولم يحاول أن يحارب الثورة وبقى يتفرج من بعيد ، ولكن القبضة

الحديدية وصلت اليه واعتقلته واعتقلت زوجته وشقيق زوجته ، وعاش بعد ذلك مطاردا مغضوبا عليه من كل الجهـــات وكـــان شريفا فى خصومته يقول رايه ولا يخاف ، وضع رأسه على كفه ليلة ٢٣ يوليو ، وبقى واضعار رأسه على كفه الى أن مات . تعرض لأزمات مالية حتى جاء وقت لا يجد فيه ثمن الدواء ومع ذلك لم يمد يده للسلطات ولم يرسل يرجـــو ويتوســـل ويطلب العفو . كان يستطع فى تلك الليلية أن يحكم مصر ، وان يطالب بحقه فى قيادة الثورة . ولكنه كان رجـــلا متواضعـــا يرفض أن يفرض نفسه أو يطالب بحقه فى النفوذ والسلطان . قال لى يوماً لبضع ساعات كنت أستطيع أن أصبح حاكم مصر ، ولكننى فضلت أن أتراجع خطوتين الى الوراء خشية أن تفشل الثورة ولســـت نادماً الآن على اننى فعلت ذلك .

كان بطلا . يمشى كبطل ويفكر كبطل ويتكلم كبطل ، كانت قوته فى صموده وفى ايمانه بأفكاره المتطرفة ، وفى أثناء أزمة مارس كتب مقالا يقول فيه إن الحل هو أن تتولى الحكم وزارة يدخلهـــا الشيوعيين والاخوان المسلمين والوفديون ، وكتبت مقالا أعارض فكرته وأقول ان هذه الوزارة (سلاطة روسية) وقابلنى بعد ذلك وهو يضحك ويقول (تأكد أنها سلاطة بلدى) .

إن من حق هذا الرجل أن نطلق اسمه على الشارع الذى أطلق فيه الرصاصة الأولى للثورة .

الرجل الذى قاد الطابور الأول الذى صنع نصر الثوار .

مصطفى أمين

آراء عن يوسف صديق

١ ـ ذكريات عن يوسف صديق ـ للصاغ حسن الدسوقى .

٢ ـ بطل مصر الاسطورى ـ لطفى واكد .

٣ ـ يوسف صديق .. الفارس الغائب ـ بهيجة حسين .

٤ ـ رب السيف والقلم ـ د. رفعت السعيد

٥ ـ يوسف صديق .. بطلا ديمقراطيا ـ سعد كامل .

ذكريات عن يوسف صديق

الصاغ : حسن الدسوقى
من الضباط الأحرار

أول معرفتى بيوسف صديق كانت بالكلية الحربية سنة ١٩٣٩ ، كان بيدرس تاريخ عسكرى (ملازم أول) ، وكان ممتع فى التاريخ العسكرى ، كان يدرس الحرب العالمية الأولى ، فكان يشرح المعركة وهو بيشرح يسرح فى تاريخ مصر نفسها ويتكلم عن تاريخ مصر العسكرى ولذلك كانت حصته مش جامدة، كانت حصة جميلة وممتعة — وبعدها تخرجت من الكلية وما نقبلناش الى سنة ١٩٤٦ . كان فيه ضابط فى الجيش اسمه الامدرالاى (عبد الواحد سبل) وكان معروف عنه انه كويس قوى ومحبوب جدا من الضباط وكان عنده مبادىء فى وقت قلت فيه المبادىء خصوصا بين الضباط الكبار ، فالجيش شاف ان الاميرالاى اذا مضى عليه ٣ سنوات يحال الى المعاش ، فلما جاء عليه الدور أخروا النشرة العسكرية عشان يكمل ٣ سنوات ويطلع على المعاش ولا يترقى (لواء) وحصل فعلا ونفذ ، فاجتمع بعض الضباط وعملوا حفل تكريم فى نادى الجيش بالزمالك . الضباط كانوا (يوسف صديق ورشاد مهنى ويوسف نجا وآخرين) مش متذكر — الثلاثة كانوا على رأس المنظمين للحفلة ، وعديد كبير من صغار الضباط وأنا كنت منهم .

يوسف صديق فى الحفلة دى قال قصيدة فى (عبد الواحد سبل) قصيدة جميلة يعبر فى الفترة دى عن اللى بيحصل للضباط

المخلصين الوطنيين اللى بيناوئوا الحكومة والملــك . والقصيدة حازت اعجاب واستحسان فى صفوف الجيش وعملت ضجة — بعد الحفلة بأسبوع أنا كنت فى الكتيبة الأولى مدافــع ماكينــة بالاسماعيلية ، وكنت فى مصر فى أجازة وقت الحفل وانا راجــع بعد الأجازة (أسبوع) تقابلت فى القطار مع يوسف صديق . أيه الحكاية ؟ كان أيامها واخد كلية أركان حرب وكان فى أدارة الجيش باقوله رايح فين ؟ قال : (انتقلت الكتيبة الأولى مدافع ماكينة) قلت له : (أهلا ، شرفت — ليه ؟) قال : (عشــان القصيدة اللى قلتها فى عبد الواحد سبل) . تانى يوم القصيدة انطلب فى ادارة الجيش وكان رئيس ادارة الجيش (اللواء طه محمد) ، وكان من الضباط اللى يحبوا الشعر — دخل يوسف صديق وجد القصيدة أمامه وقاله (انت عملت مخالفة أمس بالنادى ، انــك خطبت فى النادى من غير اذن من ادارة الجيش ، وعشان الضابط يخطب فى النادى لازم يأخذ اذن من ادارة الجيش ، فقال له (بس أنا ماخطبتش) قاله ازاى ؟ ما هى قدامى أهى .

قال له (دى قصيدة شعر الوحى نزل فى الحفلة . امتى اخد تصريح ؟) .

تعليق (طه محمد) أنا قريت القصــيدة . اللى أحب أعبره عنها — كما نزل كلام الله على المشرك . المهم دا تصرف غلط — وحدث احتداد على أساس ان النادى مليان مسخرة ولبخ وقال أن الملك يروح يسكر فى النادى ، فلما نعمل احنــا حفــل تكريم لواحد زميلنا ونقول فيها شعر ، والشعر لغــة عربيــة فصحى غلطنــا ؟ فالمهم ؟ فالمهم انتقــل من ادارة الجيش وماكنش كمــل — يعنى المفروض كان ادارة الجيش نقول عليها خدمة خــارج السلاح ، يأخذها كأركان حــرب يقعد ٤ سنين — كان مضى عليــه ٣ أو ٤ شهور ودى الفترة الوحيدة اللى اشتغل فيها اركان حرب . كان خريجى اركان حرب كانوا يشتغلوا باستمــرار فى مناصب

ادارة عمليات . ادارة تخطيط . ماكانش فيه ضابط أركان حرب يشتغل فى (أورطه) نادر جدا . وكان النـادر ده هـو يوسف صديق ، ويمكن الوحيد فى العهد ده اللى كان بيشتغل فى (أورطه ـ أو (كتيبه) . المهم استقبلناه فى الكتيبة وكان له اسم فى وسـط الضباط ، لانه كان دايما بيشتغل محامى فى المجالس العسكرية لطلاقة لسانه ـ لان المجالس العسكرية مش بيدافع عنك محامى أو ضابط عنده لسانس حقوق ، يعنى ممكن لأى ضابط يترافع أمام المجالس العسكرية العليا ـ فهو كان معروف وسط الضباط بالحكاية دى وكان أى ضابط يحاكم يجيبه يترافـع عنه . حتى اللى كان يجيب محامى مدنى كبير مشـهور ، كان يجيب يوسف صديق كصديق ، لأن المتهم فى المجالس العسكرية من حقه يجيب محامى وصديق المحامى يترافع والصديق يلفت النظر للمحامى فى بعض النقط اللى تفوته . ودى طبعا لكفالة حقوق المتهم .

اشتغل قائد سرية وكان أيامها (صاغ) سنة ١٩٤٦ وأنـا كنت فى السرية الرابعة ضابطا معاه فى السرية نفسها وبعد كـده اشتغل أركان حرب الكتيبة وانا كنت معاه مساعد أركان حرب .

طبعا كنا فى معسكر خيام وطبعا كل الضباط من غير عائلات، فطبعا القاعدة فى المعسكرات والخيام والميز ، فكان كل الضباط حول يوسف صديق ، يقول شعر ، يتكلم فى حاجات عامة ، توعيه سياسية برضه بدون وضوح . من ضمن الحاجات اللى عملناها علشان نستغفل الحكومة نقول كلام فى المحاضرات رسمى ، فى محاضرات اسمها مناظرة يوم الخميس من كل أسبوع . يعمل فى الصباح فطار عام للضباط يقدم (مخ ومحشى وحمام مش فـول وطعمية) .

يتقال محاضرة أو مناظرة . فجينا فى فرصة وعملنا مناظرة أنا وهو . كان الجيش وكانت مصر أيامها بتفكر فى دخول حـرب

فلسطين فى أوائل سنة ١٩٤٧ . فعملنا مناظرة . هل الحرب نعمة ؟ أم الحرب نقمة ؟ . وهو أخذ الحرب نقمة وأنا أخذت الحرب نعمة ، وضحك على — عشان وجهة نظر مصر تخش حرب والا لا ، موضوع عسكرى فى هيئة مناظرة من غير ما جيب سيرة فلسطين . طبعا كان بيحضرها ضباط كتير . المهم على أثر المحاضرتين دول (المناظرة) فى ابريل سنة ١٩٤٧ نقلنا بالتلغراف . يوسف صديق أسوان ، وحسن دسوقى منقباد فى اسيوط . والتنفيذ فورا ، حتى لم يستلموا عهدتنا (أبعاد) . ضابط مخابرات كان أمين وكنا عارفين مش متخفى ، مكتوب على المكتب (ضابط مخابرات) لو كتب تقرير وحس ان فيه موقف مش تمام . فاتنقلنا ونفذت النقل الى أسيوط وهو راح أسوان . بعدها بأسبوعين صدر أمر للكتيبة السابعة بتاعت يوسف صديق تتحرك الى فلسطين وأنا الكتيبة بتاعتى تحل محله فى أسوان .

واتقابلنا تانى فى أسوان . واحنا بعدهم بثلاث أو أربع أسابيع رحنا فلسطين وكان الجيش المصرى دخل فلسطين . وأول كتيبة دخلت فلسطين الكتيبة السابعة الى كان فيها يوسف صديق ، وأنا كنت فى الكتيبة الخامسة مشاه . وفى فلسطين ما تقبلناش كتير . دخلنا فلسطين فى ١ يونيه سنة ١٩٤٧ وأول كتيبة دخلت فى ١٥ مايو اللى هو اعلان دولة اسرائيل وكان فى سريتنا (أحمد عبد العزيز وصلاح سالم وكمال الدين حسين) الموقع اللى اشتغل فيه يوسف صديق فى فلسطين اسمه (الأوبى) هو اللى كان مسميه (الاوبى) اختصار (نقطة ملاحظة) (Opservation Point) . الجيش المصرى كان فى حرب فلسطين عامل الخط الجيش ناشر نفسه كخط من أول رفح كده وطالع لغاية أسدود عبارة عن صف عساكر على الطرطوار فطبعا دى فى الحروب القديمة . فى الحروب الجديثة فيه حاجات أحدث

من كده . لان كده ممكن تكسره فى أى حتة ضعيفة وتخش تضرب فى الأجناب . وعاوز تبهدل زى ما انت عاوز .

كان فيه واحد اسمه أحمد فؤاد حسن ، الله يرحمه كان صاغ ، قدم اقتراح وهاجم فيه الخط ده وقال ان احنا المفروض نعمل دفاع دائرى ، دفاع جزائر ، دفاع من جميع الجهات all round defence اللى يقتحمه يتبهدل . فجاء أحمد فؤاد بالاقتراح وقال ايه رأيكم ؟ وكان صديقى أنا ويوسف قلت له (حيرفدوك لانك قلت الصح) قال زى بعضه . خد التقرير وقدمه وتانى يوم أحيل الى الاستيداع . يوسف صديق مقتنع بفكره

all round defence فراح عامل السرية بتاعته وطبق الفكرة وعمل هذا الموقع وقال انها نقطة ملاحظة وسماها O.P يعنى أقنعهم لأنه كان عايز ينفذ هذه الطريقة بأى شكل ، وفعلا عمل موقع كان شوكة فى وسط ٣ مستعمرات يهود الموقع ده سبب خسائر كثيرة لليهود حتى فى أيام الهدنة . يعنى فى أيام الهدنة كان فيه عدد من الجنود (ماكنش فيه مؤهلات فى الجنود) حرامية ، خطافين وهجامين ، كان يأخذهم ويعمل دورية ويطلع بهم وينطوا على البيوت بتاعت المستعمرات اللى قدامه ، وسرقوا حاجات من البيوت ، مش حرب . كان بيتسلى عليهم فى الهدنة — كان عنده طاقة من الجسارة مش عند حد . كان جسور جدا ، أنا شخصيا ما شفتهاش عند حد ، لا يأبه لشىء ، مش عارف ده كان شدة ايمان ، كان مؤمن جدا ، ودى كانت مدياله جسارة شديدة ، كان زى الدبابة . واشتهر فى (O.P) وبدأت الناس تقتنع بالفكرة دى ولو أن مالحقناش ننفذها لأنه حصل الانسحاب من فلسطين فى فى أواخر سنة ٤٨ لغزة وكانت كارثة وسببها الخط برضه . لأن كل اللى عملوه اليهود أنهم جم فى حتة أمام (المجدل) ومدفعين رشاش قفلوا الطريق وفى حتة أمام (خان يونس) قفلوا

الطريق . الجيش المصرى اضطر للانسحـاب الى (غزة) على الساحل لأن مابقاش عنـده امـداد كل ده نتيجـة الخـط) . من ضمن النوادر فى فلسطين . فتح باب الاجازات علشان العساكر تنزل لمدة ٣ أيام وكل وحدة نزلت نسبة من العساكر ، فيوسف صديق نزل عساكره ومعاهم بنادقم على اكتافهم . كان رأيه انه مش من المفروض ان العساكر تترك سلاحهم ، ودى ليها هدف ان المدنيين يشعروا أن الجيش فى حـالة حـرب ، وتدى روح معنوية ، مش هو فى وادي والجيش فى وادى . البوليس الحربى فى مصر وجد عسكرى (الجيش كله راح الاجازة بدون سلاح) ماكنش فيه عسكرى معاه سلاح غير بتـوع يوسـف صـديق (حوالى ٣ أو ٤) . البوليس الحربى قبض على واحـد منهم وأخذوا سلاحه ورحلوه . أنا كنت يوميها قاعد معاه فى زيارة ، فبصينا لقينا موتوسكل جاى بجواب سرى من رئاسـة اللـواء (جواب سرى يعنى إستجـواب) فتح الجـواب فلقى الآتى : السيد / الصاغ يوسف منصور صديق . نرجوا الافادة عن أسباب نزول العسكري رقم كذا — فلان الفلانى — الاجازة ، ومعـه بندقيته . الامضاء قائد اللواء . وكان بجواره البلوكامين . قال هات ورق وقلم ورد : السيد قائد الكتيبـة . أرجو العـلم بأن العسكرى فلان الفلانى — نزل اجازته ومعه بندقيته لأنها بندقيته . يوسف صديق فطبعا الرد وصل لقائد اللواء ، اتعفرت واستدعاه وقال ايه يا فندى انت بتهزر ؟ قاله أبدا انت بتسـأل ليـه هو نازل معاه بندقيته فرديت لأنها بندقيته . قاله هو فيه واحد عسكرى ينزل اجازة ومعاه سلاحه ؟ قال طبعا احنا فى حـالة حرب ، وهو فيه سلاحليك نشيل فيه البندقية ؟ احنا بنتحرك مين يشيلها له ؟ وشرح أهمية ان العسكرى ينزل أجازة ومعاه السلاح ، لرفع الروح

المعنوية الى آخره — وكان واقف معاه بمباشى المكتب اسمه (أبو غراره) قال يعنى ياسى يوسف لو العسكرى ٦ رطل لما ينزل أجازة ياخد المدفع ٦ رطل معاه ؟ قال له لا ياسى (غراره) الستة رطل له ٦ عساكر لما ينزل واحد يبقى فيه ٥ عساكر يشيلوه المهم كان قائد الفرقة اللواء محمود فهمى نعمة الله يرحمه . كان راجل ظريف ولطيف يستملح الكلام فراح شتمه وقاله طب امشى .

مرة كتب شكوى وهو فى فلسطين (قعد الحرب كلها) كتب شكوى قصيدة للوزير اللى هو حيدر باشا وبعتها بالطريقة القانونية — قائد الكتيبة بعتها لقائد اللواء قائد قوات فلسطين فاركان حرب اللواء رد القصيدة . وقال ان الضابط ده يكتب الشكوى باللغة العادية فهو رد عليهم كتابة قالهم قولولى أولا أنا كاتب القصيدة بأرقى أنواع اللغة لأن الشعر هو أفصح مراتب اللغة العربية . فتقولولى الأول ، السيد الوزير يفهم فى الشعر والا ما يفهمش اذا كان بيفهم ابعتوله القصيدة ، ما بيفهمش فى الشعر قولوا لى عشان أكتبها باللغة العادية فطبعا بعتوها .

قل للوزير غمرتنا احسانا   ونشرته حتى على موتانا .

الجيش كان اترقى ٣ مرات والميتين وكله ما عدا حسن دسوقى ويوسف صديق ، على اثر أن لجنة شئون الضباط فى مصر اعترضت على ترقيتنا — مش فى الحرب . المفروض اننا اتعلمنا أن الحرب هى مقياس كفاءة الضباط — واحنا كنا من احسن المقاتلين والحمد لله وكنا بننفنات فى الترقى علشان تقرير المخابرات (أمين حلمى نعمة الله) اللى نقلنا بالتلغراف من الاسماعيلية ، بيطاردنا فى الملفات . وطبعا لجنة شئون الضباط

فى وادى والجيش اللى بيحارب فى وادى والبلد كلها فى وادى . فكنا بننفات فى الترقى اوتوماتيك .

احنا كنا بنحب نسهر بالليل ، شعر ، قراءة ، كتب مصطفى الرافعى بتركيز ، قرأنا دواوين شعر عنتره والمتنبى والبحترى ، كلها كانت جلسات قراءة عميقة ، وقراءة بدراسة وتوعية يوسف صديق كان عنده اشراقات جميلة جدا للتفهم ، ويمكن كان يقول حاجات المؤلف ما يقصدهاش ولا على ذهنه ، لكن بتيجى لبس ، يعنى ياحبذا لو كان ده بطن الشاعر .

القصد ، بعتوا القصيدة لحيدر باشا ، هو كان شديد المراس ، واحد غيره كان قطع القصيدة وكتب شكوى عادية ، بصلابة . يعنى مثلا كان عنده اشراق ذهنى وسرعة بديهة لكن هو كان شديد المراس ماكانش يفوت ، كان دايما يأخذ حقه وتسلط ، مرة كان بيشهد فى مجلس عسكرى . فالشاهد يدخل ، ضرب تعظيم سلام . رئيس المجلس بيقوله أقعد . الشاهد يقعد — يوسف صديق كان أيامها ظهره مريض — فدخل عظم والرئيس قال له أقعد ، والمجلس مكون من ٧ لواءات على المنصة وكان اللى بيترافع مع المتهم المحامى الكبير حمادة الناحل (مشهور قوى) . فيوسف صديق ماكانش يرتاح فى القاعدة الا اذا حط رجل على رجل . فقعد وسند ظهره وحط رجل على رجل وفى وسط الجلسة ، المحامى بيترافع بهمة ومندمج فى المرافعة — وفجأة قطع المرافعة صوت رئيس المجلس كان شاهين باشا قائد المدفعية ، فبص له وقاله : « يا افندى انت قاعد حاطط رجل على رجل ؟ » وفجأة وقال له نزل رجلك . فاللى حصل ان يوسف صديق كأنه كان تمثال ، ولم يرمش ورد عليه وقال له : « لهو انت واخد بالك من رجلى ومش واخد بالك من المحامى اللى عمال بيهاتى من الصبح » ؟

طبعا الرد ده والتصرف ده ما حدش يتصرفه غير يوسف صديق . يعنى كان مثلا نزل رجله . لم يتحرك أو يفكر فى الرد ولكن الرد كان سريعا . وطبعا الجو اتكهرب ورفعت الجلسة ، قبل رفع الجلسة قال له نزل رجلك ، قال له لا أنا دخلت عظمت قلت لى أقعد (كتاب البيادة — المشاة) أقعد زى ما أنا عايز — كتاب البياده ما وصفش ازاى نقعد — يعنى وصف انتباه إزاى أدينا فى الخلف خياطة البنطلون ، القدمين حرف ٧ ، استرح يعنى ١٢ بوصة يعنى محدد لكن أقعد دى ما وصفهاش . ماقالش أقعد حاطط رجل على رجل أقعد مربع .

كتاب البيادة ماقلهاش وماتعلمناش ، وكل ده وهو حاطط رجل على رجل . دى تدل على ازاى سرعة البديهة وسرعة الرد قوة ومنطق ماكانش سهل . وصلت القصيدة وحصل تصبيح أوضاع وحصل ترقى بس بعد الجيش كله ما ترقى مرتين ثلاثة وفين فى الحرب ، يعنى حطونا فى مظهر سخيف يعنى أنا مثلا البشرة اللى اتفت فيها فى الترقى دى صدرت تانى يوم أنا صديت فيه هجوم على (أسدود) طلع بيه بلاغ عسكرى وأنا فى موقعى . وأنا قلت لقائد القوات : أنا أتهم لجنة شئون الضباط بالخيانة لانها تدفعنى لاسلم موقعى وهو كان فى حالة يرثى لها ، لانه كتب لى جواب شكر وطالع بلاغ عسكرى وأنا باتهنى بالموقعة ، ومتفات فى الترقى (كأنى هربت من الحرب) .

المهم كان بيصالح الأمور بايجابيات ما تخطرش على ذهن اللى بيسأل ، دى كان يمتاز بها ، كانوا مرة بيتكلموا مين يصلح اركان حرب ؟ فكان فيه واحد اسمه شعبان باشا يوسف ، كان رجل طيب قوى وكان عليه الدور ، فهم قاعدين يقولوا شعبان باشا راجل كويس وطيب فهو راح قايل : احنا بنبحث عن واحد يكون رئيس اركان حرب مش شحات فى السيدة .

جينا بعد حرب فلسطين ما خلصت فى ٦ يناير ١٩٤٩ كان معانا قطاع غزة ورفح وخان يونس هو فى الكتيبة السابعة وأنا فى الكتيبة الخامسة ، وبعدين الهدنة ، وانتهت الحرب واتعملت (اتفاقية رودس) ، فى مرة كان الضباط ابتدأت تتكلم عن ظروف الحرب واللى حصل ، فى مرة رحت أزوره انا وواحد اسمه محمود سليمان (كنا فى غزة) وهو كان فى (خان يونس) رحنا نزوره بالليل ، فكان قائد الكتيبة (الدجوى) بتاع المحاكم العسكرية المشهور وكان أيامها فيه تعليمات بعدم التزاور والقعدات دى ، فلما عرف ان احنا عند يوسف صديق فبعتلنا . انتوا أيه اللى جابكم هنا ؟ قلنا احنا جايين زيارة ، فقالنا طيب اتفضلوا مشينا ، وتانى يوم جه جواب بنزول يوسف صديق وحسن دسوقى الى القاهرة للاستغناء عن خدماتهم بالميدان — على رأى عبد العزيز فتحى (كان ياور رئيس قيادة الجيش) وكان صاحب يوسف ، فلما قرأ الجواب بعد ما قدمنا نفسه له قال « ياولاد الكلب . بعد مابقاش ميدان ، استغنوا عنكم ؟ » . فى فبراير ١٩٤٩ انا رحت على اللواء الأساسى بالماظة (مشاة) هو راح السودان ومن السودان على منقباد وبعدين على القاهرة — فى هذه الفترة لم اقابل غير مصادفة فى المحطة .

انا انضميت للضباط الأحرار عن طريق حمدى عبيد فى أواخر ١٩٥١ وانا كنت عارف من يوسف صديق ، هو اللى قاللى انه فى تنظيم الضباط الأحرار وقاللى اتصل بمحمود سليمان كان هو مسافر وبعدين انا باشتغل تحت قيادة حمدى عبيد لحد ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — حصل لقاء مصادفة ليلة الثورة — الكلب جمال حماد — قال — حقيقى ثبت وجود حسن دسوقى فى القيادة ليلة الثورة ، لكن أرجع هذا للصداقة الشديدة اللى بينى وبين يوسف صديق ، وانه يجوز أنه عرف من يوسف صديق ميعاد الثورة ، فقابله هناك . (يعنى زى ما يكون دعوة على العشاء أو عزومة)

فرحت اقابله هناك . فى الوقت نفسه هو حمار ، بيقول هو اللى واضع خطة الثورة ، وفات عليه ان يوسف صديق دوره فى الخطة ما كانش في القيادة خالص . اللى دوره واجبه انه يحتل القيادة كان أنا وبقوة صغيرة على ان ما فيهاش مقاومة ، لأن الخطة مش معروفة ومافيهاش مقاومة ، ويوسف صديق كان قوة ضاربة سريعة الحركة تضرب فى الحتة الضعيفة احتياطى للمعركة ، ولانها قوة كبيرة سريعة مدافع ماكينة فهذا ماكنش محله ادارة الجيش ابدا ، فيوسف صديق لما خرج بدرى (قبل ساعة الصفر بساعة) مايعرفش أن الخطة انكشفت وان رئيس أركان حرب الجيش جامع القواد فى الرئاسة فى مبنى القيادة . (فعبد الرحمن مكى) و (عبد الرؤوف عابدين) قابلوه قبل ما يخشوا المعسكر ، وده اللى نجا الدنيا هما لو دخلوا المعسكر ماكانش حد اتحرك ، لأن العساكر مش متوعين ولا تعرف حاجة عن السياسة والانقلاب ، لانهم مش متجندين . الضباط هم اللى متجندين العساكر لا (قائد اللواء وقائد الفرقة فى هاكستب) متبوض عليهما قبل وصولهما المعسكر وأخذهما يوسف صديق معاه فى الموكب وقابل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر عند جامع السلطان حسين لأنه كان تاه فى الطريق (فى منطقة الكربة بمصر الجديدة) — وسمى بشارع الثورة بعد كده — الرواية اللى قالها لى لما اتقابلنا ، كانوا عاوزين يلغوا العملية لانهما انكشفت (الخطة) على أساس أن ساعة الصفر كان لسه فاضل عليها ساعة . فقال لهم يوسف صديق « أنا دلوقتى مرتكب جناية خيانة عظمى لانى قبضت على قائد الفرقة وقائد اللواء — ودى فرصة انهم مجتمعين فى القيادة نمسكهم مرة واحدة وفعلا اتجه نحو القيادة .

انا اتحركت أول ماصدر أمر التحرك (من الكتيبة ١٣ واتجهت الى ادارة الجيش ، قبل ما أتحرك (زكريا محيى الدين)

قاللى أنه فيه مقاومة ، (كانت التعليمات الاولانية انه مافيش مقاومة) ـ لما جيت عند المستشفى العسكرية قابلت عبد الحكيم عامر وكان معاه زغلول عبد الرحمن ، يوسف سابب معاهم عبد الرحمن مكى وعبد الرءوف عابدين) .

وسمعت صوت رصاص — وقاللى (عبد الحكيم) أن يوسف صديق مشتبك مع القوة المحاصرة للقيادة فانت عزز الهجوم بتاعه ، وادينا معلومات عن الموقف ، وفعلا اتجهت الى القيادة . وسقطت القيادة . وسلم البوليس الحربى ، ودخلنا ، جابوا كتيبة بوليس حربى هاجمت القيادة وفتحت النيران على يوسف صديق وهو داخل . المعركة دى مات فيها ٢ عساكر واحد من قوة الجيش واحد من قوة يوسف صديق . ودى معركة اقتحام ادارة الجيش . قابلته فى القيادة وكان صدره ينزف دما حتى انى ظنيت انه أصيب فى المعركة ، هو قاللى ان صدره تعبان فيه شرخ أنا كنت عارف انه عيان بس ما كنتش زرته ، ورحنا جبنا دكتور ن المستشفى العسكرى بعد المعركة ما خلصت (المعركة استمرت ١٠ دقائق) وقعدنا على سلم القيادة مستنيين أن القيادة تيجى تستلم .

وجاءت بعد فترة طويلة شوية . قعدنا على السلم وطبعا هو كان مرهق جدا وكنا فى حالة انفعال شديدة ، الجميع كان فى حالة انفعال شديدة طبعا ، قاللى انه المفروض بعد ما خلصت العملية ان قيادة الثورة تيجى تستلم ، لكن ما حدش جه اتأخروا فأنا بصيت له وقلت له « يعنى الجماعة اتأخروا » فقام واقف فى قلق وقال « وبعدين أيه العمل ؟ » قلت له « ولا حاجة احنا خلاص ارتكبنا جناية الخيانة العظمى كاملة وجريمة قتل » دى الحاجة المهمة اللى أنا فاكرها ، وبعدين جم بقى وجه الدكتور

اداله حقنه فى الرئة لوقف النزيف (وقالوا له بعد كده لما سافر لندن ان الحقنة دى كانت السبب فى المرض اللى حصله فى الرئة اليسرى وتم استئصالها بعد ذلك فى لندن) .

ومشيت عملية الثورة . وهو بعد كده اتعين قائـــد اللواء السابع وأنا أركان حربه وكان اللواء السابع هو المسئول عن أمن الثورة ، وعشـــان كده الوحيد اللى كان مبيـطلعش صـورته فى الجرائد ، ماكانش بيحضر على أنه قائد القوة اللى حاتعمل الثورة وقت اللزوم ، وكان قائد اللواء السابع وعضو مجلس الثورة فى الوقت نفسه .

كان أول قرار لمجلس الثورة هو عودة أحمد فؤاد حســـن للخدمة (الذى رفد فى فلسطين) ويوسف صديق هو اللى جابه من بيته وعينه اركان حرب نمرة ١ — بس للآسف بيبلغ جمـــال عبد الناصر حاجات مشوهة عنا — اكتشفناها بعد كده — قابلت (محمود شوكت) بالبوليس الحربى وقاللى . عارف مين اللى كان بيشى بيكم قال (أحمد فؤاد حسن) . وهو يوسف صديق ما كنش بيدارى . كان من ضمن الحاجات انه كان بعد ما يرجع بيته يلاقى الصحفيين ، يقول لهم أيه اللى كان بيحصل فى المجلس فجابوه مجلس الثورة كاستجواب أو محاكمة . ازاى اجتماعات مجلس قيادة الثورة يقولها للصحفيين ؟

فهو رد قال لهم احنا مش بنعمل حاجة غلط . ده أنا بأقترح ان اجتماعتنا دى تبقى مذاعه على الهواء والشعب كله يسمع إحنا بنقول فى حقه ايه وحانتصرف معاه ازاى . أسرار ايه ده كان منطقه ماكانش يخبى حاجة .

كان قائد عسكرى ممتاز علاقته بالجنود والضباط جيدة جدا ومتينة ، الواجب لما يدخل معركة تحت قيادته يبقى مطمئن لحسن

تخطيطه ، جسارة وشجاعة فى الوقت نفسه لانه يجيد التخطيط للمعارك ، لكن مش بتاع مناورات سياسة ، ما فيش التـواء ويجتذب فقط اللى تحت آدارته ــ كان انسان كان شاعر رقـة الدنيا كلها فيه وتمتعه بالجمال ورؤياه للجمال اينما وجد ، يعنى ينظر يرى جمال ويستخرج ويبرز الجمال من حاجة ما حـدش شايفها . يعنى كان مثلا فيه طريق فى الاسماعيلية به نخل فكان مدهون جزوعه (ارتفاع متر ونص) بالملاكيه الأبيض ، جميل جدا · فكنا نمشى بين الطريقين دول فكان هو مسميها مسابقة جمـال السيقان كأنى ماشى فى مسابقة جمال السيقان (زمان زى مارلين ديتريش) كان انسـان علاقاته كويسه جداً ووفاءه كامل للاصدقاء، ما يعرفش الخبث ، ويحب كل الناس ، كان انسان وهو شـاعر ما فيش أرق من كده . مرة فى مناقشة مع جمال عبد الناصر بعد الثورة قال له بلاش تضغط على حسن دسوقى ــ سجن وسجن تحديد اقامة ومفيش شغل · فقاله على العمـوم الضـغط مش حايجيب نتيجة مع حسن ، ده حسن ينام على فرع شجرة .

من ضمن النوادر . كان مفروض يقعد فى جاكتة جبس لمدة ٣ سنوات فكان يتردد على المستشفى وكان فيه دكتور اسـمه عبد النبى مدير المستشفى . كان اخترع مرحاض فى المعسكرات الخارجية لاستعمال الجنود . عمل قاعـدة تتركـب على جردل وسميت فى العهدة فى الدفاتر عندنا فى الجيش (أدبخانـة طرظ عبد النبى) الموديل بتاعها طرظ عبد النبى ــ فى يوم جه عبد النبى لقى ورقة على المكتب بتاعه مكتوب عليها أيه ؟

عبد النبى يا بن قوم فى الورى برعوا
وراقهم منظـر المرحاض فاخترعـوا
وشيدوه عـلى الأيـام مفخـرة
فليت قوماً علىّ خطواتك ابتدعـوا

كان بيدرس اركان حرب وهو مريض ، كان الطالب فى كلية اركان حرب فى آخر الكورس يقدم بحثا يأخذ عليه تقدير دراسى ، فهو اختار (لجنة للتاريخ) اختار بحث عن تاريخ الجيش المصرى والمعارك اللى خاضها وأوصافها . وكان البحث باللغة الانجليزية ، عشان المدرسين فى كلية اركان حرب كانوا انجليز ، وكان فيه حاجة اسمها البعثة البريطانية فى مصر كان قائدها انجليزى كان هو اللى بيحضر حفلة التخرج ومعاه رئيس هيئة اركان الجيش المصرى والقيادة كلها . فهو اختار تاريخ الجيش الأول ، وتسلسل به من أول الفراعنة من أحمس وتحتمس وبعدين الجيش احيانا فى القمة وأحيانا اضمحلال وينتهى ببلجراف البحث بتاعه بجملة بالانجليزى :

« But still the Egyptian army is waiting the Pure Egyptian Leader. »

« ما زال الجيش المصرى ينتظر القائد المصرى النقى »
وكان الملك هو قائد الجيش وكان ابراهيم عطا الله باشا قائد عام الجيش (راح نافخ نفسه ومنتظر الاشادة لأن القائد النقى وصل فعلا . ولكنهم فوجئوا بأنه قال :

« But still the Egyptian ermy is waiting the Pure Egyptian Leader ».

وعظم ونزل . فما خدش حاجة فى البحث ده طبعا . وحتى لما اخذ كلية اركان حرب لم يشتغل فى أى مكان حساس . مش يوسف صديق اللى يتحط فى مراكز حساسة ، يعنى حتى الشوية اللى اشتغلها كان ماسك السجلات العسكرية ، عاوزين يكتموه ، وكان فى البحث ده يمجد البطل احمد عرابى — فى حين كان يدرس فى هذا الوقت عرابى على انه خائن .

وهو فى البحث وصف Pure Egyptian Leader المطلوب مصرى ابن مصرى طلع من الأرض وجاب أوصافه مش سايبهـا وبحثه تاريخى مقصود · كان مناضلا شديدا ، طول ما هو عاش يناضل ».

حسن الدسوقى

---

* الصاغ حسن الدسوقى ، كان من اقرب الأصدقاء ليوسف صديق ، وقد لعبت الظروف دورها فى أن يكون رفيقا له فى دوره البطولى ليلة ٢٣ يوليو ، كما كان شريكا له فيما ناله من الأذى بعد الثورة نتيجة للخلافات والصراعات التى حدثت بعدها » ·

مجلة الأهالى — ١٩٩١/٣/٢٧

يوســـف صـــديق

بطــــل مصر الاسطـــــــورى

بقلم لطفى واكد

منذ حوالى نصف قرن من الزمان وجدت نفسى طالبا بالكليــة الحربية ، وكان ذلك بسبب ظروف واعتبارات وملابسات لا داعى لذكرها لانها ليست ذات علاقة مباشرة بالموضوع ، كنت قبل ذلك طالبا بالمدرسة الثانوية . وكان ارتباطى بالحركة السياسية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت يجعل أجهزة البوليس تصنف اسمى من ضمن الطلبة المشاغبين ، الذين يتعرضون للمراقبـــة والاعتقـــال ساعات فى أقسام الشرطة ، أو أيام فى السجون العامة وكان ذلك يتم دائما فى أعقاب ما كانت تسميه السلطة أحداث شغب . وكنا نحن نعتبره نضالا وطنيا ضد الاحتلال البريطانى وضد من كنـــا نعتبرهم أعوان الاستعمار هذا مجرد توضيح للتوجهات والمــزاج الشخصى الذى كنت أعيشه قبل الحاقى بالكلية الحربية .

وجدت نفسى فجأة طالبا بالكلية أتعــرض مثل باقى زمــلائى لانضباط شديد انعكس فى وجدانى احساسا بالقهر ونفورا من السلك العسكرى . وبدأت أراجع نفسى فى جدوى الارتباط الأبدى بهـــذه الحياة العسكرية وما يمكن أن أحققه للوطن فى هذا المجال — فقد كانت البعثة العسكرية البريطانية تملك السيطرة على مقـــدرات الجيش المصرى ، كما كان المندوب السامى البريطانى يملك السيطرة

على الحكم فى مصر — وفى خلال مرحلة التوتر والتفكير كنت أكثر اتجاها الى التخلص من هذه الحياة والعودة الى الحياة المدنيــة واللحاق بالجامعة حيث مجال الحرية قائم ومجال النضال وارد ٠ فى هذه المرحلة وفى هذه الظروف النفسية ظهرت ومضة الأمل التى انارت طريقى واستقر أمرى على التمسك بالحياة العسكريــة طريقا للنضال من أجل الوطن .

ففى أحد الأيام كنا فى طابور تدريب وكان على رأسه ضابط برتبة اليوزباشى لم أكن أعرفه . كان أسمر اللون ، صارم القسمات ، ممتشق القوام ، مهيب الطلعــة ـ القى علينا هذا الضابط محاضرته ثم انتقل الى الحديث عن البعثة العسكرية البريطانية ، وعن جيش الاحتلال وعن الواجب الوطنى فى التحرر من النفوذ الأجنبى وعن واجبنا فى تثقيف الجنود وتحريرهم من اسطــورة الامبراطوريــة البريطانية التى لا تقهر — وقال كلاما لا أذكر تفاصيله بعد هــذه السنين ، ولكن ما علمه لنا كان فى مثل ذلك العصر وفى مثل ذلك المكان . .قد فاق كل التوقعات — وجدت فيه بريق الأمل والنموذج الجديد لضابط الجيش الوطنى الشجاع — وقررت ان أتمســك بانتمائى للجيش وان أسير على درب هذا الضابط الأسطورة . . يوسف منصور صديق .

فى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت القوة المكلفة بأخطر العمليــات واهمها — وهى الاستيــلاء على رئاســة الجيش — تحت قيادة البكباشى يوسف منصور صديق — وقصة تحركه قبل الموعد المحدد فى الخطة بساعة يعرفها الجميع — ولكن هناك أمرا يلزم توضيحه بحكم الانصاف . فلم يكن تحركه قبل الموعد نتيجة ارتجال أو خلل فى الحساب ولكنهكان نتيجة لتقدير صحيح بناء على مستجدات فى الأحداث . فقد كان قادة الجيش يتوافدون على الرئاسة بأوامــر

الملك لاجهاض تحرك الضباط الأحرار قبل بدايته فتصرف يوسف صديق بحسه الثورى وقام بمبادرة شجاعة مخالفا التوقيت المحدد فى الخطة وتحرك الى رئاسة الجيش واحتلها واعتقل القيادات العليا كلها فى سلة واحدة — قبل ان تخرج لاجهاض الثورة — وقام بتأمين باقى الوحدات الثورية فى تحركها وانهى القائد العظيم مهمته التاريخية ثم جلس مرهقا على سلم رئاسة الجيش ينزف الدم من رئتيه وابتسامة النصر العظيم على شفتيه — هذا هو البطل المناضل الأسطورى الذى لولاه ولولا مبادرته الشجاعة ليلة ٢٣ يوليو لربما كنا جميعا قد تعلقنا على أعواد المشانق .

فى عام ١٩٥٧ كنت رئيسا لتحرير جريدة الشعب وكان صاحب امتيازها الفعلى هو الرئيس جمال عبد الناصر — وفى أحد الأيام طلبنى الرئيس وقال ان يوسف صديق يعانى من أزمة مالية وكلفنى ان اتفق معه على كتابة بعض المقالات فى الجريدة مقابل أجر معقول ، ثم طلب منى الا أنشر شيئا ألا بعد عرضه عليه — أى على الرئيس . وفعلا تم الاتفاق مع يوسف صديق . ونشرنا له بعض انتاجه ثم أخذ النشر يتعثر لأسباب لا دخل لى فيها وكان يحضر احيانا للمشاجرة معى متصورا اننى المسئول عن تعطيل النشر وكنت حريصا على اخفاء الحقيقة — ولكنه بدأ يتبينها فامتنع عن تقاضى راتبه — الذى كان فى أمس الحاجة اليه — وأخذت أجادله لاقناعه بأن تأخير النشر أمر وارد دائما ولكن ليس له علاقة بحقوقه المادية — فالححت عليه فازداد تعنتا وازددت به اعجابا ، وأخيرا قال كلمته : « يجب أن تعلم ويعلم سواك أن يوسف صديق لن يقبل منحه من أحد » .

— كاتب هذا المقال — لطفى واكد من الضباط الأحرار ، وقد أصبح مديراً لمكتب جمال عبد الناصر — وأخيرا نائب رئيس حزب التجمع .

يوسف صديق ... الفارس الغائب

بقلم بهيجة حسين ـ جريدة الأهالى ١٩٩٥/٧/٢٦

فارس حمل روحه على كفه وأطلق الرصاصات الوحيدة التى انطلقت فى ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ كان يحمل يقينا بتحقيق حلمه بوطن أكثر جمالا وانسانية وعدلا وحرية لنا ولأجيال لم تولد بعد .

بحثت عن الفارس الزميلة بهيجة حسين فلم تجد تمثاله مع تماثيل أعضاء مجلس قيادة الثورة فى المتحف الحربى بالقلعة وكان السؤال الذى ظل بدون اجابة .. أين تمثال يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة ؟!!

نعم غاب تمثال يوسف صديق عن تماثيل رفاقه فى المتحف لحربى ولكن الفرسان والنبلاء لا يغيبون ، لم نر يوسف صديق حن أبناء الجيل الذى ولد مع ثورة يوليو ولكننا قرأنا أن فى الوطن رجالا ومنه تعلمنا كيف يكون تصرف الرجل .

كان كثيرون من أبناء الجيل الذى قامت الثورة من أجله فى معتقلات السادات عام ١٩٧٥ وكان أحد المعتقلين محمد ابن يوسف صديق وبعد اعتقاله اشار البعض على يوسف صديق أن يقدم التماسا للسادات للافراج عن ابنه فكان رده حاسما بالرفض ، وقال : ومن يقدم التماسا للافراج عن باقى الشباب ، لقد اعتقل ابنى معهم وسوف يخرج معهم .

رصاص الثورة

تحرك البكباشي يوسف صديق مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ بقواته من الهايكستب الى مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة وكان أحد الضباط الأحرار قد كشف سر الثورة ، وكان رئيس أركان حرب الجيش يعقد اجتماعا فى رئاسة الجيش لاصدار أوامره لمقاومة الحركة فأسرع يوسف صديق الى مقر الاجتماع على الفور وهاجم القيادة وقبض على رئيس اركان حرب الجيش وعلى معظم القواد الذين كانوا فى طريقهم اليه وكذلك القى القبض على القوات التى ارسلت لتعزيز الحراسة على رئاسة الجيش فقضى بذلك على المقاومة وأصبح للضباط الأحرار الأمر فى البلاد . وكانت رصاصات يوسف صديق هى الرصاصات الوحيدة التى أطلقتها ثورة ٢٣ يوليو ، حيث حاول رئيس أركان الجيش المقاومة فأطلق نيرانه على قوات يسف صديق فردت قواته على نيران الحرس بنيران حامية وقتل اثنان من الحرس وأصيب ثالث . وكان دور البكباشي يوسف صديق دورا حاسما لنجاح الثورة ، وهو الذى قال عنه محمد حسنين هيكل عملاق طويل عريض لفحته الشمس فى معسكرات الجيش فجعلته أشبه ما يكون بتمثال من البرونز لفارس محارب مدرع من القرون الوسطى دبت فيه الحياة .

هذا هو يوسف صديق الذى يقول عنه لواء قائد عام القوات المصرية الفلسطينية فى رسالته المرسلة من رئاسة القوات المصرية بفلسطين من المجدل فى ١٩٤٨/٧/٢٥ الى قائد اللواء الثانى مشاه لقد لاحظت الملاحظات الآتية التى أريد أن تنال عناية عزتكم : كتيبة البنادق السابعة المشاه كتيبة « يوسف صديق » انى اعتبر المواقع الدفاعية لهذه الكتيبة مثالا يحتذى به وتوزيعها ينطبق تماما على أصول التكتيك الأمر الذى يجعلنى أسجل شكرى

لقائدها وأتعشم أن يحاول جميع القادة الوصول بكتائبهم الى هذا المستوى .

معركـة الديمقراطية

كان وهو يحمل روحه على كفه متقدما نحو تحقيق حلمه من أجلنا يرى الحلم واضحا ويرى أنه لن يتحقق بدون الديمقراطية وكان موقفه وكانت معركته الأولى من أجل الديمقراطية وليست الأخيرة وسجل فى مذكراته كان طبيعيا أن أكون عضواً فى مجلس قيادة الثورة وبقيت كذلك حتى أعلنت الثورة أنها ستجرى الانتخابات فى شهر فبراير سنة ١٩٥٣ . غير أن مجلس قيادة الثورة بدأ بعد ذلك يتجاهل هذه الأهداف ، فحاولت أكثر من مرة أن أترك المجلس وأعود الى صفوف الجيش فلم يسمح لى بذلك حتى ثار فريق من الضباط الأحرار على مجلس قيادة الثورة يتزعمه اليوزباشى محسن عبد الخالق فأيدت الثائرين ، فأبعدت الى أسوان سنة ١٩٥٣ ، وكان مجلس قيادة الثورة قد خدعه مستشاروه المضللون فما هل شهر فبراير ١٩٥٣ الذى كان محدداً لعودة الحياة النيابية الا وكان مجلس قيادة الثورة قد اعتقل الضباط الثائرين وحاكمهم وسجنهم ، وأصبح واضحا أن الثورة قد انحرفت ، واتصلت بالبكباشى جمال عبد الناصر تليفونيا من أسوان وطلبت منه أن يعتبرنى مستقيلا .

لقد كان يوسف صديق مدافعا عن الديمقراطية وعودة الحياة النيابية ، والتعددية الحزبية ويؤكد على موقفه الأصيل من الديمقراطية عندما وقعت فى مصر أزمة مارس عام ١٩٥٤ عندما نادى المحامون والطلاب بحل مجلس قيادة الثورة ، وبالحياة النيابية ، وأكد فريق من الجيش يتمثل فى سلاح الفرسان على هذا الموقف ووقف خالد محيى الدين يدافع عن الديمقراطية ،

وتأتى رسالة البكباشى يوسف صديق الى اللواء محمد نجيب بصفته رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام آنذاك ، تأكيداً على موقفه فيقول فى رسالته ، فلا شك أنكم تقدرون مدى المسئولية التى أتحملها معكم أمام التاريخ عن مصير هذه البلاد . نتيجة للعمل الايجابى العنيف الذى تمت به فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، والذى لا أستطيع أن أفلت من مسئوليته حتى بعد استقالتى من مجلس قيادة الثورة فى فبراير سنة ١٩٥٣ ، وبالرجوع الى التاريخ الذى علمناه من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الى أن وصلنا لهذه الحالة . نلمس أنه بعد طرد فاروق من البلاد فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ، بدأ مجلس قيادة الثورة مناقشة الخطوة التالية التى كانت تتلخص فى هذا السؤال « لمن الحكم ؟ » وكان هناك رأيان فى الجواب عن هذا السؤال ، أما أحدهما فكان يرى دعوة البرلمان المنحل ليباشر سلطته الشرعية ، وأما الآخر فقال بعدم دستورية هذا الحل ورأى أن تذهب مذهبا آخر ، استقر الرأى على استفتاء قسم الرأى بمجلس الدولة مجتمعاً لهدايتنا الى التصرف الدستورى السليم فأفتى بأغلبية تسعة أصوات ضد صوت واحد بعدم دستورية دعوة البرلمان ، الصوت الواحد للدكتور وحيد رأفت ، سرنا على هدى هذه الفتوى ووصلنا الى الحالة السيئة الراهنة وتبين لنا أننا ضللنا الطريق . بعد أن تبين لنا بوضوح أننا قد ضللنا الطريق ، فلا يكون هناك تصحيح للوضع سوى أن نعود الى حيث أشكل علينا الأمر فلنصحح طريقنا . وعلى ضوء هذه الحقائق نجد أن علاج الموقف ينحصر فى أحد حلين لا ثالث لهما ، دعوة البرلمان المنحل ليتولى حقوقه الشرعية أو تأليف وزارة ائتلافية تمثل القيادات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد ، وهى الوفد والاخوان المسلمون والاشتراكيون والشيوعيون تشرف على اجراء انتخابات للبرلمان فى أسرع فرصة حتى تختار البلاد حكامها الشرعيين ويعود الجيش التى تكتلته

واقتــرح أن يكون رئيس الوزارة المقترحــة هو الدكتور وحيد رأفت الذى اكسبته الحوادث التاريخية هــذا الحــق فلا تكون الرياسة محلا للخلاف .

والبكباشى يوسف صديق وهو الذى قال فى خطبة لضباطه « ان الروح المعنوية هى أمضى أسلحة القتال والجندى لا يمكن أن يكون ذا روح معنوية عالية الا اذا كان مقتنعا بالهدف ، والهدف لا ينبت بعقل الجندى وروحه الا بالنقاش الحر والفكر المفتوح الذى تسود فيه الديمقراطية وحرية الرأى .

ودفع ثمن دفاعه عن الديمقراطية غاليا ففى عام ١٩٥٣ أبعد عن مصر بتسفيره الى سويسرا بدعوى العلاج وعاد منها سرا الى بلدته زاوية المصلوب مركز الواسطى محافظة بنى سويف وبعد رسالته الى محمد نجيب فى أزمة مارس اعتقل فى أبريل عام ١٩٥٤ بالسجن الحربى واعتقلت زوجته ، وأفرج عنه فى مايو ١٩٥٥ وظلت اقامته محددة حتى أكتوبر عام ١٩٥٦ وعندما وقعت مؤامرة العدوان الثلاثى ارتدى ملابس الميدان وقدم نفسه للدفاع عــن تراب وطنه الذى لا يتوانى لحظة فى الدفاع عنه والبذل من أجله هو يوسف صديق الذى أصيب بنزيف فى الرئة ليلة ثورة يوليو حاول عبد الناصر منعه من الخروج حتى لا تسوء حالته الا أنه رفض وأصر على الخروج ليؤدى دوره وواجبه تجاه وطنه .

يوسف صديق شــــــاعرا

انا من بلاد رواها النيل فى كرم وفى وفاء كساها اجمل الحلل

التحم المقاتل بالشاعر فكان يوسف صديق الفارس مقاتــلا وشــاعرا .

فهو القائل :

إنا وهبنا للجهاد نفوسنا
لا نبتغى رتبا ولا أطماعا
والمؤمنون المخلصون يزيدهم
ظلم الحوادث شدة وصراعا

ومنه نتعلم من مواقفه ومن شعره .

عندما قـــال :

عار الوظيفة أن نضام بها اذا
كنا الرجال ولم نكن أتباعا
ونفوس أهل الحق تأبى حرة
وعزيزة أن تشترى وتباعا

ولا ينسى يوسف صديق وقود الحروب فمن اجلهم خـــرج على رأس قواته ومن أجلهم حارب من اجل الديمقراطية ومن أجلهم أمن بالاشتراكية وأخيراً يقدم لهم اهداء كتابه ـــ الاسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى « الى أرواح الذين سقطوا فى المعارك ليزيدوا من أرباح تجار الحروب » .

من يمكن أن يرد جزءا مما قدمه لنا يوسف صديق ؟ نعرف أنه لم يكن ينتظر جزاء الا يعد عدم وجود تمثاله فى المتحف الحـــزبى اعتداء عليه بل وعلينا نحن أيضا ؟

فمن حقنا أن نعرف من هم صناع تاريخ هذا الوطن ومن هم فرسانه ؟

يوسف صديق رب السيف والقلم

بقلم : د. رفعت السعيد
أرشيف اليسار
مجلة اليسار ابريل ١٩٩١

١٩١٠ ولد يوسف صديق لأسرة ريفية من زاوية المصلوب مركز الواسطى (بنى سويف) ... رجال الأسرة فلاحون وضباط وازهريون ..

الأب ضابط فى الجيش ، مصرى ثائر يرفض تحكم الانجليز فى الجيش المصرى ، ويصطدم بالقادة الانجليز الذين يفرضون على فرقته العاملة بالسودان اضطهاداً مزدوجا ...

لكن الأب يتوفى قبل أن يكمل يوسف عامه الأول ، ويكفله خاله يوزباشى محمد توفيق على ، هو أيضا ضابط ثائر لم يحتمل تسلط الايجليز على الجيش فألقى باستقالته فى وجههم ، وظل يروى ليوسف الصغير حكايات كثيرة عن مصر والسودان والانجليز وأبيه الذى اضطهد كثيرا وطويلا ...

١٩٢٤ يوسف يتم دراسته الابتدائية ويأتى الى القاهرة ليصبح طالبا فى الخديوية الثانوية فى زمن تفجرت فيه مظاهرات عنيفة ضد الانجليز ، وعملاء الانجليز ويوسف يشارك فى ذلك كله بحماس ظاهر ...

١٩٣٠ يوسف ينهى دراسته الثانوية ... يتحدى الجميع ، يتحدى كل الحكايات القديمة عن الجيش الذى طحن اباه وخالــه معاً ... يصمم على الانضمام الى المدرسة الحربية ، انه الثأر القديم يلتهب فى أعماقه ...

د. رفعت السعيد

١٩٣٣ يوسف .. ضابطا بالجيش .

ربما بسبب الموهبة ، وربما امتداداً للتراث الازهرى فى الأسرة ، يتألق الفتى شاعرا . وشعره كسيفه حاد .. حاسم .. شجاع .

إنا وهبنا للجهاد نفوسنا
لا نبتغى رتبا ولا أطماعا
والمؤمنون المخلصون يزيدهم
ظلم الحوادث شدة وصراعا

وعندما يحـال الأميرالاى سليمـان عبد الواحـد سبل الى الاستيداع ، وينظم زملاءه الضباط حفل تكريم له ، يدهش الجميع لجراة الضابط يوسف صديق الذى يتحدى بشعره ظلم الحاكم .. ويحرض زملاءه علنا على مشاركته تحديه له فهو يوجـــه حديثه للضابط المحال الى الاستيداع .

... يا صاحب القلب الكبير تحية .
... فلقد بدأت : ، ولا أقول وداعا
حررت من قيد الوظيفة فانطلق

حراً ، وأطلق للكفاح شراعا

عار الوظيفة ان نضام بها اذا

كنا الرجال ولم نكن أتباعا

ونفوس أهل الحق تأبى حرة

... وكريمة أن تشترى وتباعا

الضابط .. الشاعر يتوقد حماسا ضد الاحتلال والقصر ، ويتقد رفضا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية القائمة .. ويبحث عن طريق لخلاص وطنه ...

ويتحدث يوسف صديق قائلا ... « بدأت الاتصال بالاخوان المسلمين لكنى ابتعدت عنهم لجمودهم العقائدى الذى لا يرضى ما أخذته فى نفسى من ثورة ولم يدم اتصالى بهم أكثر من شهور ، ثم اتصلت بالشيوعيين فى النصف الثانى من الأربعينيات ، وكنت مقدرا لدور الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية ، وكان اتصالى بأحمد حمروش ضابط المدفعية ، وقد أعجبنى فى الشيوعية انها تغرس حب العدل فى النفوس وتعمل لتحقيق السلام على الأرض ، واقامة المحبة والتعاون بين الناس ، فهى لا تفرق بين الناس لأنسابهم ولا أحسابهم وانما تعمل على الغاء استغلال الانسان للانسان ، ولم أشعر لحظة أن فى تطبيق هذه المبادىء ما يتعارض مع عقيدتى الدينية ، فقد داس الاسلام تيجان الأكاسرة والأباطرة بأقدام الشعوب ... وبعد اعتقال عديد من قيادات حدتو وصلت الأمور الى الحد الذى كنت أكتب فيه المنشورات باليد فى منزلى بثكنات العباسية وكانت تشاركنى فى ذلك زوجتى».

(أحمد حمروش — شهود ثورة يوليو — ص ٤٣٣) .

ويحكى لى يوسف صديق كيف أن الحلقة ضاقت على حدتو (٤٨ — ١٩٤٩) الانقسامات تفترسها والضربات البوليسية تتلاحق

ولكن لا بد للعمل ان يتواصل ، ولا تجد حدتو سوى ان تلجأ الى الضابط يوسف صديق وزوجته عليه توفيق ليقوما فى بيتهما بثكنات الجيش بالعباسية بكتابة المنشورات بخط يده على البالوظة ثم يطبعانها معا ..

ويقول « كنت أتأفف وأسأل « عليه » فى ضيق : هى الثورة حتتعمل كده ؟ وتبتسم لى وابتسم لها ونكمل عملنا فى صبر واصرار » .

(محضر نقاش اجريته مع يوسف صديق فى ١٩٦٦/٨/٣) .

١٩٥٠ ــ ١٩٥١ عينا عبد الناصر يقظتان ، تفترشـان الجيش بأكمله بحثا عن عناصر ثورية .

ويوسف صديق لا يخفى على أحد ، يتقد ثورية ، يعبر عـن سخطه شعرا ونثرا . وتلتقط أذنا عبدالناصر خبرا أن الضـابط يوسف صديق يعقد اجتماعات فى منزله ، وان رجـال الحـرس الحديدى يتعقبونه ، يرسل اليه يحذره ، ثم يرسل اليه ليعـرض عليه الانضمام الى الضباط الأحرار .

الضابط وحيد رمضان كان تلميذا ليوسف صديق بالكلية الحربية وكان وثيق الصلة به .. أبلغه رسالة عبد الناصر وتلقى الرد ... الرد جاء متأخرا قليلا فقد كان يتعين على يوسـف أن يستـأذن المسئولين فى حدتو . ولم يكن يعلم ان حدتو قد اقامت علاقة وثيقة بالضباط الأحرار ...

والغريب ان عبد الناصر لم يعرف ان يوسف صديق شيوعيا ... الا بعد الثورة .

أقام أحمد فؤاد (القاضى ومسئول قسم الجيش فى حدتو ــ وهمزة الوصل بين حدتو وعبد الناصر) حفلا فى بيته .. العينان

اليقظتان لعبد الناصر التقطتا صورة لم يكن عبد الناصر يعرفها .. الى الحفل حضر كمال عبد الحليم أحد قادة حدتو ... صافح يوسف صديق بحرارة واحتضنه .. كان يناديه « أبو حجــاج » وأدرك عبد الناصر العلاقة وأسرها فى نفسه ...

٢٣ يوليو ١٩٥٢ ... يوسف صديق كان قد أصبح قائمقام . وهو أعلى الضباط الأحرار رتبه . باستثناء محمد نجيب الذى لم يكن على علاقة مباشرة معهم) كان قائدا للكتيبة الأولى مدافــع ماكينة ـــ كتيبته بالعريش ، صدر الأمر بنقلها الى القاهرة ، حضر مع طلائعها ، لكنه ما لبث أن سقط مريضا .

منذ أمد طويل يلاحقه مرض بصدره ، آلام لا تطــاق ، ودم ينزف من فمه .

زاره عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى بيته فى ٢٠ يوليو فوجئا بحالته الصحية ... فى أسى بالغ قالا له لن تستطيع الاشتراك معنا ..

ولكن من يمكنه أن يمنع كل أحلام الماضى من أن تتفجر ، كل ثأر الماضى ... أبوه وخاله ومصر والشعب وحدتو ... كل ذلك من يمكنه أن يغلق عليه أبواب المرض ؟ وفى حزم أكد أنه بخير .

مساء يوم التحرك حقنه الطبيب لايقاف نزيف الدم المتدفق .. وانطلق بقواته لتحقيق حلمه وحلم الوطن .. وحلم « حدتو » .

فى الطريق قابلهم قائد الفرقة اللواء عبد الرحمن مكى ، كل شىء يتهدده الخطر . اللواء يصدر أمرا بالتوقف ، العســكريون لا يعصون أمرا للأعلى رتبة ، لكن يوسف صديق أشهر مسدسه فى وجه اللواء وببساطة قال : أنت مقبوض عليك يا سيادة اللواء» .

سألته فى حوار معه « كيف فعلتها ؟ » أجاب ببساطة لم أتردد لحظه ، فلو ترددت لتراجع الجميع .. وفى الطــريق القت قواته القبض على جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

سألته فى ذات الحوار وكنا عام ١٩٦٦ ... « الم تفكر فى أن تتركهما أسرى ثم تقود أنت الحركة ؟ وأجابنى فى براءة « نحن شيوعيون لسنا أوغادا » .

فعلها يوسف صديق وأفرج عن جمال عبد الناصر وعامر ، ومنهما علم ان امر الثورة قد كشف وأن قادة الجيش مجتمعون فى مبنى القيادة العامة لتحريك القوات الموالية لفاروق فى ثبات قرر يوسف صديق : « العجلة دارت ولا تراجع وان كانوا فى مبنى القيادة فلنذهب اليهم » .

وأوقعهم جميعا فى المصيدة ، قبض عليهم جميعا ، وشلت قدرة فاروق على التحكم فى الجيش ..

.. على مكتب القائد العام جلس يوسف صديق ، ليدير عملية الاستيلاء على السلطة .. بعدها بساعات دخل عبد الناصر . ببساطة وقف يوسف صديق وأجلسه مكانه ...

هنا تكمن المفارقة ...

يوسف صديق وجه الضربة ضد قادة جيش فاروق . استولى على مبنى القيادة ، قبض رجاله على جمال عبد الناصر وافرج هو عنه ، هو الأرقى رتبة لكنه يقف ليجلس فى موقع القيادة البكباشى جمال عبد الناصر ... هكذا تعلم كشيوعى الالتزام بالمبدأ والخلق والعهد ...

لكن التصادم يأتى سريعا ...

الرجل لا يريد أن يتحول الى حاكم ... فقط يريد الحرية لشعبه ، والديمقراطية أساسا للتعامل معه .. طالب بحكومة ائتلافية ، وانتخابات حرة ، وديمقراطية كاملة ودستور جديد يكفل للمواطنين حقوقهم ..

تهكم عليه أحد أعضاء المجلس « عاملى فيها يوسف صديق » قذفه فى وجهه بما فى يده . واستمر التصادم ...

لم يذكروا له أنه اطلق سراحهم ، ولا انه غادر مكان القائد وأجلسهم ..

ونحن من مجلس قيادة الثورة .

أواخر ١٩٥٣ ... تلقت حدتو سيلا من الضربات البوليسية فكما دفع يوسف صديق ثمن تمسكه بالمبدأ ، دفعت حدتو ثمن مشاركتها فى صنع الثورة ، الأمر الذى اثار هواجس الكثيرين من نفوذها فى الجيش ...

الضربات تتوالى ، والقيادة المركزية قبض على أغلبها ، ومن تبقى منها لم يتمكن من الاتصال بكل مجموعات التنظيم . كنا نحن تنظيما مستقلا « رابطة الطلبة الشيوعيين — حدتو نجونا من الضربات لكننا فقدنا اتصالنا بالتنظيم وقررنا أن نعمل » .

وفى غمرة العمل النشيط اتصل بى طالب من كلية الحقوق ليبلغنى أنه على علاقة قرابة بيوسف صديق وأنه يريد مقابلة « المسئول » .. أى مسئول ؟ لا مسئول الا أنا وأنا مجرد طالب بالسنة الثانية فى كلية الحقوق ، أبلغناه بحقيقة الوضع .. وصمم أن نلتقى .

الضابط المهيب يجلس فى شقة متواضعة بشارع رضوان شكرى بالعباسية ليسأل طالبا فى العشرين من عمره المشورة ...

عبد الناصر يدعوه للتصالح ، ويعرض عليه ان يكون سفيرا فى الهند ليدرس سياستها التى لفتت أنظاره ، الح اليه باحتمال

مصالحة مع حدتو لو أنها تفهمت وضعه وهدأت من معارضتها الحادة لمشروع اتفاقية الجلاء .. لم ينس عبد الناصر أن يظهر طرف العصا ... فبينما توشك المقابلة ان تنتهى قال عرضا « قول لعليه تبطل نشاط لحسن إعتقلها » وضحك وكأنه لا يعنيها .

... ماذا يمكن للطالب الشاب أن يقول مهما حاول أن يكتسى بالحكمة ..

اظهرت له حيرتى وأخيرا اتفقنا على الرد ... « قادتنا مسجونون لديكم تفاوضوا معهم » .

وما ان تلقى عبد الناصر هذا الرد حتى دارت ماكينة الاضطهاد .. وحتى « عليه » أرسلت سجن النساء ..

لم يساوم ابدا ، ولم يتراجع عن موقفه ..

أتى عليه عدوان ١٩٥٦ واقامته محددة فى بيته ، ترك البيت دون اذن من أحد ، فالوطن يناديه ، ونداء الوطن فوق كل قرار آخر .

٣١ مارس ١٩٧٥

آن للفارس أن يستريح ، ويغادرنا يوسف صديق ، دون ان ننساه .

ومع ذلك فيبدو أن شركاء الماضى نسوه ... وبرغم أن عبد الناصر وقف ليعلن شهادته للتاريخ فى خطاب عيد ثورة يوليو ١٩٦٢ مؤكدا أن يوسف صديق قد لعب دوراً أساسيا فى انجاح

ثورة يوليو .. الا انهم صفوا تماثيل كل اعضاء المجلس فى متحف القلعة ... وتمثاله غائب حتى الآن ...

السبب روتينى بحت ، لقد تصادم وترك المجلس قبل ان يصدر مرسوم تشكيل المجلس ... وتمثاله غائب ، ولكن هل يغيب هو ؟ هل تغيب ذكراه ؟ هل ينساه الوطن ؟ وهل ينساه رفاقه ؟

يوسف صـــديق .. بطلا ديمقراطيا

بقلم : سـعد كامل

جريدة الاخبار ١٩٨٢/٤/٤

فى ٣١ مارس الماضى يكون قد انقضى على وفاة العقيد (القائمقام) يوسف منصور صديق سبع سنوات .

ولكن من هو يوسف صديق ؟

لقد اعتدنا نحن أبناء الجيل السابق أن نتصـــور أن الأحياء والأحداث التى عشنا معها معروفة لدى الجيل الجديد كما نعرفها نحن ! مع أن الذين يبلغون من العمر أربعين عاما الآن لا يعرفون الا القليل مما حدث فى الستينيات ، فما بالنا ويوسف صديق كان كالشهاب الذى اضاء مصر ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ثم اختفى سريعا ولم تسلط عليه الأضواء بعد .

يوسف صديق هو أحد أبطال ثورة ٢٣ يوليو ، بل هو بطل ليلة ٢٣ يوليو بالذات .

يقول فى مذكراته :

.. .. وقد استطعت بهذه القوة الصغيرة التى لم تتجـــاوز الستين جنديا أن أقوم بدور فى ثورة ٢٣ يوليو . باختصار تحركت على رأس هذه القوة فى منتصف ليل ٢٣ يوليو فقابلت فى طريقى من معسكر هاكستب قائد فرقة المشاة العسكرية فاعتقلته وأخذته

اسيرا ثم قابلت القائد الثانى المساعد فى الطريق فاعتقلته .
وقد صادفت البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر حيث علمت منهما أن أمر الضباط الأحرار قد كشف ، وان رئيس أركان حرب الجيش يعقد اجتماعا فى رئاسة الجيش لاصدار أوامر المقاومة . وهاجمت القيادة وقبضت على رئيس أركان الحرب قبل الاجتماع وعلى معظم القواد الذين كانوا فى طريقهم كذلك قبضت على القوات التى أرسلت لتعزيز الحراسة على رئاسة الجيش فقضيت بذلك على المقاومة ، وأصبح للضباط الأحرار الأمر فى البلاد .

ان دور الفرد فى التاريخ له حدوده ، ولا يمكن لشخصيات مهما كان دورها أن تلوى عنق التاريخ ، كان يمكن ليوسف صديق بعد أن سمع من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أن الأمر قد كشف أن ينكص على عقبيه . ولكن يوسف صديق بحسه السياسى الصادق وبشجاعته أدرك أن النظام فى مصر كان كالثمرة الناضجة لا يحتاج الا الى هزة ليسقط فورا . ولهذا مضى قدما ليسقط ذلك الثالوث الهش ، الذى كان يحكم مصر ، من ملك واقطاع واحتلال بريطانى . . . وأدرك يوسف صديق أيضا — وهذا هو الأهم — أن الذى يقدم عليه هو تتويج لنضال طويل وعنيف للشعب المصرى بكل قواته الوطنية من عمال وفلاحين ، وطلبة ، وجنود . وان الجيش اذا كان يقوم بالضربة الأولى فلانه كان احد فصائل الحركة الوطنية الأكثر تنظيما ويملك من السلاح ما يمكنه أن يقمع اى حركة مضادة للثورة .

الديمقراطيــــة

كان يوسف بوعيه وثقافته يعرف موضع الجيش من الحركة الثورية الشعبية فى بلده ، وكان يدرك أن الجيش ليس الا فصيلا

من فصائل هذه الحركة ، ولهذا نادى بأن يعود الجيش الى ثكناته وان يسلم الأمر للشعب ولهذا عندما اشتعل الخلاف فى مجلس قيادة الثورة حول أسلوب الحكم كان يوسف واضحا فى الخطاب الذى أرسله الى رئيس الجمهورية (محمد نجيب) يطالبه فيه أما بدعوة البرلمان المنحل ليتولى حقوقه الشرعية وأما بالدعوة الى وزارة ائتلافية تمثل القيادات السياسية القائمة وقتها : وهى الوفد ، والاخوان والاشتراكيون والشيوعيون ٠

فات على يوسف ان الأحزاب التى كانت قائمة كانت غير مؤهلة لاستخدام الحكم ٠ فالوفد أكبر حزب شعبى ، كان مترهلا بسبب تركيبه الطبقى فقد كانت فيه نسبة من الاقطاعيين تمنعه من سيولة الحركة والسيطرة على الشارع ، أما بقية التنظيمات السياسية الوطنية فكانت أضعف من أن تمسك بزمام الأمور ٠

كانت هذه السنوات هى السنوات التى يجب أن ترسى الأساس السياسى لليبرالية ولكنها صارت بدلا من ذلك سنوات القمع والتآمر وارست الأساس للعداء الحزبى ٠٠ ولما كان قادة الليبرالية قد عجزوا أن يظلوا أمناء لمبادئهم الذاتية فلقد أدرك الآخرون أن العيب لا يكمن فى الناس بل فى المبادىء التى ساندوها ٠

الثورى لا السياسى

ولهذا انتصر دعاة الدكتاتورية فى مجلس قيادة الثورة والغى الدستور وكذلك الأحزاب بعد معركة قصيرة وكان يوسف صديق قد استقال من مجلس قيادة الثورة ومن الجيش احتجاجا على الحكم غير الديمقراطى ٠٠ ونفى الى سويسرا فلما عاد حددت اقامته فى قريته زاوية المصلوب بمحافظة بنى سويف ٠

هل كان يوسف صديق على حق عندما طرح شعار الديمقراطية في ذلك الوقت وطالب بحكومة الجبهة الوطنية لمواجهة المشكلات الجادة التى تعانى منها مصر ؟

كان يوسف على صواب باعتباره مفكرا وثوريا مثاليا ولكنه لم يكن سياسيا يتعامل مع واقع الحياة السياسية ، وتوازنات القوى في ذلك الوقت ومع ذلك فقد كان يوسف بشيرا وداعية للديمقراطية والجبهة الوطنية .

وها نحن الآن .. بعد مرور سبع سنوات على وفاته نجد أن أفكاره عن الديمقراطية قد أثمرت وأصبحت مطلبا شعبيا

تحية الى يوسف صديق .. بطلا وثائرا وديمقراطيا .

دعوى قضائية حول تمثال
ليوسف صديق بالمتحف الحربى

اوراق الفصل السابع تتضمن

١ــ صحيفة الدعوى القضائية التى أقامها اولاد يوسف صديق ضد وزارة الدفاع لاقامة تمثال له بالمتحف الحربى .

٢ ــ رسالة من اللواء جمال حمــاد الى السيد مــدير المتاحف العسكرية .

٣ ــ يوسف صديق ــ حقنا فى الوطن الضائع ــ جريدة الأهالى ــ بهيجة حسين ــ العدد ٧٧٥ .

٤ ــ يوليو وتزييف التاريخ ــ لمعى المطيعى ــ جريدة الوفــد المصرى .

٥ ــ التاريخ ــ نبيل زكى ــ جريدة الاخبار

٦ ــ اين اختفى البطل يوسف صديق ــ سعد كامل ــ الاخبار .



تمثال يوسف صديق الغائب

اوراق هذا الفصل تضمن صحيفة الدعوى التى أقامهـــا السيد / حسين يوسف صديق ضد وزارة الدفاع لاقامـــة تمثال للمرحوم يوسف صديق ضمن تماثيل أعضاء مجـــلس قيادة الثورة بالمتحف الحربى . كما تبين الأوراق موقف الصحافة والرأى العام من هذا الموضوع .

محمـــود توفيــق
المحامى بالنقض
٤ أ ش ضريح سعد زغلول
ت : ٣٥٥٥٤٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ المستشار / رئيس محكمة القضاء الادارى

تحية طيبة واحتراما   وبعد

مقدمة لسيادتكم اللواء شرطة / حســين يوسف منصــور صديق مدير مباحث الأحداث بوزارة الداخليـــة والمقيم برقــم ١٣ شارع محمود أحمد المليجى — قسم النزهة بمصر الجديدة ومحله المختار مكتب الأستاذ محمود توفيق المحامى بالنقض والاداريـــة العليا برقم ٤ أ شارع ضريح سعد زغلول قسم الســيدة زينب بالقاهرة .

ضـــــد

١ — السيد المشير وزير الدفاع والانتاج الحربى بصفته
٢ — السيد الأستاذ وزير الثقافة   بصفته

الموضـــــــوع

الطالب هو نجل المرحوم العقيد يوسف منصور صديق ، أحد الضباط الأحرار والذى اضطلع بالدور الأساسى فى حركة الثورة

ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ولولا بطولته وفدائيته فى تلك الليلة لما أحرزت النصر ولما قامت لها قائمة ، وبسبب ذلك وقع عليه الاختيار عضوا بمجلس قيادة الثورة أثر نجاحها حيث واصل نضاله المخلص دفاعا عن حرية الشعب وذودا عن حقه فى حياة ديموقراطية سليمة ، باعتبار ذلك احد المبادىء الأساسية التى قامت من أجلها الثورة ، ومن أجل ذلك وقع الخلاف بينه وبين غالبية أعضاء مجلس الثورة الذين كانت لهم اتجاهات مغايرة فى هذا الشأن ، وقد ظل هذا الخلاف قائما الى ان رجحت كفة الاتجاه الى اقامة حكم دكتاتورى عسكرى ٠

كان ذلك واضحا فى قرارات يناير ١٩٥٣ التى بموجبها الغى دستور سنة ١٩٢٣ ، وألغيت الأحزاب ، وأعلنت فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات يتولى فيها مجلس قيادة الثورة سلطة الحكم ٠ وعلى أثر ذلك ، وفى ذات التاريخ ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ تقدم باستقالته من مجلس قيادة الثورة مؤثرا أن ينأى بنفسه عن مسئولية المشاركة فى السلطة مضحيا بكل ما وراء تلك المشاركة من جاه وفوائد ، متقبلا كل ما يجره مثل هذا الموقف من عراقب بالنسبة له ولكل من ينتمون اليه من الأهل والزملاء ، وقد دفع ودفعوا ثمنا باهظا لذلك من سجن وتشريد على مدى سنوات طويلة ، بل لقد استمرت تلك المعاناة فى الواقع الى أن انتقل الى جوار ربه فى آخر مارس سنة ١٩٧٥ ٠

ورغم ان عضوية المرحوم العقيد يوسف منصور صديق لتنظيم الضباط الاحرار ، وعضويته بعد ذلك بمجلس قيادة الثورة فى الفترة من ٢٣ يوليه ١٩٥٢ الى ١٦ يناير ١٩٥٣ هى من الأمور الثابتة التى يعرفها كل معاصرى الثورة وكل من كتب أو قرأ عنها منذ قيامها حتى الآن ، فقد لاحظ المدعى عند زيارته مؤخرا للمتحف

الحربى الذى أقامته وزارة الدفاع — التى يمثلها السيد المدعى عليه الأول — بمبنى القلعة ، أن القاعة المخصصة لثورة يوليو بالمتحف ، والتى احتوت على تماثيل لأعضاء مجلس قيادة الثورة ، لم تشتمل على تمثال المرحوم والده ، بل ان قائمة أسماء الضباط الأحرار المعروضة بتلك القاعة ، قد خلت كذلك من اسم العقيد يوسف منصور صديق ، وقد لاحظ ذلك أيضا الكثيرون من زوار هذا المتحف ، ممن لهم معرفة بتاريخ الثورة ، كما أبدى العديدون من كتاب الصحف ملاحظتهم له ودهشتهم منه ، على ما جاء فيما نشروه من تعليقات حول هذا الموضوع .

وقد انتظر المدعى كما انتظرت الأسرة ان تتدارك وزارة الدفاع هذا الخطأ التاريخى فتبادر الى تصحيحه احقاقا للحق وانصافا لذكرى الرجل الذى لولاه لما نجحت الثورة التى يعتبر العهد الراهن امتدادا لها ، دون جدوى . مما اضطر المدعى معه الى اللجوء للطريق القانونى المتاح ، فوجه تظلما الى السيدين المدعى عليهما أرسل اليهما بتاريخ ١٩٩٥/٦/٢٥ ، غير ان ميعاد الستين يوما المقررة قانونا للرد على التظلم قد انقضت دون ان يتلقى الطالب أى رد .

ولما كان ذلك ، وكان امتناع السيد المدعى عليه الأول عن اتخاذ الاجراء اللازم لتصحيح هذا الخطأ ، يعتبر قرارا سلبيا من جانبه يتيح للطالب حق الطعن عليه قضائيا .

ولما كان هذا القرار السلبى يلحق ضررا معنويا بالغا بالمدعى وبكل أفراد أسرته اذ انه يتضمن انكارا وجحودا للدور التاريخى الذى اضطلع به والدهم فى خدمة وطنه وشعبه ، واساءة الى ذكراه بالانتقاص من فضله ، الأمر الذى تقوم به للمدعى الصفة والمصلحة القانونية فى اللجوء الى القضاء العادل بالطعن فى هذا القرار .

واذا كان انكار دور المرحوم يوسف صديق واغفال فضله أمرا مفهوما — وان لم يكن مبررا — طيلة حياته ، يفسره ، فيما يفسره ، ضراوة أساليب الصراع السياسى ومقتضياته من وجهة نظر بعض الناس ، فان استمرار هذا الانكار والاغفال بعد وفاته بعشرين عاما هو أمر غير مفهوم بل أن فيه اهدارا للأمانة التاريخية ، وانحرافا عن المبادىء الوطنية والأخلاقية القويمة ، وهو ما نربأ بالسيدين المدعى عليهما ، وبغيرهما من المسئولين عنه .

ولما كان ذلك ، وكان كل يوم يمر دون مبادرة من السيد المدعى عليه الأول الى تصحيح هذا الوضع يضيف المزيد من الاساءة والضرر بالمدعى وأفراد أسرته .

ولما كان اختصام السيد المدعى عليه الثانى بصفته ، هو لكون وزارة الثقافة التى يتولاها كان لها دورها فى الجانب الفنى من اقامة هذا المتحف ، ومن ثم فان لها صفة واختصاصا فى هذا النزاع .

لذلك فان المدعى يقيم هذه الدعوى ابتغاء الحكم له فيها بالطلبات الواردة فى نهاية هذه الصحيفة .

وعن الشق المستعجل فى الدعوى :

واذ يثبت من العرض المتقدم أن القرار السلبى الصادر من السيد المدعى عليه الأول — موضوع هذه الدعوى — يلحق ضررا معنويا ونفسيا بالغا بالمدعى وباقى أفراد أسرته ويصيبهم بأذى عاطفى متجدد يتعذر تداركه فيما لو استمر السيد المدعى عليه الأول على قراره السلبى .

لذلك فانه يحق للمدعى والحال هذه ان يتقـدم الى عدالـة المحكمة بطلب مستعجل ووقتى ، هو الحكم بوقف تنفيـذ القرار السلبى المطعون فيه ، مؤقتا ، لحين الفصل فى الشق الموضوعى من هذه الدعوى .

لذلـك

يلتمس المدعى بعد اتخاذ الاجراءات القانونية المنصوص عليها فى القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢ بشأن تنظيم مجلس الدولـة ، تحديد أقرب جلسة لنظر الدعوى تمهيدا لصدور الحكم فيها عـلى السيد المدعى عليه الأول ، فى مواجهة الثانى ، بالآتى :

أولا : بصفة مستعجلة ووقتية ، ولحين الفصـل فى الشـق الموضوعى من الدعوى ، بوقف تنفيذ القرار السلبى الصادر من السيد المدعى عليه الأول بعدم اقامة تمثال للمرحوم العقيد يوسف نصور صديق ضمن تماثيل أعضاء مجلس قيادة الثورة فى القاعة المخصصة لذلك بالمتحف الحربى .

ثانيا : وفى الموضوع

١ ـ بالزام المدعى عليه الأول فى مواجهة السيد المدعى عليه الثانى ، باقامة تمثال للمرحوم العقيد يوسف منصور صديق ضمن تماثيل السادة أعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو بالقاعة المخصصة لذلك بالمتحف الحربى ، بنفس الحجم والمواصفات المماثلة لتلـك التماثيل .

٢ ــ بالزام المدعى عليه الأول ، بان يدفع مبلغا وقدره ألف جنيه يوميا يدفع للمدعى عن كل يوم ينقضى منذ تاريخ اقامة هــذه الدعوى الى يوم اقامة التمثال موضوع الدعوى كغرامة متجــددة وكتعويض متجدد عما يلحق به من ضرر متجدد من جراء امتناع أو تراخى السيد المدعى عليه الأول عن اقامة التمثال .

٣ ــ بالزام السيد المدعى عليه الأول المصروفــات ومقــابل اتعاب المحاماة .

٤ ــ بشمول الحكم الصادر فى هذه الدعوى بالنفاذ المعجــل وبلا كفالة ...

الدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ ق٠ ادارى ٠
فى ١٩٩٥/٩/١٧

وكيل المدعى

محمود توفيق
المحامى بالنقض

رسـالة من اللواء جمال حماد

السيد العميد محمد عبد الرحمن منتصر

مدير ادارة المتاحف العسكرية

تحية طيبــة وبعــد

إيماء الى محادثتكم الهاتفية معى يوم ١٩٩٥/٨/٢٨ بشــأن تظلم أسرة المرحوم العقيد أ ح يوسف منصور صديق بسبب عدم وجود تمثال له فى جناح الثورة بالمتحف الحربى أسوة بباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة والمطالبة بوضع تمثال له فى جناح الثورة أرجو أن أوضح لسيادتكم الحقائق التالية :

أولا : كانت الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار بالقوات المسلحة قبل الثورة تتكون من ٩ ضباط هم : مقــدم أ ح جمال عبد الناصر — مقدم طيار جمال سالم — مقدم طيار عبد اللطيف البغدادى — مقدم أنور السادات رائد أ ح عبد الحــكيم عامر — رائد أ ح صلاح سالم — رائد أ ح كمال الدين حسين — رائــد طيار حسن ابراهيم — رائد خالد محيى الدين .

وفى مساء يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٢ أخطر عبد الناصر زملاءه بأن دور الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار قد انتهى وتبعا لذلك فان اسمها سيصبح منذ ذلك الحين مجلس قيادة الثورة .

ونظرا لأن ثورة الجيش قد اقترنت منذ فجر ٢٣ يوليو باسم اللواء أ ح محمد نجيب وصدر البيان الأول للثورة باسمه لذا كان

امرا محتما أن ينضم محمد نجيب الى مجلس قيادة الثورة بل ويصبح رئيسا له باجماع أعضائه التسعة .

ثانيا : فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ انضم الى عضوية مجلس قيادة الثورة بصفة رسمية ٤ ضباط بناء على اقتراح عبد الناصر نظرا للأدوار المهمة التى قاموا بهـا ليلة ٢٣ يوليو ٥٢ وكان هـؤلاء الأربعة هم :

المقدم أ ح يوسف منصور صديق من سلاح المشاة والمقـدم عبد المنعم أمين من سلاح المدفعية والمقدم أ ح زكريا محيى الدين من سلاح المشاة والمقدم حسين الشافعى من سلاح الفرسان وبذا أصبح عدد أعضاء مجلس الثورة ١٤ ضابطا .

ثالثا : منذ انضمام يوسف منصور صديق لمجلس الثوره فى ١٥ أغسطس ٥٢ شعر بنوع من الجفاء وسوء المعاملة من زملائه من اعضاء المجلس نظرا لآرائه الصريحة ومناقشاته الجريئة التى كان يبديها فى أثناء عقد الجلسات فضلا عن اتجاهه اليسارى الذى لم يكن ينكره . وفى ليلة ١٥/١٦ يناير ١٩٥٣ أصدر مجلس الثورة أمرا باعتقال ٣٥ ضابطا كان على رأسهم العقيد أ ح محمد رشاد مهنا الوصى السابق على العرش الذى أعفى من منصبه يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٢ وحددت اقامته فى بيته وكان معظـم المقبـوض عليهم من الضباط الأحرار من سلاح المدفعية الذين خرجوا ليلة ٢٣ يوليو وأسهموا بقدر كبير فى نجاح الثورة وقد تم وضعهم فى سجن الأجانب وبدأت محاكمتهم فيما عرف باسم « قضية المدفعية » ونتيجة لاعتقال هذا العدد الكبير من الضباط الأحرار ووضعهم داخل السجن برتبهم العسكرية مما كان يعد سابقة لم تحدث فى الجيش من قبل لـذا بادر يوسف منصور صديق بتقديم استقالته وأصر عليها معلنا « أن

ضميره لا يسمح له بالبقاء فى مجلس يصدر قرارات باعتقال زملاء يعدهم شرفاء ولا يستحقون مثل هذه المعاملة » .

وبذا تكون المدة التى أمضاها العقيد أ. ح يوسف صديق (تمت ترقيته الى رتبة العقيد بعد شهور من الثورة) عضوا بمجلس قيادة الثورة ما يزيد قليلا عن خمسة شهور .

رابعا : منذ انضمام عبد المنعم أمين الى مجلس قيادة الثورة مارس العديد من الأنشطة المتعلقة بتأمين الثورة واستقرارها فقد تم تعيينه رئيسا للمجلس العسكرى الذى تولى محاكمة المتهمين من عمال شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار إثر حوادث الشغب والمصادمات مع الشرطة التى جرت يومى ١٢ و ١٣ أغسطس ٥٢ وقد انتهت المحاكمات باصدار المجلس العسكرى الحكم بالاعدام على اثنين من المتهمين هما العاملان مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى كما أصدر أحكاما بالسجن بالأشغال الشاقة على باقى المتهمين وعددهم ١١ عاملا .

من ذلك أسهم عبد المنعم أمين فى الجهود التى بذلت لايجاد صلات تعارف وتفاهم وثيقة بين مجلس قيادة الثورة والسفير الأمريكى وقتئذ « جيفرسون كافرى » وكبار أعضاء السفارة الأمريكية بمصر والتى كانت تستهدف تقوية الصلات والروابط بين مصر والولايات المتحدة أملا فى حمل الولايات المتحدة على معاونة مصر فى قضية جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس والضغط على الحكومة البريطانية لتحقيق جلاء قواتها عن مصر . وقد لعب عبد المنعم أمين دورا كبيرا فى هذه الجهود عن طريق المآدب التى كان يقيمها فى بيته المطل على النيل فى الجيزة والتى كان يحضرها السفير الأمريكى وكبار موظفى سفارته وأعضاء مجلس قيادة الثورة وعن طريق زياراته للسفير الأمريكى والمستشار

السفارة مما كان يعد حلقة اتصال بين مجلس قيادة الثورة والسفارة الأمريكية .

ونتيجة للنشاط الاجتماعى الذى كان يقوم به عبد المنعم أمين تعرض لحملة من الشائعات التى أطلقها ضده بعض ضباط المدفعية فضلا عن انتقادات حادة وجهها ضده بعض أعضاء مجلس الثورة وخاصة صلاح سالم وزكريا محيى الدين وقد علل عبد المنعم أمين هذه الحملات ضده بأنها من تدبير عبد الناصر للتخلص منه بسبب شعبيته فى سلاح المدفعية .

وفى النصف الأخير من يناير ٥٣ وبعد اعتقال ضباط المدفعية تقدم عبد المنعم أمين (الذى رقى الى رتبة العقيد بعد شهور من الثورة) استقالته من المجلس وعين فى أوائل عام ١٩٥٤ سفيرا لمصر فى هولندا وعاد الى القاهرة فى مايو ١٩٥٦ حيث تمت احالته على التقاعد بناء على طلبه .

الخلاصـــــة :

١ ــ قام كل من العقيدين يوسف منصور صديق وعبد المنعم امين بدور رئيسى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان له اثر كبير فى نجـــاح الثورة . فى الوقت الذى لم يكن لبعض ضباط مجلس قيادة الثورة اى دور فى تلك الليلة مثل صلاح سالم الذى كان فى رفح وجمـــال سالم الذى كان فى العريش .

٢ ــ أمضى كل منهما ما يزيد قليلا عن خمسة شهور كأعضاء فى مجلس قيادة الثورة واشتركا فى كل القرارات التى صدرت خلال هذه الفترة .

المـــــرأى

تقتضى العدالة أن يعامل كل من العقيدين يوسف منصور صديق وعبد المنعم أمين المعاملة نفسها التى عومل بها كل أعضاء مجلس قيادة الثورة فيما يتعلق بعمل تماثيل لهم ووضعها فى جناح الثورة بالمتحف الحربى وأرى أن من حقهما وضع تمثالين لهما فى جنـــاح الثورة أسوة بباقى زملائهما فى المجلس .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،

القاهرة
١٩٩٥/٨/٣٠

لواء أ ح متقاعد

جمال الدين حماد
المؤرخ العسكرى

يوسف صديق : حقنا حق الوطن الضائع

الأهـــــــالى العدد ٧٧٥

بقلم بهيجه حسين

عندما تتعلق القضية بتاريخ الوطن ، فانها تصبح ملكا للوطن ولأجياله القادمة ، ويصبح الدفاع عنها واجبا علينا جميعا .

والقضية هى جزء من تاريخ مصر وبطل القضية فارس مــن فرسان هذا الوطن .

وعندما تتعلق القضية بالعقيد يوسف صديق فانها لا تصبح قضية أسرته بل قضية وطن يحترم تاريخه ورجاله .

وطن وأجيال ومؤرخون يعرفون أن يوسف صديق هو صاحب الرصاصات الوحيدة التى أطلقت فى ثورة يوليو فهو الذى قــاد قواته من الهايكستب الى مبنى رئاسة الجيش الملكى بكوبــرى القبة فى ليلة الثورة .

وقبل الموعد المحدد للثورة بساعة حاصر مبنى رئاسة الجيش فى مغامرة ثورية أنقذت ثورة يوليو بالرغم من احتمال الفشــل الذى كان يمكن أن يدفع ثمنه يوسف صديق حياته .

ويوسف صديق رسالة تاريخ نتعلم منه من عنفوانه وصلابته وجسارته التى دفع ثمنها الكثير . وبالرغم من كل العطــاء الذى

سدمه دون تردد للوطن ولأجياله فانه قد حرم من أبسط حقوقــه علينا جميعا وهو حقه وحقنا فى أن يوضع له تمثال مع تماثيــل رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة بالمتحف الحربى بالقلعة .

فالزائر للمتحف الحربى سيجد قاعة تضم تماثيل لأعضــاء مجلس قيادة الثورة فى حين يختفى الفارس الذى كان عضوا بمجلس قيادة الثورة وعضوا بالضباط الأحرار ، والذى رسم الفنانــون الكوريون الذين أشرفوا على أعمال المتحف لوحة زيتية تتصــدر القاعة تصور لحظة اقتحام يوسف صديق لمبنى قيادة الجيش .

لذا فقد قررت أسرة يوسف صديق اقامة دعوى قضائية ضد المشير محمد حسين طنطاوى بصفته وزيرا للدفاع لأن المتحف تابع للوزارة وضد فاروق حسنى وزير الثقافة وذلك لمشاركة الأجهزة الفنية المختصة بوزارة الثقافة فى اعداد المتحف .

وقد فوجئت أسرة يوسف صديق أيضا بأن اسمه لم يدرج فى قائمة أسماء الضباط الأحرار المعروضة بالمتحف .

وقد أرفقت أسرة يوسف صديق فى دعواهــا كافــة الوثائق والشهادات التاريخية التى تثبت أن يوسف صديق كان عضــوا بمجلس قيادة الثورة . وقبلها قد قدم تظلما وحتى الآن لم تــرد وزارتا الدفاع والثقافة على التظلم ولم تقدما دفاعهما للمحكمة .

ان يوسف صديق ودوره الفاصل فى ثورة يوليو حقيقة لا تحتاج الى اثبات فقد أثبتها التاريخ والمؤرخون ورفاق كفاحه وشــهود عصره بل والباحثون عن كنوز الوطن من الأجيال التى لم تره .

وحقه فى وضع تمثال له مع رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة بالمتحف الحربى حق لا يخصه بمفرده ولا يخص أسرته .

انه يخصنا جميعا ويخص الأجيال القادمة التى يشكل التاريخ وجدانها وحائط الدفاع الأول والأقوى ضد أى تدمير أو خراب قد يصيبها ضد فقدان الذاكرة والهوية .

ان الأبطال هم صناع التاريخ والعقل والهوية والوجدان وجريمة بكل المقاييس اسقاطهم بدون قصد أو بقصد .

اننا جميعا نطالب بحقنا فى اعداد تمثال ليوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة وبطلها العظيم ووضعه فى المتحف الحربى بالقلعة .

بهيجة حسين

قلم رصاص
بقلم : لمعى المطيعى
جريدة الوفد المصرى

يوليو وتزييف التاريخ

اخطر ما فى الأحداث الكبرى هو تغيير الوقائع وتزييف التاريخ . ونحن نكتب جلقة اليوم عن الساعات الأولى لما حدث فى مصر يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

معروف لدى كل الذين عاصروا هذه الأحداث ، ولدى كل الذين كتبوا عنها دون هوى أو غرض أن الذى قاد جزءا مهما فى عملية القبض على قيادة الاسلحة من لواءات الجيش القدامى هو .. والوصف هنا بقلم « الاستاذ محمد حسنين هيكل » بعباراته الرشيقة فى ٢٧ أغسطس ١٩٥٢ على صفحات مجلة « آخر ساعة » انه « العملاق الاسمر ذو العينين الحمراوين .. عملاق وبل عريض .. لفحته الشمس فى معسكرات الجيش فجعلته شبه ما يكون بتمثال من البرونز لفارس محارب مدرع من القرون الوسطى .. دبت فيه الحياة بمعجزة فخرج الى عالم المغامرات . هناك لازمتان تميزانه دائما .. شعر منكوش مهوش ، وعينان حمراوان من قلة النوم وكثرة ما يبذل من جهد .. وكان شكله فجر يوم حركة القوات المسلحة رائعا .. لقد قام بهذه العملية الخطيرة بمنتهى الثبات والجرأة والسرعة » .

والكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل يقصد بحديثه هذا القائمقام يوسف منصور صديق الذى خرج من تراب مصر فى ٣

يناير ١٩١٠ وعاد اليه فى صباح ٣١ مارس ١٩٧٥ فى قرية صغيرة من صعيد مصر .

وقد عبر يوسف صديق عن اعتزازه بهـذا الدور التاريخى فى حديث له بجريدة المصرى فى ٢٤ مارس ١٩٥٤ بقوله : « ان صح لى ان أتحدث عن نفسى فانى أقول لهؤلاء انى ضابط مصرى قمت على رأى الضباط الأحرار يوم ٢٣ يوليـو سنة ١٩٥٣ بالدور الرئيسى الذى مكن الضباط الأحرار من تنفيذ سياستهم .. » .

وهؤلاء الضباط الذين كانوا تحت قيادة الضـابط الجسـور « يوسف صديق » فى عملية القبض على « حسين فريد » ومعاونيه من قادة الأسلحة هم « عبد المجيد شديد ، ومحود حسنى عبد القادر، ومحمد أحمد على غنيم ، ومحمود عباس عبد الهادى » ، وفى هذا المجال نسجل حقيقتين تاريخيتين هما :

١ ــ ان البكباشى يوسف صديق هو أول من تحرك على رأس قوة صغيرة والقى القبض على قادة الاسلحة الذين كانوا مجتمعين برياسة قائدهم « حسين فريد » .

٢ ــ تحرك يوسف صديق قبل ساعة الصفر بساعة وهـذا التحرك يسميه الكثيرون « الخطأ الذى انقذ الثورة » .

وعلى الرغم من هذه الحقائق فان الرئيس الراحل « انـور السادات » لأسباب كثيرة لم يشأ أن يعترف بهذه الحقيقة ، وفى بعض ما كتب نسب قيادة التحرك الأول الى المشير عبد الحكيم عامر وهذا ليس صحيحا على الاطلاق ، ومرة أخرى نسبه الى عبد المجيد شديد الذى شارك فعلا فى هذا التحـرك تحت قيادة « يوسف صديق » .

ان هذه المحاولة من السادات لالغاء دور يوسف صديـق فى التحرك الأول الذى كان العامل الرئيسى فى استيلاء الضباط الأحرار

على السلطة ، هذه المحاولة الفاشلة تقف فى وجهها دراسات ومذكرات تاريخية وكتابات تقر بالحقيقة بان البكباشى يوسف صديق ولا أحد غيره هو الذى تحرك بقواته قبل ساعة الصفر بساعة واستولى على مقر قيادة الجيش والقى القبض على قادة الاسلحة من لواءت الجيش القدامى ، وبذلك فشلت محاولة قيادة الجيش فى التحرك واجهاض اتفاق الضباط الأحرار للاستيلاء على السلطة . ومن حسن حظ التسجيل التاريخى ان كتابات كثيرة موثوقا بها سجلت ليوسف صديق دوره التاريخى ومن هذه الكتابات والدراسات والمذكرات ما أصدره الصحفى حمدى لطفى ، واللواء محمد نجيب وعبد اللطيف البغدادى ، والمؤرخ العسكرى جمال حماد ، وأحمد حمروش وخالد محيى الدين .

هذه واحدة ، ربنا ستر ووجد يوسف صديق من ينتصر له فيها ، ولكن تعالوا الى محاولة أخرى ، فى المتحف الحربى بالقلعة قاعة خاصة بتماثيل أعضاء مجلس قيادة الثورة . التماثيل للواء محمد نجيب ، وجمال عبد الناصر ، والمشير عبد الحكيم عامر ، وحسين الشافعى ، وزكريا محيى الدين ، وأنور السادات ، وخالد محيى الدين ، وكمال الدين حسين ، وحسن ابراهيم ، وجمال سالم ، وصلاح سالم ، وعبد اللطيف البغدادى ، ولا نجد بين هذه التماثيل تمثالاً ليوسف صديق ولا تمثالاً لعبد المنعم أمين . وكلاهما كان عضوا بمجلس قيادة الثورة ولا دخل لنا هنا بالتوجهات الفكرية لأى واحد منهما . نحن فقط تهمنا الحقيقة التاريخية لأن الأجيال القادمة التى ستزور المتحف لا تعرف سوى الاثنى عشر تمثالاً كقادة لثورة يوليو .

والمسئولية الآن فى تصحيح هذا الخطأ وعدم استمرار المغالطة التاريخية تقع على أعضاء مجلس قيادة الثورة

السابقين .. عبد اللطيف البغدادى وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين متعهم الله بالصحة ومد فى أعمارهم . هم وحدهم القادرون على تقديم الشهادة الصحيحة للتاريخ حتى يقتنع المسئولون عن المتحف الحربى ويقيموا تمثالين واحد ليوسف صديق يضعونه على يسار التماثيل القائمة حاليا لأعضاء مجلس قيادة الثورة ، وواحد لعبد المنعم أمين يضعونه على يمين هذه التماثيل .

لمعى المطيعى

التـــاريخ المظلـــوم

بقلم نبيل زكى

يوميات الأخبار يكتبها اليوم نبيل زكى

١٩٩٦/٧/٢٤

★★ انتهى زمن المصالح الذاتية والاهواء السياسية والصراعات التى يمكن ان تبرر اغفال دور هذا الرجل ★★

التاريخ .. المظلـــــــــــــــــــــوم

فى متحف القلعة ، توجد قاعة مخصصة لتاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . تحتوى القاعة على تماثيل نصفية لأعضاء مجلس قيادة لثورة .

وقد شاركت الأجهزة الفنية المختصة بوزارة الثقافة فى اقامة هذا المتحف .

ومما يلفت النظر انه لا يوجد بين هذه التماثيل .. تمثـــال لعضو مجلس قيادة الثورة البكباشى يوسف منصور صديق رغم أن الرجل كان من أبرز أبطال تلك الثورة وأكبر المساهمين فى نجاحها .

ومما يلفت النظر ايضا ان اسم يوسف صديق لم يرد فى قائمة اسماء الضباط الأحرار المعروضة بالمتحف .

وهكذا بقى « يوسف صديق » مظلوما بعد مماته بعد أن ظل مظلوما فى حياته . وفى هذه المرة يصبح التاريخ أيضا مظلوما .

أتذكر انني كنت أزور متحف لينين فى العهد السوفيتى ، ورأيت صورة لأعضاء المكتب السياسى لحزب البلاشفة الذى قاد ثورة اكتوبر الاشتراكية .

غير ان « ليون تروتسكى » أحد قادة تلك الثورة كان محذوفا من الصورة وتركوا مكانه خاليا .

غير انه فى حالة يوسف صديق فان قائد الثورة نفسه — جمال عبد الناصر — تحدث فى خطابه الشهير عام ١٩٦٢ فى ذكرى الثورة عن دور يوسف صديق ، بكل تفصيلاته ، فى نجاح الثورة . وقال عبد الناصر انه لولا خروج كتيبة يوسف صديق من معسكر هاكستيب قبل ساعة الصفر بساعة واحدة لكانت الثورة قد فشلت .

والقصة معروفة لا تحتاج الى تكرار فقد القى يوسف صديق القبض على قاده الجيش الموالين للملك المجتمعين فى قيادة الجيش واستولى على القيادة ، كما أطلق سراح جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر اللذين كانا قد القى القبض عليهما فى الشارع على يد القوات الموالية للملك .

وشجاعة وبطولة يوسف صديق ليست موضع جدل . فقد كانت شجاعة فذة وبطولة نادرة ولذلك استقال فى ١٦ يناير ١٩٥٣ من عضوية مجلس قيادة الثورة احتجاجا على الغاء الدستور وحل الأحزاب السياسية ، ورفض المجلس اقامة حكم نيابى ديمقراطى .

وأتصور انه فى هذه الأيام . لا توجد أية مصالح ذاتية أو أهواء سياسية أو صراعات لا مبدئية تبرر تجاهل يوسف صديق وحذف

دوره من التاريخ ذلك اننا لا نملك هذا الحق ، وليس بوسعنا ان نفعل شيئا ازاء ما سجلته بالفعل صفحات هذا التاريخ .

وأتصور أيضا ان ما حدث هو خطأ غير مقصود ، وربما من قبيل السهو ، أو لأن الظروف السابقة لم تسمح بتركيز الاضواء على دور هذا الرجل الشجاع الذى أسهم بالفعل فى تغيير مجرى التاريخ .

الأخبار فى ١٩٩٦/٧/٢٤

أين اختفى البطل يوسف صـــديق

بقلم سعد كامل ــ جريدة الأخبار ــ ١٩٨٨/٧/٣١

اتصل بى الأستاذ حسين صديق ، ابن البطل الراحل العقيد (القائمقام) يوسف صديق ، وقال انه توجه لزيارة المتحف الحربى، وفى احدى القاعات التى خصصت لتماثيل أعضاء مجـلس قيادة الثورة ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وأنه فوجىء باثنى عشر تمثالا فقط ، ليس من بينهم والده يوسف صديق ، ولا الضابط (ولا أعرف رتبته) عبد المنعم أمين . وأنه دهش من جرأة القـائمين عـلى المتحف ، فى انكار ما هو ثابت تاريخيا ، بالصورة والصـوت فى الصحف والاذاعة وفى الكتب العربية والأجنبية التى تحدثت عـن ثورة يوليو ، سواء كانت تناصرها أو تناصبها العداء ، لم تنكـر أن يوسف صديق ، كان القائد الأول لفرقة الصدام ليلة ٢٣ يوليو ، والذى اقتحم بالقوة ومن معه من ضباط وجنـود بشجاعـة قلب لا يعرف الخوف مركز قياده الجيش . وقبض على القادة الموجودين فيه ، ومن كانوا فى الطريق اليه ، وبعد ذلك توالت تحركات قيادات الضباط الأحرار من مواقعها بعد أن نجحت الضربة الأولى .

ويروى الكاتب أحمد حمروش فى كتابه « قصة ثورة يوليو » دور (القائمقام) يوسف صديق ، سأحاول أن أقدمه للأجيـال الجديدة التى لم تعاصر هذه الأحداث التاريخية المهمة ولاعلق بعـد ذلك على واقعة اخفاء تمثالى يوسف صديق ، وعبد المنعم أمين . من المتحف الحربى .

جاء فى كتاب حمروش فى وصفه للأيام الثلاثة السابقة للثورة ، أن هاشم باشا وزير الدولة وزوج بنت حسين سرى باشا قد اجتمع سرا بمحمد نجيب وحاول أن يحتويه فعرض عليه تعيينه وزيرا للحربية ، فلما رفض ، أفهمه هاشم باشا أن السراى عندها أسماء ١٢ من الضباط الأحرار . وفى الصباح أبلغ نجيب جمال عبد الناصر ، وعامر تفاصيل المقابلة فاجتمعت اللجنة القيادية وقررت فى نهاية الأمر أن تكون الحركة ليلة ٢٢ — ٢٣ يوليو .

واعطيت الخطة اسما كوديا (نصر) وتحددت ساعة الصفر فى منتصف الليل .

كان يوسف صديق تنزف الدماء من صدره فقد كان مريضا بالصدر ، ولكنه أخذ حقنة أوقفت النزيف .. وأصبح فى حالة عالية .

وحدث خطأ بسيط ولكنه كان عظيم الأثر .

تصور يوسف صديق ! أن ساعة الصفر هى ٢٣٠٠ (أى الحادية عشرة مساء) وليست منتصف الليل .

كان يوسف صديق قائدا ثانيا لكتيبة مدافع الماكينة ، ولم يخف يوسف الموقف على ضباطه ولا جنوده ، خطب فيهم قبل التحرك وقال لهم انهم سيفخرون بما سينجزون فى هذه الليلة .

تحركت القوة من معسكر (هايكستب) دون أن تدرى عما يدور فى مركز قيادة الجيش .

كان يوسف صديق راكبا عربة جيب فى مقدمة طابور عربات الكتيبة المليئة بالجنود وفى الطريق فوجىء باللواء عبد الرحمن مكى

قائد الفرقة يقترب من المعسكر فاعتقله وعند أوائل مصر الجديدة أعتقل أيضا الأميرالاى عبد الرءوف عابدين قائد الفرقة الذى كان يسرع بدوره للسيطرة على معسكر الهايكستب . وركب الاثنان (المعتقلان) فى عربتهما والمدافع موجهة عليهما من العربات الأخرى . والعلم يرفرف على مقدمة العربة .

ولم تقف الاعتقالات عند هذا الحد فقد فوجىء ببعض الجنود يلتفون حول اثنين تبين أنهما جمال عبد الناصر وعامر ، وكانا حسب رواية يوسف فى ملابس مدنية .

ولما استفسر يوسف صديق عن سر وجودهما أبلغاه بالموقف فى رئاسة الجيش ، وهنا أعد يوسف خطة تقضى بمهاجمة رئاسة الجيش .

كانت قواته هى الوحيدة التى تتحرك فى شوارع القاهرة ، وهى الوحيدة التى تتحرك فى جرأة نحو مركز رئاسة الجيش .

وكانت الخطة التى وضعها يوسف للاقتحام بسيطة .. فصيلة تقطع الطريق عند مستشفى الجيش أمام كوبرى القبة ، وفصيلة أخرى تقطع الطريق عند كوبرى السيوفى أمام سلاح خدمة الجيش وبقية القوة تقتحم الرياسة بلا احتياطى .
وفى أثناء نزول الجنود من عرباتهم ظهر الأميرالاى (العميد) احمد سيف اليزل خليفة ، فكان ثالث المعتقلين وترك سائقه حارسا عليه وعنده أوامر باطلاق النار .

واقتحم يوسف صديق وجنوده مبنى القيادة وفتشوا الدور الأرضى وكان خاليا ، وعندما أرادوا الصعود الى الطابق الأعلى

اعترض طريقهم جاويش حذره يوسف ولكنه أصر على موقفـه فأطلق عليه طلقة أصابته فى قدمه شفى منها فيما بعـد ٠

وعندما حاول فتح غرفة القيادة ، وجد خلف بابها مقاومـة فأطلق جنوده الرصاص على الباب ، ثم اقتحموا الغرفة وهناك كان يقف اللواء حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش واللواء حمدى هيبة ، وضابط آخر يرفع منديلا أبيض طلب منهم أن يتحركوا حيث سلمهم لليوزباشى (نقيب) عبد المجيد شديد ليذهب بهم الى معسكر الاعتقال المعد حسب الخطة فى مبنى الكلية الحربية .

وفى هذه اللحظة وصل ضابط ومعه ٥٠ جنديا كل منهم يحمل مائة طلقة بناء على استدعاء رئاسة الجيش (الملكى) قبـل أن تسقط فضمهم يوسف الى قواته بعد أن عين عليهم قائـدا مـن ضباطه .

وأخيراً جلس يوسف ليستنشق أنفاسه مع ضباطه فى مكتب هيئة أركان حرب الجيش .

لم يكن جلوس يوسف صديق على مقعد رئيس أركان حـرب الجيش يعنى أن الحركة قد انتصرت اذ أن الخطة قد نفذت ، ولكنه كان يعنى أن أخطر مركز للسلطة قد سقط وانه لم يعد هناك فى القاهرة مركز يستطيع أن يعطى أوامر مضادة لحركة الضبـاط الأحرار .

كانت جرأة يوسف صديق وبسالته عاملا مرجحـا لقـوات الحركة .

هذا الرجل البطل الجسور ابن الشعب (يوسف منصـور صديق) هو الذى اختفى من قاعة المتحف الحربى التى تضم اثنى عشر ضابطا اختفى أو أخفى يوسف صديق ، وعبد المنعم أمين ، لا أدرى ما هى الدوافع التى أدت الى اتخاذ مثل هذا القرار ،

هل لأنه كان يساريا وعضوا فى تنظيم شيوعى (حدتو) ؟ فهذا ينطبق على خالد محيى الدين أيضا . أم لأنه اختلف مع مجلس قيادة الثورة ، فى أزمة ٥٣ وطالب باقرار الحكم الديمقراطى ؟ فطرد من المجلس ونفى خارج البلاد ، وداخلها . وقبض على زوجته الفاضلة (عليه توفيق) وأودعت السجن ؟ أيا كان الرأى فى يوسف فواقعة تواجده واقتحامه الجرىء لمركز قيادة الجيش وعضويته لمجلس قيادة الثورة غير منكورة من أحد غير القائمين على كتابة التاريخ فى المتحف الحربى .

ولهذا أتوجه أولا الى الرئيس مبارك ليأمر بضم تمثال يوسف صديق ، وعبد المنعم أمين الذى لا أعرف دوره بالضبط ، الى مجموعة مجلس قيادة الثورة . وأتوجه بالطلب نفسه الى المشير عبد الحليم أبو غزالة ، القائد العام للقوات المسلحة ، الذى استنكر عندما زار المتحف الحربى ، عدم وجود تمثال للفريق أول سعد الشاذلى كأحد أبطال حرب أكتوبر وطالب بوضع تمثال له ، فواقعة اشتراكه فى الحرب وقيادته لها لا جدال فيها . حتى لو اختلفنا على تفسير المواقف والآراء بعد ذلك .

ولا بد للأمة أن تراجع تاريخها من آن لآخر ، وأن تعرف أبطالها ، وأن تصحح معلوماتها وأن تضيف اليها أو تحذف منها ، والا أصيبت بتصلب الشرايين وأصبحت فى حالة غيبوبة ، وأن تسجل وقائع التاريخ كما حدثت بالضبط ثم تختلف فى تفسيرها والجدل حولها والا فانه عندما تفقد الدولة الصدق ، وتلجأ الى التزييف ، فان الجماهير ستفقد الثقة فيها وفى أقوالها ووعودها . والدولة يجب أن تكون القدوة الحسنة وخاصة فى كتابة التاريخ لأن من يزور الماضى ، سيزور الحاضر ، وسيفقد المستقبل .

ومازال السؤال معلقا : لماذا اختفى البطل يوسف صديق ولأى أسباب ؟

مختارات من شعر يوسف صديق

يحتوى الفصل الثامن على القصائد الآتية :

١ ـــ دمعة على البطل ـــ فى رثاء جمال عبد الناصر
٢ ـــ الله أكبر
٣ ـــ إلى منزيس
٤ ـــ استقبال الصديق
٥ ـــ المجد الزائـــل
٦ ـــ فرعـــون
٧ ـــ من الجنة
٨ ـــ صاحب القلب الكبير
٩ ـــ أبيات من قصائد متفرقة
١٠ـــ معهد الأركان

دمعة على البطل

مقدمة : لم يكن يوسف صديق فارساً ومناضلا جسوراً فحسب ، ولكنه كان — ككثير من الفرسان فى التاريخ العربى — شاعراً مجيداً أيضاً .

وفيما يلى نقدم بعض المختارات من شعره ، دليلا على ذلك.

دمعـــة على البطـــــل

فى رثاء جمـــال عبـــد النـاصر

أبا الثوار هل سامحت دمعــى ... يفيض وصوت نعيك ملء سمعى
وكنا قد تعاهدنا قديمــــــا ... على ترك الدمــوع لذات روع
وأن الخطب يحسم بالتصدى ... لهول الخطــب فى سيف ودرع

*****

لكن زلزل الأركــان منى ... وهز تماسكى من جاء ينعــى
عاك وانت ملء الأرض سعيا ... وذكرك قــائم فى كــل ربــع
بكتك عيون أهل الأرض حولى ... فكيف أصون بين الناس دمعى

*****

قضيت شهيد وحدتنا تقوى ... روابطها وتجبر كل صدع
فما للعرب في الدنيا مكــان ... بغير تماسك وبغير جمـــع

*****

رسمت انا الطريق وسوف نمضى على هذا الطريق بغير رجـــع
سنمضى فى طريق الحق حتى نطهر من ثراثا كل صقـــــع

*****

وللعمال بالعمــــــال نبنى ونصنع بالمصانع خير صنع
وللفلاح بالفــــلاح نـــروى صحارينا ونزرع خير زرع
ففى العمال والفلاح درع لثورات الشعوب وأى درع

*****

جزاك الله عنا كل خـــير ورواك الرضا من كل نبع

*****

الله أكبر

بقلم : يوسف صـديق

جريدة الجمهورية

الأربعاء ١٥ محرم سنة ١٣٧٦ ــ ٢٢ اغسطس سنة ١٩٥٦

مهداه الى اخينا وزعيمنا « جمال » :

لحـــن من النيـل السعيـد تـرددا
فاتراقص الارز البهيج وغــــردا

و « دمشق » رتلت النشـــيد فهيمـت
صبا مشوقا فى « عمـان » فانشــدا

ـلا ((الحجـاز)) اللحـن فاهتــزت له
صنما ودوى فى ((العــراق)) له صــدى

ومن الخـــليج الفـــارسى للاطـــلسى
شعـــب تغـــنى بالنشيـد ورددا

هــذا نشيد البعث فأسمـــع لحنــه
غناه شعب الضاد حين توحـــدا

اللـــه أكبـــر ــ اذن الفجـر ــ فقـم
وارقب سـنى النــور من الشرق بـــدا

الله اكبر بددت شمل الدجى
من بعد ليل كان يبدو سرمدا

الله أكبر والسلام الهنا
بات الطريق الى النعيم معبدا

ارايت فى ((باندونج)) يوم تجمعت
رسل السلام على الحقيقة والهدى

وقفوا حماة للسلام وأعلنوا
حق الشعوب بأن تعيش وتسعدا

وجدوا الاستعمار كل جريرة
تدع السلام مزعزعا ومهددا

وبدا لهم أن السلام يصونه
صون الحقوق وردع كل من أعتدى

فلكل شعب ارضه بكنوزها
يحيا بها حرا كريما سيدا

فاليوم لا شعب تضيع حقوقه
بين الطغاة ولا يرى مستعبدا

ان القنال لنا — أليس بأرضنا
وبمالنا حفر القنال وعبدا

قبل البحار – جرى وروى قاعه
عرق السواعد بالدماء مزودا

وتناثرت حول القنال قبورنا
من كل مكدود تهاوى مجهدا

فاعجب لقوم ينكرون رجوعه
بعد اغتصاب الحق طال به المدى

ما بال ((ايدن)) حين طالعه النبا
ارغى هراء يا ((جمال)) وازبدا
ما باله حين انتزعت قنالنا
من مخلبيه عوى لها وتوعدا

الله اكبر يا جمال جمعتنا
والعهد – دون الحق ان نستشهدا

فاضرب – وراءك امة ان تدعها
لتسابقت واستعذبت طعم الردى

اوجع خصوم الحق حتى يسلموا
رغم الانوف بعدل حقك سجدا
شعب العروبة قد اتاك مجندا
ووراءه شعب السلام مؤيدا

واذا الشـــعوب تحـــركت بقلوبهـــا
لكريهة فالنصر بـــات مؤكـــدا

يا مصر ــ عهد اللـــه هـــذا بيننـــا
أن لا نلين وان نكون لـــك الفـــدا

انـــا وعدناهـــا اعـــادة مجـــدها
فلتشـــهد الدنيـــا ـ وموعـــدنا غـــدا

*****

« الى منزيس »

جريدة الجمهورية ١٩٥٦/٩/٢

رسول الغرب حى النيـــل واخفض

قوامـك بالتحـــية ٠٠ والجبينـــــا

وحـــى معـــالم التاريخ واركــــع

تبـرك بالقنـــال و « طـور ســـينا »

لى الوادى المقدس جئت فاخلـــع

به نعليـــك شـــأن المؤمنينــــــا

وتمتم بالســـلام تكـــن حصينــــا

وتحيا سالمـــا ما دمـت فينـــــا

ســعيت الى العرين فكن لبيبـــــة

يخـــون اللب من زار العرينـــــا

*****

رسول الغرب جئت فكن شهيدا
وبلغ أهلك الخبر اليقينا

الست ترى الرجال مدججينا
على طول القتال مرابطينا

وتلك نساؤنا هبت بكيد
لهن — ورحن يحمين الحصونا

هنا شعب وراء ((جمال)) ماض
الى أهدافه يقظا أمينا

تطوع للجهاد على ولاء
لقائده واقسم لن يلينا

فقل للغاصبين هناك مهلا
فما نيل المنى للغاصبينا

وتلك قناتنا ردت الينا
وما كنا لحق غاصبينا

ففيم أقمتم الدنيا علينا
وبتم ضدنا متآمرينا

رميتم سهمكم بالغدر حينا
وبالتضليل والبهتان حينا

يوسف صديق — ٢٠٧/٣٠

زعمتم أننا الاسلام يصحو
يهدد دين عيسى ان يبينا

فأوهى كيدكم سعى النصارى
بمصر الى الهلال معانقينا

وأوهى كيدكم أنا وقفنا
وراء زعيمنا صفا متينا

وللاسلام صهر فى النصارى
يولد بينهم عطفا ولينا

*****

رسول الغرب جئت فكن شهيدا
وبلغ أهلك الخبر اليقينا

وقل للغرب انا قد صحونا
وانا سوف نبقى مسلمينا

نسالم من يسالمنا ونرعى
زمام جوارنا وطنا ودينا

ونعبد حقنا والحق دين
تدين له قلوب العابدينا

ومنذ كــــان الســـلام لنـــا الهـــــا
نهانـــا أن نقاتــــل معتدينــــــــــا

وننصر كـــــل مظـــلوم يعــــانى
حماقـــــات الطغــــاة الظالمينـــــــا

تناصرنـــا الشعـــــوب عـــلى سلام
ويقنع حقنا هنــــــدا وصينـــــــــا

تحيتنـــا ((ســـلام)) بيـــــد أنـــــا
نـــــــذود عن الســــلام اذا دعبنـــا

ونسحـــــق كـــــل جبـــــار عنيـــد
يهـــــد بالحـــروب الآمنينـــــــــــا

*****

« استقبال الصديق »

كتبت بالسجن الحربى فى ١٩٥٥/١/١٥ بمناسبة مولد حفيده ــ يوسف صديق محمود توفيق :

أقبلت تسعى من الظلماء للنور
فاسلمتك دياجير لديجور

اشرق بنورك فالأيام حالكة
من هول ما اقترفت فينا من الجور

ن الرسالة فى اسمائنا لمعت
فحملتنا ثواب الهدى بالنور

ونحن نعلم أن السجن منزلنا
حتى تدك حصون الافك والزور

ونحن نعلم أن الموت موردنا
نلقاه فى الله فى بشر وتكبير

جرد حسامك فالميدان مفتقد
سيفا يضىء به فى كف تحرير

والحق بقومك أسرع انهم سبقوا
وخذ مكانك فى ركب المغاوير

*****

« المجـــد الزائل »

كتبت فى السجن الحربى سنة ١٩٥٤

هنيئا لك المجد الذى أنت نائل ... فمنذا يدأنيك ومنذا يطاول

تهينت أن تلقى عدوا جمعتنـا ... على جريه ثم انثنيت تمـاطل

جزوعا هلوعا واستبحت دماءنا ... وأعراضنا أنا نريـد نقاتـل

وما حركتك النار تفرى من بدا ... أبيا عن الشعب الأبى يناضل

أغار وحيدا يدفع الضيم أعزلا ... ولم يثنه عن حق مصر جحافل

فلاقى شهيدا راضى النفس ربه ... وكان سلاحاه التقى والشمائل

وأظهرت بأسك للنساء بخ ، بخ ... أتيت بما لم تستطعه الأوائـل

ففيم انفعالك حين قالوا وأنصفوا ... بأنك ذيل للعــدو وعـامل

ولو سئل التاريخ جاء مصدقا ... ويشهد قصر النيل أنك قاتـل

*****

« فرعـــون »

كتبت فى السجن الحربى فى يونية ١٩٥٤

الا أيهذا الدعى اللعـــين ... الا أيهذا الشقى الحـــرون

لبست المسوح وضللتنـــا ... ولما هتكت كشفت المفتـــون

أفرعون مصر وجبارهـــا ... صحوت لها من وراء القـــرون

وناديت فى الناس انى إلــه ... وأنتم عبيد ولى تسجـــدون

ولكن فرعـــون دانت لـــه ... عروش وعرشك واه مهـــين

ففى أرض مصر غزاة طغـــاة ... بشعبك فرعوننا يعبثـــون

يعيثون فينا فسادا وبغيـــا ... وكم ينهبون وكم يقتلـــون

سجنت النساء ولم تحـــترم ... وقار الشـــيوخ وطول الذقون

اعرضى يباح ويلقى بـــه ... على ناظريك بقاع السجـــون

ل رجـــالى غـــدرت بهم ... أكل رجالى من المجرمـــين

ولما وقعت وعبد الحـــكيم ... بأسر رجـــالى وما يعلمون

وقد كنت مختفيا فى ثياب ... تباعد عنك مثار الظنـــون

فأنقذت روحيكما من هـــلاك ... ورحت بروحى ألاقى المنون

أحقق فى الله ما ابتغـــى ... وما كنت أحسبكم تبتغـــون

غدا تلتقى يا جمال الوجـــوه ... وتعرف قدرك ماذا يكـــون

*****

من الجنـــــة

كتبها سنة ١٩٥٣ فى منفاه بسويسرا ، وأرسلها الى اللواء محمد نجيب :

حســـــناء (ايســـان ترعانى على الجبـــل
جاءت تداوى فكانت عـــلة العــــلل
فى ثغرهـــا من رحيق السحر بارقة
تكـــاد تقتلنى شوقـــا الى القبـــل
قـــد حرمته علينـــا وهى تعرضـــه
عرضا يثير فضول الطهــر والخجـــــل
(أيفـــون) أنى غريب فى دياركمـــو
وللغريب نـــوال القصـــد والأمـــــل

*****

أنا من بلاد رواها النيل فى كــــرم
وفى وفاء كساها أجمل الحـــــلل
فيهـــا الجمـــال وفيهـــا الســـحر من قـــدم
كـــم اوقعـــت فى شراك الحب من بطـــل
بشوشة فى وجوه الضيف تسعـــدهم
فيها الحياة وتبكى كـــل مرتحـــل
حتى لقد ظن بعض الغافلين بهـــا
سوء الظنون وقالوا ان تطب تنـــل

واستدرجتهم قـواهم فى مروءتهـــا
الى فتاها (نجيب) عـز من رجــل

فقام فى صحبه والليل يسترهـــم
والحق يرشدهم فى عزمة الرســل

وكنت فى يـــده كالسهم أطلقنـــى
أدك صرحهمو فيهـــا فـلم اطـل

الحق فى جانبى والظالمون همـــو
والله ينصر أهل الحق فى الجلـــل

واصبح القــوم خـيرى لا نصير لهم
فقال هيا اخرجوا منها على عجـل

فان أبيتم فان السيف محتـــكم
بينى وبينكمو فى أقــرب الأجـــل

ورحت أجمع شمل الناس فى حـذر
وفى وفـــاء وأدعوهم الى العمـــل

فقال قـوم كفانـا اللـه شرهمـو
هذا مريب وقد يدعـو الى خطـــل

فأرسلوه بعيـدا لا يهددنـــــا
وشتتوا صحبه فى كـل معتقــــل

فأبعدونى اليكم الف مغفرة
لأهل مصر وأن هم شوهوا عملى

*****

يا أخت أنى شهيد جئت جنتكم
هل فى الجنان يداوى الداء بالشعل

اجر الشهيد سالت الحسن فى وله
وفى الجنان نعيم غير مبتذل

لا تحرميلى رضابا فى عذوبته
شىء من النيل فى طيف من الأمل

يا مصر أنى ونار الشوق تفتك بى
على البعاد لادرى أن حبك لى

فمن فتاك الذى أن سل صارمه
حل القضاء به فى أبرع الحيل

أن الجلاء الذى تبغينه أرب .....
ينال بالسيف لا يرجى من الدول

فلا يغرنك وعد لا وفاء له
كم فى خصومك من لؤم ومن مطل

لسوف يأتيك يـــوم تهتفين بـــه
يا للرجـــال وأين اليـــوم لى رجـــلى

لبيــك يا أم أنى غـــير مبتعـــد
الا لأكفيـــك شر الدس والدجـــل

أنا الوفى الذى لم يثنـــه دمـــه
ينساب من صدره عن يومك الحفل

لم يكفنى شرفـــا أن كنت شـــاهده
بل كنت فيه فتى فتيانـــه الأول

*****

« صــاحب القلب الكبير »

ألقاها فى حفل تكريم الأميرالاى سليمان بك عبد الواحد سبل فى نادى ضباط الجيش بمناسبة احالته الى الاستيداع سنة ١٩٤٦

ما للوجوم علا الوجوه وشاعــا ... وتطيرت تلك القلوب شعاعا

حتى كأن القوم أول مــــرة ... شهدوا جهاد المخلصين مضاعا

إن اختلاف الرأى فيما بيننــا ... قد ضيع الحق المبين فضاعــا

من لى بمن يرضى النفوس جميعها ... ويصحح الأحداث والأوضاعــا

من لى بمن عرف الطريق الى الهدى ... يلقى على هذا الطريق شعاعا

فجميعنا حر يفدى تاجــــه ... ويمد للشعب الأبى ذراعــا

*****

هون عليك أخى فإن جهادنــا ... فى الله لا نرجو الحياة متاعا

إنا وهبنا للجهاد نفوسنــــا ... لا نبتغى رتبا ولا أطماعــــا

والمؤمنون المخلصون يزيدهم ... ظلم الحوادث شدة وصراعــا

*****

يا صاحب القلب الكبير — تحية   فلقد بدأت ولا أقول وداعـــا
حررت من قيد الوظيفة ـ فانطلق   حراً وأطاق الكـــفاح شراعـــا
عار الوظيفة أن نضام بها إذا   كنا الرجـــال ولم نكن أتباعـــا
ونفوس أهل الحق تأبى حـــرة   وكريمة أن تشـــترى وتباعـــا

« أبيــات من قصائد متفرقة »

اعتبره طلبة الكلية الحربية خلال فترة الدراسة شاعر الكلية وكان « يوسف صديق » ينتهز كل مناسبة ليلقى فيها قصيدة من تاليفه : فمثلا فى المباراة النهائية بين الكلية الحربيــة وكلية البوليس كتب « يوسف صديق » قصيدة يفند فيها ما يقال عن « العدوان التقليدية » بين الكليتين ··· فقال :

هم أهل فن من قديم زمانهــم	لكن خلقنا فننا تمجيـــــــلا
ففنونهم هرمت وتلك فنوننـــا	ما زا لغضا خيرها ونضـــيرا
ظلموا مودتنا وقالوا اننـــــــا	قوم تعادينا فبئس المقيـــلا

وفى السنة النهائية بالكلية الحربية عام ٣٢ — ١٩٣٣ . شعر « يوسف صديق » بيأس مفاجىء من النجاح .. بسبب اشاعـــة خبيثة تسربت ... لتؤكد أن عدد الناجحين لن يزيد عن ثلاثة من ثلاثين طالبا . وكان كبير مدرسى الكيلة وقتها انجليزيا اسمــه « ثورن بورن بك » ... وتحرك الشـــاعر فى أعمـــاق « يوسف صديق » ... وبكل مرارات المأساة فى أعماقه ... كتب قصيدة أليمة تقول :

حتام تخدع يا زمان وأخــدع	وأرى سرابا فى القفار واتبــع
عودتنى صبر الرسول على الأذى	علمتنى أن الحياة توجـــع

ابنى .. فتهدم يا زمان معاقلى واجدد البنيان ثم تضعضـــع

لا أنت تخضـــع يا زمان لهمتى أبداً .. ولا أنا للنوائب أخضع

وحينما أصيب بتسوس فى عظام العمود الفقرى كتب قصيدة مطلعها :

كفنت فى شرخ الشباب ولم أمت وذقت عذاباً دون قسوته القبر

وفى أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان « يوسف صديق » بموقع « أشدود » ولم تشغله أصوات المدافع والقنابل عن الحدائق الغناء التى عليها «أشدود » فكتب قصيدة كانت مقدمتها تقول :

يا جنة فى ربى ((أشـــــدود)) وارفـــة

تمـــــوج بالسحر أشكالا وألوانـــــــا

أعدهـــا المبـــدع البارى وزينهـــا

للصابرين على الأيـــــام رضوانـــــا

وعندما تخطوه فى الترقية وهو فى حرب فلسطين رغم خطابات الشكر والتقدير كتب قصيدة وهو فى فلسطين تقول بعض أبياتها :

منت ظهرى بالحبيب من العدا فأصابنى فيه الحبيب تعـــمدا

ورميت بالسهمين سهم شاهـــد فى الصدر أنى ما تهيبت الردى

شهدت لى الأعداء عدلا يا ترى سهم الأحبه ما عسى أن يشهدا

كما أرسل قصيدة وهو فى فلسطين « لحيدر باشا » يتظلم من تخطيه فى الترقية ، فقال :

قل للوزير وقد تبين حقنـــا وولاءنـــا ما بالـــه ينســـانا

إنا لنطلب حقنا لا نبتغى من فضله جوداً ولا إحسانـــا

كما كتب « يوسف صديق » على صورة شخصية مهداه منه يقول :

اقدمها وتحســــدها عيونى تجود بقربكم والوصل دونــى

فإن جارت على أحـــلام قلبى فمن حسناتها أن تذكرونى

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية — رأت (بريطانيا) أن تهدى (وساماً) الى مصر تعترف فيه بأنه كان لمصر دور فعال فى كسب الحرب — حيث أفلح الجيش المصرى فى بعض ما فشل فيه الانجليز وبصفة خاصة (الدفاع عن قنال السويس) — الذى حققت فيه المدفعية المصرية نجاحاً بعد عجز الانجليز عن القيام بهذا الواجب .

وأهدى الوسام الى قائد القوات المصرية .. الى الرجـــل العسكرى .

وفى هذا الاحتفال الذى أقيم بهذه المناسبة وحضره كبار رجال (الوفد) الذى كان فى الحكم — وكان من بينهم الخطيب الكبيــر (مكرم عبيد) الذى كان مشهوراً ببلاغته وفصاحته فى الخطابة — ألقى يوسف صديق قصيدة جاء فى مطلعها :

ضعوا الأقلام وامتشقوا الحســـاما
فرب السيف قـــد حمل الوسامــــا

وقولوا للذى يرجـــو خلاصــــا
بتنميق الكـــلام : كفى كلامـــــا

هى الدنيـــــا صراع لا إقتنـــاع
بغـــير الجيش ان نحيا كرامــــا

ومن نادى بغـــير الجيش يهـــذى
وعن نـــور الحقيقـــة قـــد تعـــامى

« معهـــد الأركان »

ألقاها يوسف صديق فى الاحتفال بيوم كلية أركان الحرب يوم ٢٢ يونيه سنة ١٩٤٧

يوم على التاريخ صار مخلـــدا ... أحيا به الفاروق هذا المعهــدا

فاستل سيفا دانت الدنيا لــه ... طالت به الأيام يبكى مغمــدا

يا معهد الأركان هذا موقـــف ... ما جد فى التاريخ لكن جـــددا

عرف الملوك الخالدون طريقهم ... نحو الخلود فكان منك المبتــدا

فالملك لا يبنى بغير دعــائم ... تقوى على حمل البناء مشــيدا

ومتانــة البنيــان فى أركــانه ... ان دعمت جاء البناء موطــدا

وهل البناء سوى الجيوش وهل ترى ... ملكا بغير جنوده أمن العــدا

والجيش جسم إنما أعصابــه ... أركانه إن لم تعنه تقاعـــدا

*****

يا أيها الأركان فى الجيش الذى ... دانت له الدنيــــا ولن تترددا

لا يســـــال التاريخ عن آثاره ... لن يفرغ التاريخ ان هو عددا

فى جنده على النفوس بقيـــة ... محبوسة من جذوة لن تخمدا

حبست بحكمة خير من سعدت به مصر ومن أسدى لنهضتها يدا
فالناس إن ذكر اسم مصر تذكروا فرعون والأهــرام ثم محمـــدا
هو منشىء الجيش الحديث به بنى ملكاً على النيل السعيد موحدا
والنيل يجرى بالحياة فهل ترى روحاً تضم سوى كياناً واحدا

*****

ورأى مصير الشرق ليلا حالكاً يغزو معاقله رهيبـــا أسودا
فلقد شبت فى آل عثمان الهرـــ اة ولاح فى سلطانهم شبح الردى
فسعى إلى الرجل المريض ودوله ترنو عيون ذوى المطامع رصدا
ومضى به ابراهيم مرهوب الخطى فأثار حقد الطامعين وأوقـــدا
وقفوا له صفاً يحدد مجـــده ورأى صواب الرأى أن يتحددا
والجيش عاد الى العرين ولم يكن رغم اعتزاز النصر قد بلغ المدى
عاد الرجال وفى الصدور بقية محبوسة من جذوة أن تخمـــدا

*****

الفهـــــــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
التاريخ المظلوم بقلم / نبيل زكى	٢٥٤
أين اختفى البطل يوسف صديق بقلم / سعد كامل . .	٢٥٧

الفصل الثامن

صــدر فى هــذه السلسلة :

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية .
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤ .

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية .
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى .
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) .
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى .
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية .
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين .
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى .
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ .
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر .
جمال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢ ، أمام التصوف فى مصر : الشعرانى .
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) .**
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩

٢٥ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ،**
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ـ **تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،**
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ـ **فتح العرب لمصر ، ج ١ ،**
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٨ ـ **فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،**
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٩ ـ **مصر فى عصر الاخشيديين ،**
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ـ **الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،**
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ـ **خمسون شخصية مصرية وشخصية ،**
شكرى القاضى ، ١٩٨٩

٣٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ ـ **مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،**
د . خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩

٣٤ ـ **تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،**
د . يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ **أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،**
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د · أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ **الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،**
د · سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،**
د · عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠

٣٩ ـ **قصة احتـــلال محمد علي لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧)**
د · جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ ـ **الأسلحة الفاســدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،**
د · عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د · رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ ـ **تكوين مصر عبر العصــور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ ـ **رحلة فى عقول مصرية ،**
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د · محمـــد عفيفى ، ١٩٩١

٤٥ ـ **الحروب الصليبية ، ج ١ ،**
تاليف : ولم الصــورى ، ترجمة وتقديم : د · حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ـ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧)،**
ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١ .

٤٧ ـ **تاريخ القضاء المصري الحديث ،**
د . لطيفه محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ **الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الاسـلامي ،**
د . زبيدة عطا ، ١٩٩١

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،**
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،**
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٣

٥١ ـ **تاريخ المدارس في مصر الاسلامية ،**
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقـافة ، في ابريـل ١٩٩١) أعـدها للنشر :
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، في القرن الثامن عشر ،**
د . الهام محمد على ذهني ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،**
د . محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الأقباط في مصر في العصر العثماني ،**
د . محمد عفيفي ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية ج ٢ ،**
تأليف : وليم الصوري ، ترجمـة وتعليق : د . حسن حبشي ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمع الريفي في عصر محمـد على : دراسـة عن اقليم المنوفيـة ،**
د . حلمي أحمد شلبي : ١٩٩٢

٥٧ - مصر الاسلامية وأهل الذمة ،

د · سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،

د · ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣

٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمصير الى التأميم (١٩٥٧ - ١٩٦١) ،

د · عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،

عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،

د · عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٣ ،

لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،

تأليف : د · سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د · عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ ·

٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،

د · محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧)

سهام نصار ، ١٩٩٣

٦٦ - المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى

د · نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣

٦٧ - مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،

(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د • عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د • حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ ـ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١)،**
د • محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ـ **أهل الذمة فى الاسلام ،**
تأليف : أ• س• ترتون ، ترجمة وتعليق : د• حسن حبشى، ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ـ **مذكرات اللورد كلين (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د • عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ـ **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) ،**
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ـ **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د • رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى**
د • سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ـ **أهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د • سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ـ **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطانى) ،**
د • سعيد اسماعيل على ١٩٩٥

٧٧ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٤ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،**
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ **تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،**
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ **قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،**
د . السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ **تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،**
د . رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ **مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،**
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ **تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،**
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ **تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،**
د . أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ **مذكرات اللورد كلين ، ج ٢ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥ .

٨٨ ـ **التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ **تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،**
د . عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ **معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،**
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ج ٢ ،**
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ **قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،**
د . نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، ج ٢ ،**
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ **مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د . عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠) .**
تأليف : مالكولوم كير ، ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ ـ **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،**
د . ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ ـ **هيكل والسياسة الأسبوعية ،**
د . محمد سيد محمد

٩٩ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) ج ٢ ،**
د . سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبد العصور : تاريخ مصر القديمة ،**
أ. د. عبد العزيز صالح ، أ. د. جمال مختار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصحى ،
أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ. د . عبد العظيم رمضان

١٠١ ـ **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،**
اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء / عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ **المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢،**
د . تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ **رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره ،**
د . على بركات

١٠٤ ـ **تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢) ،**
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،
د ٠ أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،
د ٠ سليمان صــــالح

١٠٧ ـ الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،
تأليف : دليب هيرو ، ترجمــة : عبد الحميد فهمى الجمال

١٠٨ ـ مصر للمصريين ، ج ٤ ،
سليم خليل النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين ، ج ٥ ،
سليم خليل النقاش

١١٠ ـ مصادر الأملاك في الدولة الاســـلامية (عصر ســلاطين المماليك) ، ج ١ ،
د ٠ البيومى اسماعيل الشربينى

١١ ـ مصــادر الأملاك فى الدولة الاسلاميــة (عصر ســـلاطين المماليك) ، ج ٢ ،
د ٠ البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ اسماعيل باشا صدقى ،
د ٠ محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)،
د ٠ اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر .
أحمــد رشدى صــالح

١١٥ ـ مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمد شفيق باشــا

١١٦ ـ أديب أسحق (عاشق الحرية) ،
عــلاء الدين وحيــد

١١٧ ـ تاريخ القضــاء في مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ـ النظم المالية في مصر والشام زمن سـلاطين المماليك ،
د • البيومي اسماعيل

١١٩ ـ النقابات في مصر الرومانية ،
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د • محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ـ مصر للمصريين ج ٦
سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ السيد أحمـــد البدوى •
د • سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن
د • محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ مصر للمصريين ج ٧
سليم خليـــل النقاش

١٢٦ ـ مصر للمصريين ج ٨
ســليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)
ابراهيم محمد محمد ابراهيم

١٢٨ ـ معارك صـــحفية
جمـــال بدوى

١٢٩ ـ الدين العـــام (وأثـــره فى تطـــور الديـن المصرى ، (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣)
د . يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧)
سمير فريد

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)
تأليف جايل ماير ، ترجمة عبد الرءوف أحمد عمر

١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١ ،
د . ماجدة محمد حمود

١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢ (١٩١٤ ـ ١٩٢٤)
د. ماجده محمد حمد

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضـــوء مخطوط عثمانى مخطوطة « ضيا نامه » الدار ندلى »
بقلم/ عزت حسن أفندى الدار ندلى .
ترجمة : جمال سعيد عبد الغنى .

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملـــوكية فى ضـــوء وثائق الجنيزة (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) .
د . محاسن محمد الوقاد .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/١٧٥٣٥

ISBN — 977 — 01 — 6033 — 4

هذا الكتاب مهم جداً عن بطل مصرى حر هو القائمقام يوسف صديق، الذى كان له الدور الأول فى نجاح ثورة ٢٣ يوليو، إذ كان هو أول من أطلق شرارتها، وأكثر من حافظوا على مبادئها التى قامت عليها عندما تنكر الآخرون لهذه المبادىء، ولم يتحمل ضميره البقاء فى صفوفها عندما انحرفت عن طريق الدستور والديمقراطية واتجهت اتجاهها الدكتاتورى المعروف، ودفع ثمن مواقفه الشريفة غالياً.

٣٧٥ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب